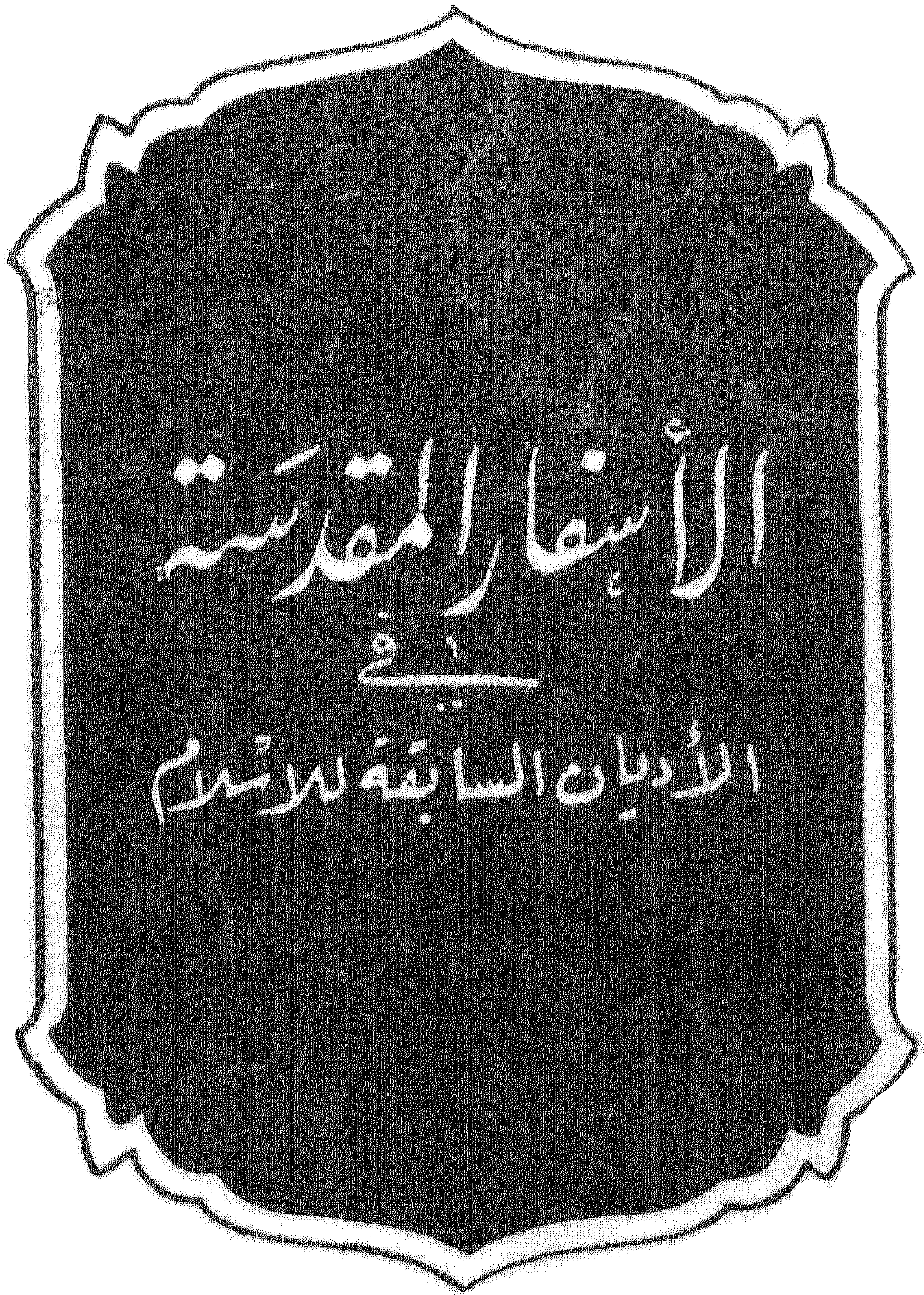
الدكتور علي عبد الواحد وافي



دار نهضة مصر للطبع والنشر
الفجالة - القاهرة

اهداءات ٢٠٠٣
أسرة أ.د/على عبد الواحد وافى
القاهرة

الأسفار المقدسة
في
الأديان السابقة للإسلام

تأليف

الدكتور علي عبد الواحد وافي

دكتور في الآداب من جامعة باريس

عضو "المجمع الدولي لعلم الاجتماع"

عميد كلية الآداب بجامعة أم درمان

وعميد كلية التربية بجامعة الأزهر

ووكيل كلية الآداب ورئيس قسم الاجتماع بجامعة القاهرة سابقا

ملتزم الطبع والنشر

دار نهضة مصر للطبع والنشر

الفجالة - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ترجع أهم الديانات السابقة للاسلام التى وصلت الينا أسفارها المقدسة كاملة أو غير كاملة الى أربع ديانات ، وهى اليهودية والنصرانية والزرادشتية الفارسية والبرهمية الهندية ٠

ويطلق على الأسفار المقدسة للديانة اليهودية اسم « العهد القديم » *Ancien Testament* ٠ ومن أهم أسفار هذا العهد مجموعة تسمى كتب موسى أو الأسفار الخمسة أو التوراة ٠

ويطلق على الأسفار المقدسة للديانة النصرانية اسم « العهد الجديد » *Nouveau Testament* ٠ ومن أهم أسفار هذا العهد مجموعة تسمى الأناجيل ٠

ويراد بكلمة « العهد » فى هاتين التسميتين ما يرادف معنى الميثاق ، أى ان كلتا الطائفتين من الأسفار تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس : فأولاهما تمثل ميثاقا قديما يرجع الى عصر موسى ؛ والأخرى تمثل ميثاقا جديدا بدأ بظهور عيسى ٠

وجرت العادة أن يجمع أسفار العهدين معا فى كتاب يطلق عليه اسم « الكتاب المقدس » *La Bible* ٠

وقد تالف من بحوث أحبار اليهود وربانييهم وفقهائهم فى شئون عقائدهم وشرائعهم وتاريخهم مجموعة أسفار أطلق عليها اسم «التلمود» (أى التعاليم). واعتبرت شارحة ومبينة ومفصلة لما ورد فى أسفار « العهد القديم » ، وانزلها معظم فرق اليهود منزلة لا تقل كثيرا عن منزلة « العهد القديم » نفسه ٠

ويطلق على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية الفارسية اسم«الأبستاق» وهو تعريب لكلمة « الأفستا » *Aves'a* (ومعناها الأصل أو الأساس) .

وأما الأسفار المقدسة للديانة البرهمية الهندية فيطلق عليها اسم « الفيدا » *Veda* (ومعناها المعرفة أو العلم) .

ومن أسفار «الفيدا» استمدت «قوانين مانو» *Lois de Manou* التى تنسب لمشرع هندى قديم اسمه « مانو » أو «مانافا» وهى تفصيل وشرح وبيان لما اشتملت عليه أسفار « الفيدا » من عقائد وعبادات ومعاملات ونظم اجتماعية وتاريخ . وينزل البرهميون هذه القوانين منزلة التقديس كذلك ، حتى لقد اعتقدوا أن مؤلفها أحد الآلهة المنبثقين عن الاله الخالق وهو براهما .

فلدينا اذن ست مجموعات من أسفار هذه الديانات الأربع : منها مجموعتان للديانة اليهودية وهما أسفار « العهد القديم » وأسفار « التلمود » ؛ ومجموعتان كذلك للديانة البرهمية وهما أسفار « الفيدا » و « قوانين مانو » ؛ ومجموعة للديانة المسيحية وهى أسفار « العهد الجديد » ؛ ومجموعة للديانة الزرادشتية وهى أسفار « الأبستاق » .

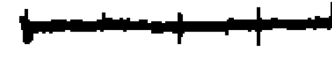
وسنقف على أسفار كل ديانة من هذه الديانات الأربع فصلا مستقلا نعرض فى بعض فقراته لبيان الأسفار وفى بعضها الآخر لتحقيقات تتعلق بتصنيفها وجمعها واللغات التى ألفت بها والتى ترجمت اليها وما تشتمل عليه من عقيدة وشريعة وقصص والشعوب التى اختصت بها وموقف الاسلام منها وما يتصل بهذه الأمور .

والله نسأل أن يكتب لنا التوفيق والسداد ويهيىء لنا من أمرنا رشدا ؟

دكتور على عبد الواحد وافى

الفصل الأول

أسفار الديانة اليهودية



سنمهد لموضوع هذا الفصل بفقرتين : نلقى فى أولاهما نظرة مجملة على تاريخ بنى اسرائيل ، لأنهم هم الذين تنسب اليهم هـذه الديانة وهم الذين اختصوا بأسفارها ؛ ونذكر فى الفقرة الأخرى كلمة موجزة عن اللغات العبرية والآرامية واليونانية ، لأنها اللغات التى استخدمت فى تأليف هـذه الأسفار وشرحها وترجمتها . وستفيدنا الفقرة الأخيرة كذلك عند الكلام على أسفار العهد الجديد (أسـفار الديانة المسيحية) فى الفصـل الثانى من هذا الكتاب ، لأن اللغتين الأخيرتين من هذه اللغات هما اللتان استخدمتا فى أسفار هذا العهد ٠

ثم نقف الفقرات التالية على التعريف بأسفار العهد القديم وأسفار التلمود وهما المجموعتان اللتان تتألف منهما أسـفار الديانة اليهودية ، مع تحقيقـات تتعلق بتأليف هذه الأسفار ، وتاريخ تأليفها ، واللغات التى ألفت بها والتى ترجمت اليها ، وما تشتمل عليه من عقيدة وشريعة وقصص ، والأسفار الأخرى غير المعتمدة عند اليهود ، والأسفار التى تعمد أحبـارهم اخفاءهـا ، والفرق اليهودية وما بينها من خلاف فى العقائد والشرائع وصـلة ذلك بالأسـفار ، وموقف الاسلام من هذه الأمور ٠

— ١ —

نظرة مجملة فى تاريخ بنى اسرائيل

هاجر يعقوب (الملقب باسرائيل) هو وأولاده من بلاد كنعان (فلسطين وما اليها) الى مصر على أثر ما حاق بموطنهم القديم من مجاعة وما أصاب مراعيها من جفاف (١) . وكان الوزير الأول بمصر هو يوسف عليه السلام أحد أبناء يعقوب نفسه . فأكرم مثوى أبيه وأخوته ، وعطف عليهم قلب فرعون ملك مصر ، وأقطعهم بأمره أرضا فى أخصب البقاع (٢) . وظلت سلالات بنى اسرائيل بمصر حينا من الدهر تنعم بكرم المصريين ورعايتهم وتقديرهم لجهودهم وكفاياتهم ، حتى لقد وصل كثير منهم الى أعلى الدرجات والمناصب (٣) . ثم تغير موقف المصريين منهم فيما بعد الى نقيض ما كان عليه ، لخشيتهم من تكاثر عددهم الذى زاد على عدد المصريين أنفسهم ومن استفحال نفوذهم فى البلاد (٤) ، فأصبحوا موضع مقتهم واضطهادهم ، يسومونهم سوء العذاب ، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، ويتخذون منهم خدما وعبيدا ، ويسخرونهم فى أشق الأعمال (٥) . وبقى بنو اسرائيل أمدا طويلا يرزحون تحت نير هذا الاستعباد ، وتنوشهم معاول هذه الابادة ، حتى أرسل الله اليهم والى فرعون وقومه رسولين اسرائيليين من نسل لاوى (ليفى Lévi) أحد أبناء يعقوب هما موسى وأخوه هارون عليهما السلام ، يبلغانهم رسالة التوحيد ، ويدعوانهم الى عبادة الله وحده ، وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان والكواكب وأرواح الموتى والملوك والحيوان والنبات ، ويقدمان لهم شريعة سماوية سمحة ، هى الديانة اليهودية ، تفصل ما ينبغى أن يكونوا عليه فى شئون دينهم ودنياهم ، فآمن بهما بنو اسرائيل ، وكذب بهما فرعون وقومه الا قليلا منهم . وظل موسى وهرون

---

(١) سفر التكوين ، اصحاح ٤٧ فقرة ٤ .
(٢) سفر التكوين ، اصحاح ٤٧ فقرة ١١ .
(٣) انظر فى هجرة يعقوب وأولاده الى مصر سورة يوسف من القرآن الكريم وسفر التكوين من اصحاح ٤٦ الى آخر السفر .
(٤) سفر الخروج ، الاصحاح الأول ، فقرة ٩ .
(٥) انظر فى ذلك القرآن الكريم ، سورة البقرة آية ٤٩ ، والاصحاح الأول من سفر الخروج .

وقومهما بنو اسرائيل بعد ذلك فى مشادات مع فرعون وقومه حتى أتيح لهم الخروج من مصر الى صحراء سيناء فى قصة مشهورة ذكرت وقائعها فى كثير من سور القرآن الكريم ، وتحدث عنها بتفصيل « سفر الخروج » وهو أحد أسفار العهد القديم ٠

وقد استحال بنو اسرائيل فى أثناء الفترة التالية لخروجهم من مصر حتى استقرارهم فى أرض كنعان ، وتبلغ حوالى أربعين سنة ، الى قبائل من البدو الرحل ، يضربون فى صحراء سينا والمناطق المتاخمة لها ، متنقلين فى أرجائها ، « تائهين » حسب تعبير القرآن الكريم فى دروبها وفيافيها (٦) ٠ وكان موسى قد طلب اليهم دخول الأرض المقدسة التى كتبها الله لهم ، وهى أرض فلسطين، وقتال أهلها ، ووعدهم بالنصر ، فتقاعسوا عن ذلك جبنا وخورا ، فكتب الله عليهم هذا التيه ، حتى يفنى هذا الجيل الجبان ، وينشأ جيل آخر ربى على التخشن وتمرس بشئون القتال (٧) ٠

وفى أثناء هذه الفترة توفى هارون ثم موسى عليهما السلام ، ولكن بعد أن أكمل الله لبنى اسرائيل دينهم وأتم عليهم نعمته ، وبعد أن تلقى موسى من ربه التوراة «فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » (٨) ٠ وقد استوعبت جميع تفاصيل هذه الديانة عقائدها وشرائعها وأخلاقها وقصصها : « وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء » (٩) ٠

وحوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد أغار بنو اسرائيل بقيادة يوشع Josué خليفة موسى بعد وفاته على بلاد كنعان (فلسطين وما اليها وهى الأرض المقدسة

---

(٦) انظر آية ٢٦ من سورة المائدة : « قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض » ٠

(٧) انظر التصوير الرائع للحوار الذى جرى بين موسى وقومه اذ يستحثهم على دخول الأرض المقدسة ، وهى أرض فلسطين ، وهم يتقاعسون عنها خوفا من أهلها ، فى آيات ٢٠ — ٢٦ من سورة المائدة ٠

(٨) آية ٤٤ من سورة المائدة : «انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ...» الآية.

(٩) آية ١٤٥ من سورة الأعراف ٠

التي وعدهم الله بها) واحتلوها واستولوا على جميع ما فيها من خيرات وثروات، بعد أن أبادوا معظم أهلها واستعبدوا من أبقوا عليه منهم • فانتهت لديهم بذلك حياة الخشونة والبداوة والتنقل ، وافتتحوا عهد الدعة والحضارة والاستقرار ، وسكنوا المدن والقرى والمنازل والقصور التي ورثوها عن الكنعانيين • وأخذت مزاولتهم لشئون دينهم تسير على طريق منظم تحت اشراف أحبارهم وربانييهم وفقهائهم وسدنة مساجدهم ومذابحهم ، وكان معظم هؤلاء يتألفون من نسل لاوى أحد أبناء يعقوب وهم رهط موسى وهارون • أما رؤساؤهم السياسيون فكانوا فى صدر هذه المدة من القضاة Juges ، ثم لما اتسع نفوذ بنى اسرائيل أصبح رؤساؤهم السياسيون ملوكا ذوى سلطان كبير ، ومنهم داود وسليمان عليهما السلام •

وفى سنتى ٥٩٦ و٥٨٧ قبل الميلاد أغار بختنصر Nabuchonosor ملك بابل على فلسطين ، فأزال ملك بنى اسرائيل ، وأسر منهم عددا كبيرا أجلاهم الى بابل (ومن ثم اشتهر ذلك فى التاريخ باسم نفى بابل) حيث ظلوا فى الأسر زهاء خمسين سنة حتى تغلب كورش Cyrus ملك الفرس على البابليين عام ٥٣٨ قبل الميلاد ، فأطلق سراح اليهود ، ورجع كثير منهم الى فلسطين ، واستعادوا بعض أوضاع حياتهم الأولى ، ولكنهم فقدوا استقلالهم ، ولم ينعموا به بعد ذلك الا فترات قصيرة • فوقعوا أولا تحت سيطرة الفرس ، وظلوا كذلك زهاء قرنين كاملين ، ثم وقعوا تحت سيطرة المقدونيين خلفاء الاسكندر الأكبر ، ثم تحت سيطرة الرومان •

وفى سنة ١٣٥ بعد الميلاد أخمد الرومان فى عهد الأمبراطور هارديان Hadrien ثورة قام بها اليهود (من ١٣٠ الى ١٣٥) واستخدموا فى اخمادها أعنف وسائل البطش ، فدمروا بلادهم ، وأخرجوهم من ديارهم ، فأصبحوا مشتتين هائمين على وجوهم فى مختلف بقاع الأرض حتى يومنا هذا ، على الرغم من انشاء دولتهم المزعومة ومن هجرة شرذمة من آفاقيهم الى بلادها •

والى اجلاء بنى اسرائيل من بلادهم فى هاتين المرتين يشير القرآن الكريم اذ يقول : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا • فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس

شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا • ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا • ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وأن أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة (أى وعد المرة الآخرة وهو الجلاء الثانى) ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » (١٠) •

وقد تنكب بنو اسرائيل الصراط المستقيم ، وخرجوا على تعاليم دينهم وعقائده عدة مرات فى عهد موسى نفسه ومن بعده ، حتى لقد عبدوا العجل وهرون بين ظهرانيهم وموسى يتلقى الألواح من ربه • وبعث الله فيهم من بعد موسى وهرون عدة رسل وأنبياء يهدونهم سواء السبيل ، ويحاولون انقاذهم مما انحدروا اليه من كفر وضلال ، فما كانوا يلاقون منهم الا الاعراض والتكذيب ، بل كانوا يلاقون منهم أحيانا التعذيب والتقتيل • وفى هذا يخاطبهم القرآن الكريم اذ يقول : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون !؟ » ، ويقول مبينا تكذيبهم للقرآن ولأسفارهم نفسها وتمردهم على موسى والأنبياء من بعده : « واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين • ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون • واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا ، واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ، قل بئس ما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » (١١) ، ويقول : « ••• وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (١٢) •

---

(١٠) آيات ٢ ـ ٥ من سورة الاسراء •
(١١) آيات ٨٧ ، ٩١ ، ٩٣ من سورة البقرة •
(١٢) آية ٦١ من سورة البقرة •

- ٢ -

نظرة مجملة فى اللغات العبرية والآرامية واليونانية

استخدم فى تاليف أسفار الديانة اليهودية وفى شرحها وترجمتها الأولى ثلاث لغات ، وهى العبرية والآراميــة واليونانية ٠ ولذلك رأينــا التمهيــد لدراسة هذه الأسفار بكلمة مجملة عن هذه اللغات الثلاث ٠ وسنفيد من هذا التمهيد فى دراسة العهد الجديد الذى سنتحدث عنه فى الفصل الثانى من هذا الكتاب ، الأن أسفار هــذا العهد كذلك قــد استخدم فى تاليفها وترجمتهــا الأولى لغتان من هذه اللغات الثلاث وهما الآرامية واليونانية ٠

اللغة العبرية :

تطلق اللغة العبرية على لغة فرع واحــد من العبريين ، وهــو فرع بنى اسرائيل ٠ وذلك أن الأمم العبرية تتالف من بنى اسرائيل وشعوب أخرى كآل آدوم وآل مؤاب وآل عمون ٠ ولكن لا يطلق اسم اللغة العبرية الا على لغة بنى اسرائيل وحدهم ٠

وقد اجتازت هذه اللغــة مراحل كثيرة تأثرت فى كل مرحلة منهــا ، فى مفرداتها وقواعدها وأساليبها ، بعدة مؤثرات أهمها الشئون السياسية وما طرأ على وحدة بنى اسرائيل واستقلالهم وعلاقتهم بالشعوب الأخرى واحتكاك لغتهم وثقافتهم بلغاتهم وثقافتهم ٠ فاللغة مرآة ينعكس فيها ما يكتنف الناطقين بها فى حياتهم الاجتماعية والعقلية من ظروف ومؤثرات ٠ وترجع أهم مراحل هذه اللغة الى عصرين رئيسيين :

العصر الأول من نشأة هذه اللغة (حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد) الى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، أى طوال المدة التى كانت العبرية فى أثنائها لغة حية يتكلم بها بنو اسرائيل ٠ وفى المرحلة الأولى من هذا العصر ، وهى المرحلة السابقة لنفى بابل (أى السابقة لسنة ٥٨٧ قبل الميلاد) كانت العبرية فصيحة خالصة من الشوائب ، بينما أخذت بوادر التأثر باللغة الآرامية تنفذ اليها فى أثناء المرحلة الأخيرة ، وهى اللاحقة لهذا النفى ٠ وتسمى العبرية فى هذا العصر بمرحلتيه « العبرية القديمة » أو « عبرية العهد القديم » ، لأن أهم ما وصل الينا من آثارها فى هذا العصر بمرحلتيه هى أسفار «العهد القديم» ٠

والعصر الثانى يبدأ من العهد الذى انقرضت فيه اللغة العبرية من التخاطب لدى بنى اسرائيل ، وحلت محلها فى ألسنتهم اللغة الآرامية ، واقتصر استخدام العبرية على الكتابة وشئون الدين ، أى من أواخر القرن الرابع قبل الميلاد . وتمتاز العبرية فى هذا العصر بشدة تأثرها باللغة الآرامية وببعض اللغات الهندية الأوروبية التى احتك اليهود بأهلها احتكاكا سياسيا أو ثقافيا وخاصة اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية . وتسمى العبرية فى أثناء المرحلة الأولى من هذا العصر ، وهى المرحلة التى تنتهى بالقرن السادس الميلادى ، « العبرية الربانية » أو « التلمودية » ، لأن أهم ما وصل الينا من آثارها فى هذه المرحلة يتمثل فى بحوث « الربانيين » فى أسفار « المشناة » من «التلمود» كما سيأتى بيان ذلك (١٣) .

اللغة الآرامية :

أصبحت اللغة الآرامية بعد تغلبها على اللغة العبرية فى فلسطين وما اليها وعلى اللغة الأكادية (أو البابلية الأشورية) فى مناطق العراق ، أى منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، اللغة السائدة فى التخاطب والكتابة فى جميع بلاد العراق من جهة وفى سوريا وفلسطين وما اليهما من جهة أخرى .

وباللغة الآرامية كتب من أول الأمر بعض فصول وفقرات فى بعض أسفار العهد القديم (بعض فصول من سفرى عزرا ودانيال وفقرة واحدة من سفر أرمياء) ، وكتب بها من أول الأمر كذلك انجيل متى فى العهد الجديد .

وباللغة الآرامية شرحت أسفار « المشناة » اليهودية ، وسمى شرحها هذا « الجمارا » (وتألف من المتن العبرى وهو « المشناة » والشرح الآرامى وهو « الجمارا » ما يسمى « التلمود ») .

والى اللغة الآرامية ترجمت أسفار العهد القديم من أصلها العبرى أحيانا ومن ترجمتها اليونانية أحيانا ، وترجم اليها كذلك أسفار العهد الجديد من أصلها اليونانى (١٤) .

---

(١٣) انظر فى تفاصيل اللغة العبرية وأدوارها وخصائصها ورسمها كتابنا « فقه اللغة » الطبعة السادسة ، صفحات ٤١ - ٥١ .

(١٤) انظر فى تفاصيل اللغة لآرامية وأدوارها وفروعها كتابنا «فقه اللغة» ، الطبعة السادسة ، صفحات ٥٢ - ٦٧ .

اللغــة اليونانية :

كانت اللغة اليونانية لغة الحديث والكتابة فى جميع البلاد اليونانية الأصل وفى جميع مستعمرات اليونان بآسيا وأفريقيا ، كما كانت لغة الآداب والثقافة والعلوم فى كثير من البلدان غير اليونانية اللسان ، وخاصة فى بلاد العراق والشام وفلسطين وشمال أفريقيا ، بل فى مصر نفسها ؛ فقد كان المصريون من عهد البطالسة الى الفتح العربى يستخدمون المصرية القديمة فى تخاطبهم وحديثهم العادى ، بينما كانوا يستخدمون اليونانية فى شئون الكتابة والثقافة والآداب والعلوم .

وباللغة اليونانية ألفت جميع أسفار العهد الجديد ما عدا انجيل متى ، فالراجح أنه ألف بالآرامية ثم ترجم الى اليونانية ، وان كان الأصل الآرامى لم يصل الينا .

والى اللغة اليونانية تمت أقدم ترجمة لأسفار العهد القديم من أصلها العبرى وهى الترجمة السبعينية (وهى التى تمت فى سنتى ٢٨٢ و ٢٨٣ على يد اثنين وسبعين حبرا من يهود مصر بأمر بطليموس فيلادلف ، ومراعاة لعدد من قام بها سميت الترجمة السبعينية Version de Septante) . والى اللغة اليونانية تمت كذلك أقدم ترجمة لانجيل متى فى العهد الجديد من أصله الآرامى .

ومن اللغة اليونانية ترجمت أسفار العهدين القديم والجديد الى اللغة اللاتينية . وعن اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسفار الى معظم لغات العالم قديمها وحديثها (١٥) .

— ٣ —

العهــد القــديم

اعتمد اليهود فى أسفارهم تسعة وثلاثين سفرا أطلق عليها فى العصور المسيحية اسم « العهد القديم » Ancien Testament للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التى أطلقوا عليها اسم « العهد الجديد » Nouveau Testament — . واعتبروا هذه الأسفار التسعة والثلاثين أسفارا مقدسة أى موحى بها .

---

(١٥) انظر فى تفاصيل اللغة اليونانية وفروعها وآدابها كتابنا « علم اللغة » الطبعة السادسة ص ١٨١ ، وكتابنا « الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى » .

ويراد بكلمة « العهد » في هاتين التسميتين - كما ذكرنا ذلك في مقدمة هذا الكتاب - ما يرادف معنى الميثاق ، أي ان كلتا المجموعتين تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه alliance : فأولاهما تمثل ميثاقا قديما من عهد موسى ؛ والأخرى تمثل ميثاقا جديدا من عهد عيسى .

وتنقسم أسفار العهد القديم أربعة أقسام :

(القسم الأول) كتب موسى أو الأسفار الخمسة أو « البانتاتيك » .
(Pentateuque : du grec "Penta" — cinq, et "teukhos" — livre)

وهي سفر التكوين وسفر الخروج وسفر التثنية وسفر اللاويين وسفر العدد . - وتشتمل هذه الأسفار الخمسة على التوراة في نظر اليهود .

أما سفر التكوين (Génèse) فيقص تاريخ العالم من تكوين السماوات والأرض (ومن ثم سمي سفر « التكوين ») الى استقرار أولاد يعقوب أو اسرائيل (وهو اسم آخر أو لقب ليعقوب) في أرض مصر ، مع تفصيل في قصص آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل سام (أحد أبناء نوح ، وهو الذي انحدر منه شعب بني اسرائيل) وخاصة ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف والأسباط ، واجمال فيما عدا ذلك .

وأما سفر الخروج (Exode) فيعرض تاريخ بني اسرائيل في مصر وقصة موسى ورسالته وخروجه مع بني اسرائيل (ومن ثم سمي سفر « الخروج ») وتاريخهم في أثناء مرحلة « التيه » التي قضوها في صحراء سينا واستغرقت أربعين عاما ، وهي التي يشير اليها القرآن الكريم اذ يقول : « قال فانها محرمة عليهم » (أي أرض الميعاد ، وهي بلاد كنعان التي وعدهم الله بها) « أربعين سنة يتيهون في الأرض (١٦) » . وبجانب هذه القصص يشتمل سفر الخروج على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات ... وما الى ذلك .

وأما سفر التثنية فقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة وشئون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات ... وهلم جرا . وسمي « التثنية » لأنه « يعيد » ذكر التعاليم التي تلقاها موسى من ربه وأمر بتبليغها الى بني اسرائيل .
(Deutéronome, du grec "deutérônomion = seconde loi)

وأما سفر اللاويين (Lévitiques) فقد شغل معظمه بشئون العبادات وخاصة ما تعلق منها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور -

---

(١٦) آية ٢٦ من سورة المائدة .

واللاويون هم نسل « لاوى » أو « ليفى » Lévi أحد أبناء يعقوب ، ومنهم موسى وهرون . وكان اللاويون سدنة الهيكل والمشرفين على شئون المذبح والأضحية والقرابين والقوامين على الشريعة اليهودية . ومن ثم نسب اليهم هذا الكتاب الذى شغل معظمه بما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات .

وأما سفر العدد (Nombres) فقد شغل معظمه باحصائيات عن قبائل بنى اسرائيل وجيوشهم وأموالهم وكثير مما يمكن احصاؤه من شئونهم (ومن ثم سمى سفر « العدد ») وبأحكام تتعلق بطائفة من العبادات والمعاملات .

(والقسم الثانى) يسمى بالأسفار التاريخية ، وهى اثنى عشر سفرا تعرض لتاريخ بنى اسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم فى فلسطين ، وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة فى شئونهم . وهى أسفار يوشع (١٧) Josué والقضاة (١٨) Juges وراعوث (١٩) Ruth وصموئيل (٢٠) (سفران) والملوك (٢١) (سفران) وأخبار الأيام Croniques (سفران) (٢٢) وعزرا (٢٣) Esdras ونحميا (٢٤) Néhémie

---

(١٧) هو فتى موسى وخليفته وهو الذى قاد جيش بنى اسرائيل فى دخوله بلاد كنعان واغارته على أهلها .

(١٨) هم الذين تولوا شئون الحكم بعد استيلاء بنى اسرائيل على بلاد كنعان.

(١٩) هى جدة داود من جهة أبيه .

(٢٠) هو أحد أنبيائهم وآخر قضاتهم وهو الذى عين لهم أول ملوكهم ، وقد وردت قصته فى القرآن الكريم فى آيات ٢٤٦ـ٢٤٨ من سورة البقرة ، ووردت بعد ذلك قصة أول ملك من ملوكهم فى آيات ٢٤٩ ـ ٢٥١ .

(٢١) هم الذين تولوا الحكم بعد القضاة وأولهم طالوت Saül ثم داود وسليمان . ولكن السفر الأول من سفرى الملوك يبدأ بتاريخ سليمان .

(٢٢) تعرض الاصحاحات التسعة الأولى من السفر الأول لشجرة النسب من آدم الى بنى اسرائيل . وما بقى من هذا السفر يعرض لتاريخ داود . وتعرض الاصحاحات التسعة الأولى من السفر الثانى لتاريخ سليمان . وما بقى من اصحاحات هذا السفر يعرض للتاريخ السياسى لبنى اسرائيل بعد سليمان.

(٢٣) يرجع اليه الفضل فى اعادة طائفة من بنى اسرائيل فى القرن الخامس ق م من منفاهم فى بابل الى أوطانهم ، وقد حرر الديانة اليهودية وأعاد اليها بعض معالمها وجدد بناء بيت المقدس . واليه ينسب تحرير كثير من أسفار العهد القديم . ونال منزلة كبيرة فى نفوس بنى اسرائيل حتى لقد اعتقدت بعض فرقهم انه ابن الله ، والى هذا يشير القرآن الكريم اذ يقول : « وقالت اليهود عزير ابن الله » (آية ٣٠ من سورة التوبة) .

(٢٤) ساعد عزرا فى اعادة تشييد فلسطين وحصل من ملك الفرس على موافقته على ذلك .

واستير (٢٥) Esther

(والقسم الثالث) يسمى أسـفار الأناشيد أو الأسـفار الشعرية ، وهى أناشيد ومواعظ معظمها دينى مؤلفة تأليفا شعريا فى أساليب بليغة ، وعددها خمسة أسـفار ، وهى سـفر أيوب (٢٦) Job ومزامير داود Psaumes وأمثال سليمان Proverbes والجامعة من كلام سليمان Ecclésiaste ونشيد الأناشيد لسليمان Cantique des Cantiques

(والقسم الرابع) يسمى أسـفار الأنبياء ، وعددها سـبعة عشر سـفرا ، وهى أسفار أشعياء Esaïe وأرمياء Jérémie ومراثى أرمياء Lamentations de Jérémie وحذقيال Ezechiel ودانيال Daniel وهوشع Osée ويوئيل Joël وعاموس Amos وعوبديا Abdias ويونس أو يونان Jonas وميخا Michée وناحوم Nahum وحبقوق Habakuk وصفنيا Sophonie وحجى Aggée وزكريا Zackarie وملاخى أو ملاخيا Malachie

وجميع هؤلاء من الأنبياء اسرائيليون وأرسلوا الى بنى اسرائيـل ما عدا يونس فانه يظهر من عبارات كتابه أنه مرسل الى نينوى ، وهو النبى يونس المذكور فى القرآن .

هذا ، وقد ذكر كثير من مؤرخى العرب بين أسـفار العهد القديم كتبا ليست منه ، كما ذكروا كتبا لا وجود لها بين الكتب المعتمدة ولا بين الكتب الخفية عند اليهود ، وأغفلوا ذكر طائفة من الأسفار المعتمدة ، وحرفوا كثيرا من أسماء ما ذكروه منها (٢٧) .

---

(٢٥) يهودية كانت زوجة لأحد ملوك الفرس ، وأحبطت مؤامرة دبرها أحد وزراء هذا الملك ضـد اليهـود وعملت على القضـاء عليه وعلى أعوانه فى هذه المؤامرة .

(٢٦) يبدو من عبارات هذا السفر أن أيوب صاحبه من بنى عيسو (أخو يعقوب التوأم) وليس من بنى اسرائيل ، وهو أيوب المذكور فى القرآن .

(٢٧) انظر مثلا ابن خلدون فى المقدمة ، وانظر تعليقاتى فى هذا الصدد على مقدمة ابن خلدون بصفحات ٧٦٣-٧٦٥ (الجزء الثانى ، طبعة لجنة البيان العربى ، الطبعة الثانية) . هذا ، ومعظم الأسفار التى ذكرها ابن خلدون من زيادات الترجمة اللاتينية التى اعتمدتها الكنيسة الكاثوليكية ، والتى سيأتى بيانها فى الفقرة السادسة من هذا الفصل .

- ٤ -
التوراة أو أسفار موسى أو الأسفار الخمسة وتاريخ كل سفر منها

هذا وأهم أسفار العهد القديم هي أسفار القسم الأول التي ينسبها اليهود الى موسى ويعتقدون أنها بوحي من الله وأنها تتضمن التوراة . ولكن ظهر للمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار ، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع ، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها ، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير (وعصر موسى يقع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) ، وأن معظم سفري التكوين والخروج قد ألف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن سفر التثنية قد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، وأن سفري العدد واللاويين قد ألفا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد أي بعد النفي البابلي الذي سبقت الاشارة اليه في الفقرة الأولى من هذا الفصل (وهو اجلاء بنى اسرائيل الى بابل سنة ٥٨٧ قبل الميلاد) ، وأنها جميعا مكتوبة بأقلام اليهود ، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل ، كما سنذكر ذلك عند كلامنا على العقيدة والشريعة في أسفار اليهود . فهي اذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التي يذكر القرآن أنها كتاب سماوي مقدس أنزله الله على موسى . والى هذا يشير القرآن الكريم اذ يقول : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ؛ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » (٢٨) ، واذ يقول : « ... والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ؛ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » (٢٩) ، واذ يقول : « فبما نقضهم ميثاقهم » (يعنى اليهود) « لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به » (٣٠) . وقد رأى عليه الصلاة والسلام ورقة من التوراة في يد عمر فأمره بالقائها وألا يضيع وقته في قراءة ما بها من كذب وتحريف ، ثم قال : « ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟! والله لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا اتباعي » ؛ أي ان هذه التوراة المزعومة ملطخة بسواد التحريف والتغيير ؛ وقد أنزل الله على الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن ملخصا لما كانت تشتمل عليه التوراة من عقيدة وشريعة وقصص ،

---

(٢٨) آية ٧٩ من سورة البقرة .
(٢٩) آية ٤٦ من سورة النساء .
(٣٠) آية ١٣ من سورة المائدة .

فأحياها فى صورتها الصحيحة نقية بيضـاء ، وأن موسى لو بعث الآن لتبرأ من توراتهم واتبع قـرآن محمـد ٠

وعلى أساس هذه التحقيقات الحديثة بشأن التواريخ التى ألفت فيها هذه الكتب الخمسة ، وضعنا سـفر التثنية فى ترتيبنا قبل سفرى اللاويين والعدد لأنه قد ألف فى عصر سابق للعصر الذى ألف فيه هذان السفران ، وان كان الترتيب التقليدى للعهد القديم يضعه فى أواخر الأسفار الخمسة ٠

— ٥ —

بقيـة أسفار العهد القـديم وتاريخ كل سفر منها

وعلى أساس هذه التحقيقات الحديثة نفسها يرجح الباحثون أن قسـما من الأسـفار الأخرى للعهد القديم قـد ألف فى الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن التاسع وأوائل السادس قبل الميلاد ، ويشـمل هذا القسم أسـفار يوشع والقضاة وصموئيل والملوك والأمثال ونشيد الأناشيد ومعظم أسـفار الأنبياء ، وأن قسما آخر قد ألف فى الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد ؛ ويشمل هذا القسم أسـفار يونس وزكريا وقسما من سفر دانيال ٠

— ٦ —

اللغات التى ألفت بها أسفار العهد القديم والتى ترجمت اليها

دونت جميع أسـفار العهد القديم بلغة واحدة وهى اللغة العبرية ٠ وان كانت التراكيب والأساليب وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الأسفار وتنم على العصور التى ألف فيها كل سفر منها ٠ ولا يستثنى من ذلك الا بعض أجزاء يسيرة ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية وهى بعض أجزاء من سفرى عزرا Esdras ودانيال وفقرة واحدة من سـفر أرمياء Jérémie وكلمتان اثنتان فى سفر التكوين وردتا باللغة الآرامية عن قصد ٠ ويرجح الباحثون أن ما ألف بالآرامية مباشرة من سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه الى حوالى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد وأن ما ألف بها من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه الى سنة لاحقة لهذا التاريخ ٠

وقد أخطأ بعض مؤرخى العرب اذ قرروا أن جميع أسـفار العهد القديم قد ألفت باللغة العبرانية ٠

وأقدم ترجمة للعهد القديم هى الترجمة اليونانية التى اشتهرت باسم « الترجمة السبعينية » Version de Septante وهى التى تمت فى سنتى ٢٨٢ و ٢٨٣ قبل الميلاد على يد اثنين وسبعين حبرا من يهود مصر بأمر بطليموس فيلادلف ٠

وتشتمل الترجمة السبعينية على عدة أسفار لا توجد فى الأصل العبرى الذى وصل الينا ٠ وهذه الأسفار هى : سفر طوبيا Tobie ؛ وسفر الحكمة لسليمان Sagesse de Salomon ؛ وأسفار المكابيين وعددها أربعة أسفار 4 livres des Maccabées ؛ وسفر يهوديت Judith ؛ وسفر الكهنوت أو سفر الحكمة ليسوع بن سيراخ L'Ecclésiastique, ou Sagesse de Jésus fils de Sirach ؛ ونشيد الأطفال الثلاثة Cantique des Trois Enfants ، وسفر سوزان Suzane ؛ وسفر بل والتنين Bel et le Dragon ؛ وثلاثة أسفار منسوبة لعزرا زيادة على السفر المثبت فى الأصل العبرى ؛ وبعض زيادات فى سفر دانيال ٠

وعن الترجمة السبعينية ترجمت أسفار العهد القديم الى اللغة اللاتينية La Vulgate Latine. ومع أن هذه الترجمة اللاتينية كانت ترجمة للسبعينية اليونانية ، فانها لم تأت مطابقة لها كل المطابقة ، فقد اشتملت على سفرين اثنين فقط للمكابيين (أسفار المكابيين فى السبعينية أربعة أسفار) ، وحذف منها أسفار عزرا الثلاثة التى زيدت فى السبعينية على الأصل العبرى وزادت سفر باروخ (٣١) ٠ وفيما عدا ذلك لا يوجد بين الترجمتين خلاف ذو بال ٠

وفضلا عن الأسفار والأجزاء التى تزيد بها الترجمتان اليونانية واللاتينية عن الأصل العبرى ، فانهما فى بعض المواضع لا تنطبقان على هذا الأصل تمام الانطباق ٠ ولم يعرف الى الآن على وجه اليقين الأسباب التى أدت الى هذه الزيادات وهذا الاختلاف ٠

وقد أقرت الكنيسة الكاثوليكية المسيحية جميع الأسفار والأجزاء التى تزيد بها الترجمة اللاتينية عن الأصل العبرى واعتبرتها كلها أسفارا وأجزاء مقدسة واعتبرتها من أسفار العهد القديم وأجزائه ٠ ولكن معظم البروتستانت

---

(٣١) باروخ (Baruch (ruk هو تلميذ أرمياء Jérémie ٠ وقد أملى عليه أرمياء تنبؤاته ٠ وسفره هذا يمكن أن يعد من أسفار الأنبياء ويلحق بسفر أرمياء ومراثى أرمياء ٠ ويتضمن هذا السفر صلوات وأدعية دينية لليهود ألفت بأسلوب رائع ٠ ويرجع تاريخ باروخ الى حوالى القرن السادس ق م ٠

من المسيحيين لا يعتبرون هذه الزيادات مقدسة ولا يعتبرونها من العهد القديم • وأمــا اليهود أنفسهم فانهم يدخلون فى القسم الذى يسمونه « الأسفار الخفية » Apocryphe ، والذى سيأتى الكلام عليه فى الفقرة التالية ، جميع ما تزيد به الترجمتان عن الأصل العبرى من أســفار وأجزاء • و « الأســفار الخفية » عندهم لا يدخل شىء منها فى العهد القديم ، ولكن بعضها يمكن أن يكون مقدسا فى نظرهم (٣٢) •

وفضــلا عن الترجمتين اليونانية واللاتينية فان العهد القديم قد ترجم الى لغات أخرى كثيرة •

فقد ترجمه أحبار اليهود من مدرسة بيت المقدس من العبرية الى « اللهجة الآرامية الحديثة » وهى احدى لهجات اللغة الآرامية وكانت مستخدمة فى منطقة فلسطين وما اليها • وساروا فى ترجمتهم هذه على منهج خاص يختلف عن مناهج التراجم المعتادة • فكانوا يدونون الفقرة بنصها العبرى ثم يتبعونها بترجمتها الى اللغة الآرامية • وقد أطلق على كتبهم هذه اسم « الترجوم » • ومن أشهرها ترجوم أنقلوس Onclos وهو ترجمة لأسفار التوراة وحدها (الأسفار الخمسة أو أسفار موسى التى يتألف منها القسم الأول من العهد القديم وتتضمن التوراة فى نظرهم) ، وترجوم يوناثان وهو ترجمة لبقية أسفار العهد القديم • وقد ألفت ترجماتهم هذه فى الفترة الواقعة بين أوائل القرن الثانى وأواخر الخامس بعد الميلاد ، وتم معظمها فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين •

وفى هذه الفترة نفسها (بين أوائل الثانى وأواخر الخامس بعد الميلاد) ترجمت مدرسة الكنيسة المسيحية السريانية العهدين القديم والجديد الى اللغة السريانية ، وهى احدى شعب اللغة الآرامية ، ولم يترجموه عن العبرية مباشرة كما فعل أحبــار اليهــود من مدرسة بيت المقدس وانما ترجموه عن الترجمة السبعينية اليونانية • والترجمة السريانية لا تكاد تبين عن روح اللغة العبرية التى ألفت بها هذه الأسفار •

وترجم المســيحيون بفلســطين العهدين القديم والجديد الى اللغة الآرامية الفلسطينية الحديثة ، وهى احدى اللهجات الآرامية التى كانت مستخدمة فى

---

(٣٢) من فرق اليهود المنقرضة فرقة كانت تسمى فرقة السامرية • وهذه الفرقة كانت لا تؤمن الا بسبعة أسفار من العهد القديم ، وهى أسفار موسى الخمسة وسفر يوشع وسفر القضاة ، وتنكر ما عدا ذلك ، كما سيأتى بيان ذلك فى ص ٥٨ •

فلسطين وما اليها ، وذلك بعد أن استقلوا فى ثقافتهم وشئونهم الدينية عن الكنيسة السريانية • وقد تم لهم هذا الاستقلال فى أواخر القرن الخامس الميلادى• ولم يترجموه عن العبرية مباشرة كما فعل مواطنوهم اليهود من مدرسة بيت المقدس ، وانما ترجموه عن الترجمة السبعينية اليونانية كما فعل السريان • وجاءت ترجمتهم هذه ترجمة حرفية كالترجمة السريانية ، بل تزيد فى حرفيتها عن الترجمة السريانية ، وتقل عنها فى مبلغ ابانتها عن روح اللغة العبرية وأساليبها • وقد استغرقت ترجمتهم للعهدين القديم والجديد مدة طويلة تمتد من القرن الثامن الى الحادى عشر بعد الميلاد •

وعن الترجمتين اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسفار الى معظم لغات العالم قديمها وحديثها (٣٣) •

- ٧ -
الأسفار « الخفية » عند اليهود

وبجانب هذه الأسفار التى يتألف منها العهد القديم توجد أسفار يهودية قديمة أخرى لم يدخلها اليهود فى أسفار هذا العهد • ويطلقون عليها اسم « الأسفار الخفية » •
(Apocryphe du grec: "apokruphos", de "apokruptien=cacher).

وبعض هذه الأسفار الخفية غير مقدس ولا معتمد فى نظر اليهود ، بينما بعضها الآخر مقدس أى معترف بأنه موحى به ومعتمد فى نظرهم ، ولكن رأى أحبارهم وجوب اخفائه ، وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور ولا أن يدرج فى أسفار العهد القديم • والى هذا يشير القرآن الكريم اذ يقول فى صدد اليهود : « وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء ؛ قل من أنزل

(٣٣) ظهرت حديثا سنة ١٩٧٠ ترجمة انجليزية للكتاب المقدس كله (العهدين القديم والجديد) قام بها جماعة من اليهود المنتمين الى هيئات دينية يهودية ممركزة فى انجلترا • وتختلف هذه الترجمة عن الترجمات الانجليزية السابقة فى أنها صيغت بأساليب اللغة العادية لا بالأساليب الدينية التقليدية القديمة ، وفى اتسامها بالتحرر الكامل من قيود والتزامات جميع الترجمات السابقة ، وفى تصرفها فى معنى ومغزى بعض النصوص بالانحراف بها الى غير اتجاهها الأصلى أو باضافة أمور أخرى اليها ، وفى اشتمالها على اثنى عشر سفرا من الأسفار المعروفة بالأسفار الخفية (انظر الفقرة التالية) ، وانظر فى هذه الترجمة مقالا للاستاذ شوقى عبد الحكيم فى عدد ١٩٧٠/٩/٥ من أخبار اليوم)

الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا (٣٤) » ، واذ يقول : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب (٣٥) » ، واذ يقول : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » (٣٦) ، واذ يقول « ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » (٣٧) ٠

ومن هذا يظهر أن السفر قد يكون خفيا ومقدسا فى آن واحد عند اليهود ٠ وفى هذا يختلف الاصطلاح اليهودى بعض الاختلاف فى مدلول كلمة «الخفى» عن الاصطلاح المسيحى ٠ فالمسيحيون يطلقون كلمة « الخفى » apocryphe على كل سفر يرون أنه غير مقدس أى غير موحى به ، سواء أكان فى نظرهم صحيحا فى حقائقه وفى نسبته الى مؤلفه ، أم كان فى نظرهم غير صحيح فى حقائقه أو فى نسبته الى مؤلفه أو فى كلتيهما كانجيل برنابا وكتاب أعمال الرسل لبرنابا ؛ فان المسيحيين لا يعترفون بصحة ما جاء فيهما ولا بصحة نسبتهما الى برنابا كما سيأتى بيان ذلك فى الفقرتين السابعة والثامنة من الفصل الثانى من هذا الكتاب ٠

— ٨ —

أسفار « التلمود » وتاريخ تأليفها

تألف من بحوث أحبار اليهود وربانييهم وفقهائهم المنتمين الى فرقة الفريسيين (أشهر فرق اليهود كما سيأتى الكلام على ذلك فى الفقرة الأخيرة من هذا الفصل) فى شئون العقيدة والشريعة والتاريخ المقدس وما الى ذلك ثلاثة وستون سفرا ألفت فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد ، وأطلق عليهم اسم « المشناة » بمعنى المثنى أو المكرر أى انها تكرار وتسجيل للشريعة (Michna — repétition des lois, ou second loi) ؛ ثم شرحت هذه المشناة فيما بعد وأطلق على هذه الشروح اسم « الجمارا » أى الشرح أو التعليق

(٣٤) آية ٩١ من سورة الأنعام ٠
(٣٥) آية ١٥ من سورة المائدة ٠
(٣٦) آية ٥٩ من سورة البقرة ٠
(٣٧) آية ١٧٤ من سورة البقرة ٠

Gémara — commentaires. وألفت هذه الشروح في فترة طويلة تمتد من القرن الثاني الى أواخر السادس بعد الميلاد . وتألف من المتن والشرح (أى من المشناة والجمارا) ما أطلق عليه اسم « التلمود » بمعنى التعاليم = Talmud enseignement .

— ٩ —

اللغات التي ألفت بها أسفار التلمود والتي ترجمت اليها

ألفت أسفار « المشناة » باللغة العبرية ، وألفت شروحها المسماة «الجمارا» باللغة الآرامية ، فكان يدون المتن بلغته العبرية ثم يشرح بالآرامية .

وتسمى اللغة العبرية التى ألفت بها أسفار المشناة باللغة الربانية ، كما سبقت الاشارة الى ذلك في الفقرة الثانية من هذا الفصل . وهي تختلف اختلافا غير يسير عن اللغة العبرية التي ألفت بها أسفار العهد القديم . وذلك أن تأليف أسفار المشناة قد حدث بعد أن انقرضت العبرية من لغة التخاطب لدى بني اسرائيل وحلت محلها فى ألسنتهم اللغة الآرامية ، واقتصر استخدام العبرية لديهم على ميادين الكتابة وخاصة فى شئون الدين . ومن ثم تمتاز اللغة العبرية التي ألفت بها المشناة بشدة تأثرها باللغة الآرامية ، كما يبدو فيها كثير من مظاهر التأثر ببعض اللغات الآرية — الهندية — الأوربية التي احتك اليهود بأهلها احتكاكا سياسيا أو ثقافيا وخاصة اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية . فمع أن المشناة قد دونت باللغة العبرية فان كثيرا من المفردات التي وردت فيها مقتبس من الآرامية ، وتشتمل كذلك على عدد غير يسير من الكلمات اليونانية واللاتينية والفارسية . ولكن هذا لا ينقص شيئا من قيمتها اللغوية والتاريخية ؛ وذلك لأن ما بها من مفردات أجنبية لا يعد شيئا مذكورا بجانب ما استخدمته من المفردات العبرية التي لا يوجد بعضها فى العهد القديم نفسه .

وأما شروح المشناة وهي المسماة «الجمارا» وهي التي ألفت باللغة الآرامية ، فقد قامت بها مدرستان :

(احداهما) مدرسة يهود فلسطين . وقد ألفوا شروحهم هذه باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة وهي اللهجة نفسها التى استخدمها هؤلاء في ترجمة العهد القديم كما سبقت الاشارة الى ذلك في الفقرة السادسة من هذا الفصل . واستغرق لديهم تأليف هذه الشروح فترة طويلة تمتد من القرن

الثاني الى أواخر الخامس بعد الميلاد • وان كان معظمها قد تم فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين • وتألف من شروحهم هذه مع المتن نفسه (أى مع أسفار المشناة) ما يعرف بتلمود بيت المقدس •

(والأخرى) مدرسة يهود بابل • وقد ألفوا شروحهم هذه باللهجة الآرامية الجنوبية الشرقية (وهى احدى لهجات اللغة الآرامية) ، وشرعوا فيها منذ أوائل القرن الرابع بعد الميلاد ولم يفرغوا منها الا فى القرن السادس الميلادى • وتألف من شروحهم هذه مع المتن نفسه ما يعرف بتلمود بابل •

وعن اللغتين العبرية والآرامية ترجم التلمود الى كثير من لغات العالم قديمها وحديثها •

— ١٠ —
العقيدة فى أسفار اليهود وتطورها

كانت الديانة اليهودية فى أصلها ، كما ينبئنا بذلك القرآن ، ديانة توحيد تتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمال ، والتجرد من جميع مظاهر النقص ، والمخالفة للحوادث فى كل شىء ، كما هو الشأن فى الدين الاسلامى •

ولكن يظهر من استقراء تاريخ اليهود ، وما ورد بشأنهم فى القرآن الكريم ، وما ورد فى أسفارهم نفسها ، أن فهمهم للذات العلية لم يكن فى أى عصر من عصورهم مطابقا كل المطابقة لهذا الوضع ، وأن فكرة الألوهية لديهم قد اجتازت المراحل الثلاث الآتية :

١ — فالقرآن الكريم يحدثنا أن بنى اسرائيل لم تقو عقولهم فى مبدأ الأمر على فهم الذات العلية الفهم الصحيح ، وظنوا انه من الممكن رؤيتها ، بل علقوا ايمانهم بموسى ورسالته على رؤيتهم لله تعالى • وفى هذا يقول القرآن الكريم : « واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون • ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » (٣٨) •

وينبئنا كذلك القرآن الكريم أنهم لم تطمئن نفوسهم الى عبادة الاله لا يستطيعون رؤيته ، وطلبوا الى موسى ، حينما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم ،

(٣٨) آيتى ٥٥ ، ٥٦ من سورة البقرة •

أن يجعل لهم الاها يحسونه كما يحس هؤلاء آلهتهم • وفى هذا يقول القرآن الكريم : « وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا الاها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون • ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون • قال أغير الله أبغيكم الاها ، وهو فضلكم على العالمين » (٣٩) •

وينبئنا كذلك القرآن الكريم ، وتنبئنا أسفارهم نفسها ، أنهم فى أقدم عصورهم قد ارتدوا عن عبادة الاههم أكثر من مرة ، فعبدوا العجل تارة والأصنام تارة أخرى • ومن الغريب أن سفر الخروج (وهو من أقدم أسفار توراتهم المزعومة) قد نسب الى هارون نفسه عليه السلام أنه قد يسر لبنى اسرائيل سبيل الشرك ودفعهم الى الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام ، فصنع لهم بيده عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله (٤٠) كما سيأتى بيانه بتفصيل فى الفقرة الثانية عشرة من هذا الفصل •

ويظهر من التأمل فى أقدم سفرين من أسفار توراتهم المزعومة ، وهما سفر التكوين وسفر الخروج ، أن فكرة الألوهية ظلت مضطربة فى عقولهم الى نهاية المرحلة التى تم فيها تدوين هذين السفرين ، أى الى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد (بعد موسى بنحو خمسة قرون) • فتصوروا الله تعالى فى صورة مجسمة ، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل • وظهر تصورهم هذا فى كثير مما ورد فى هذين السفرين •

فمن ذلك ما يرويه سفر التكوين فى قصة آدم وحواء واخراجهما من الجنة ، اذ يذكر أن الله تعالى قد نهاهما عن الأكل من شجرة المعرفة ، وخوفهما مضللا ومخفيا عنهما حقيقة هذه الشجرة ، فذكر لهما أن الأكل منها يفضى الى الموت ، مع أن الأكل منها يفضى الى رقى التفكير وانحسار أغطية الجهل وانبثاق نور المعرفة • ولكن الاله كان يريد ابقاءهما جاهلين حتى لا يشاركاه فى صفة من أخص صفاته • ولما أغرى الشيطان حواء بالأكل من هذه الشجرة وانساق معها زوجها ، أدركا ما كان يجهلانه من قبل ، فعرفا أنهما مكشوفا السوءتين وأنه لا يليق أن يقابلا ربهما على هذه الصورة • ولما قدم الاله نحوهما مخترقا طرق الجنة ، وسمعا صوته وحركته فى أثناء سيره ، اختبآ حتى لا يراهما

---

(٣٩) آيات ١٣٨—١٤٠ من سورة الأعراف •

(٤٠) اصحاح ٣٢ من سفر الخروج •

عريانين ، وأخذا يخصفان على عورتيهما من ورق الجنة . فناداهما ربهما وأخذ يستجوبهما ، واستنتج من فعلتهما ومن استجوابهما أنه لابد أن يكونا قد أكلا من شجرة المعرفة ، وأن ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما ، وأن الانسان قد أصبح بذلك « أحد الآلهة لتمييزه بين الحسن والقبيح » ، وأنه قد أصبح لزاما أن يطرد الانسان من الجنة لحتى لا تمتد يده الى شجرة أخرى هي «شجرة الخلد» فيكفل لنفسه أرقى صفات الاله وهو البقاء (٤١) .

وقد عرض القرآن الكريم فى أكثر من سورة لعدة مواقف من قصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة وخروجهما من الجنة ، بدون أن يبدو فى أى موقف من هذه المواقف ما يتعارض مع كمال علم الله وقدرته ومخالفته للحوادث .

ومن ذلك أيضا ما يذكره سفر التكوين من أن لله تعالى أولادا من الذكور ، وأن هؤلاء الذكور قد فتنهم جمال بنات الآدميين اللائى كان عددهن قد كثر فى الأرض ، فاتخذوهن خليلات ، وولد لهم منهن نسل امتاز ببسطة كبيرة فى الجسم ، وهم الجبابرة الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان (٤٢) .

ومن ذلك أيضا ما يرويه سفر التكوين فى قصة اهلاك قوم لوط وتدمير قريتى « سدوم » و « عمورة » اذ يذكر أن ثلاثة رجال وهم الله وملكان معه قدموا على ابراهيم وهو جالس أمام خيمته ، وأن ابراهيم قد عرف الله من بينهم ، ورجاه أن يستريحوا عنده قليلا من وعثاء سفرهم ، وقدم اليهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم ، وفطائر وعجلا حنيذا لطعامهم ، فانتحى ثلاثتهم تحت ظل شجرة وأخذوا يأكلون مما قدمه اليهم ، وابراهيم جالس على مقربة منهم . ثم تفقد الاله زوجه سارة ، وسأله عنها ، وأخذ يبشرها ويبشر ابراهيم بأنه سيمر بهما فى هذا الموعد نفسه من السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاما زكيا . ثم اشتبك معه ابراهيم فى نقاش وجدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد اهلاكهما بغية أن يثنيه عن ذلك ، لأن بعض أهلهما أتقياء ، ولا يصح أن يؤخذ المحسن بذنب المسىء (٤٣) .

وقد ذكر القرآن هذه القصة على حقيقتها ، فبين أن الذين وفدوا على ابراهيم كانوا ملائكة مشكلين فى صورة آدميين ، فظنهم بشرا ، فقدم اليهم طعاما ،

---

(٤١) الاصحاح الثالث من سفر التكوين .
(٤٢) الاصحاح السادس من سفر التكوين فقرات ١ — ٥ .
(٤٣) الاصحاح الثامن عشر من سفر التكوين .

فلم تصل أيديهم اليه ، لأن الملائكة لا يأكلون • وفي هذا يقول القرآن الكريم : « ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ، قالوا سلاما ، قال سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ • فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط ••• » (٤٤) •

ومن ذلك أيضا ما يقرره سفر التكوين من أن الله بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام استراح في اليوم السابع ، وكان يوم سبت ، وأن الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك ، فحرم فيه العمل (٤٥) ، أي أنه كالبشر، في حاجة الى الراحة بعد بذل المجهود في عمل ما •

وعلى زعمهم هذا يرد الله تعالى في القرآن الكريم اذ يقول : « ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب » (٤٦) ، أي لم يمسسنا تعب حتى نحتاج الى الراحة •

ومن ذلك أيضا ما يذكره سفر التكوين عن يعقوب وأنه لقي الله ذات ليلة وأخذ يصارعه حتى بزغ الفجر ، بدون أن يستطيع الله سبيلا الى التغلب على يعقوب • وحينئذ ضرب حق فخذ يعقوب فانخلع • ولما بلغ الوهن من الله مبلغه طلب الى يعقوب أن يخلي سبيله لأنه قد طال أمد المصارعة وطلع الفجر • ولكن يعقوب لم يقبل أن يطلقه الا اذا باركه • فقبل الله تعالى شرطه وباركه ، وسأله عن اسمه ، فقال يعقوب ، فقال الله لن تسمى بعد الآن يعقوب ، بل تسمى « اسرائيل » لأنك كنت قويا على الله (٤٧) (وهذا هو أحد معاني كلمة اسرائيل في العبرية) •

ومن ذلك أيضا ما يقرره سفر الخروج من أن الاههم يفيد من الضحايا التي تقدم اليه وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها (٤٨) بل ان بعض فقرات من هذا السفر لتدل على أن الاههم كان يطلب اليهم أن يقدموا أولادهم ضحايا محرقة لارضائه والتقرب اليه • فقد ورد في هذا السفر أن فرعون لم يسمح لبني اسرائيل بالخروج من مصر • فأنزل الله نقمته على

---

(٤٤) آيات ٦٩ — ٧٦ من سورة هود •
(٤٥) الفقرات الأولى من الاصحاح الثاني من سفر التكوين •
(٤٦) آية ٣٨ من سورة ق •
(٤٧) فقرات ٢٤—٣٢ من اصحاح ٣٢ من سفر التكوين •
(٤٨) انظر مثلا فقرات ٣٨—٤٣ من الاصحاح التاسع والعشرين من سفر الخروج ، وخاصة فقرة ٤١ •

المصريين . فكان يهلك أول مولود لكل أبوين من المصريين وأول مولود لكل أنثى من الحيوان في سائر بلاد مصر ، ولما رأى فرعون وقومه ما حل بهم من العذاب استجابوا لرغبة بنى اسرائيل ، وأذنوا لهم بالخروج من مصر . وكان هذا الخروج أكبر حدث فى تاريخهم ، واليه يرجع الفضل فى تحررهم من الاستعباد وفيما أصابوه من عز وسلطان فيما بعد . ولكى يظل بنو اسرائيل ذاكرين فضل الله عليهم فى هذا الحدث ، فرض عليهم أن يخصصوا للرب أول ما تلده كل أنثى من الانسان والحيوان ، أى أن يقدموه ضحية له . ولكن خفف عنهم فيما يتعلق بأول مولود من الآدميين ، فشرع لهم فداءه بذبح من الضأن . وشرع لهم كذلك هذا الفداء فيما يتعلق بالحيوانات غير مأكولة اللحم (٤٩) .

ويستدل من أقدم أسفارهم كذلك على أنهم كانوا يعتقدون تعدد الآلهة . فكانوا يرون أن ثم الاها خاصا بشعب اسرائيل يختلف عن آلهة الشعوب الأخرى .

٢ — ثم أخذ تصورهم للذات العلية يرقى شيئا فشيئا ، ويتخلص نوعا ما من شوائب النقص والتجسيم ، كما يبدو ذلك فى أحدث أسفار توراتهم المزعومة كأسفار التثنية والعدد واللاويين .

غير أنه قد بقى لديهم الاعتقاد بأن لهم الاها خاصا بهم ، وهو الاه اسرائيل ، وأنهم هم أولاده وأحباؤه ، وأن لغيرهم من الأمم آلهة أخرى ، وأن الاههم فى صراع مع هذه الآلهة . ولم يتخلص الاههم هذا كل التخلص من صفات الحوادث ، بل ظل عالقا به فى نظرهم بعض هذه الصفات . فمن ذلك أن أحدث أسفار توراتهم المزعومة ، وهو سفر اللاويين يذكر فى أكثر من موضع أن الضحايا المحرقة (وهى التى تحرق أجزاؤها فى المذبح تحت اشراف أحد اللاويين) يرتاح لها الاله ويفيد منها ، وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها ، وأنه يغضب كل الغضب اذا لم تقدم اليه أو اذا قدمت اليه فى صورة غير الصورة المقررة فى شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين أو غير المراعين لمراسم التقديم فيرسل عليهم نارا تحرقهم ، كما فعل مع ولدين من أبناء هرون لم يحسنا تقديم الأضحية (٥٠) . ومن ثم كانت طريقة حرق الأضحية وتصاعد دخانها هى الطريقة المقررة لديهم فى معظم أنواع

---

(٤٩) فقرات ٢ ، ١١–١٥ من اصحاح ١٣ من سفر الخروج .

(٥٠) انظر اصحاحات سفر اللاويين ، وقد ورد حادث ابنى هرون فى الاصحاح العاشر من هذا السفر .

الأضحيـة والقرابين ، حتى فى قرابين النبـات وما يصـنع منه كالفطـائر وما اليها (٥١) ».

ويرد الله تعالى فى القرآن الكريم على مزاعمهم هذه ، فيقرر أن الله لايناله شىء من لحوم الأضاحى ولا من دمائها ، وأنه قد شرع الأضحية لتكون مظهرا من مظاهر تقوى الله وامتثال أوامره وشكره على نعمائه التى أسبغها على عباده ، وخاصة على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، وفرصة للاحسان والتوسـعة والبر بالفقراء والمساكين • وفى هذا يقول الله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » (٥٢) • ويقول فيما يقدم فى الحج من الهدى : « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » (٥٣) •

٣ ـ ويظهر أنه بعـد أن قربت عقيدتهم من التوحيـد وتنزيه الاله من النقص ، ارتكست مرة أخرى ارتكاسا كبيرا فى العهد الذى ألف فيه التلمود (القرون الستة الأولى بعد الميلاد) •

فأسفار التلمود تظهر اله اسرائيل متصفا بكثير من صفات الحوادث وصفات النقص • ويبدو ذلك على الأخص فيما يذكره التلمود عن جسم الاله وضخامة أعضائه ، وما يرويه عن نشاطه وأعماله فى الليل والنهار ، وعن حالته بعـد هدم الهيكل وتشريد بنى اسرائيل ، وما يقرره بصدد تخصيص أيام من كل عام لعبادة اله آخر صغير ، وبصدد حرص الاله على أن تقدم له أضـحية من الآدميين •

فقد ذكر العلامة ابن حزم فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » أن سفرا من أسفار التلمود يسمى « سفر توما » قد وصف جبهة خالقهم وعظم مساحتها فقال انها من أعلاها الى أنفه خمسة آلاف ذراع ، وأنه قد جاء فى سفر آخر من أسفار هذا الكتاب يقال له «سادرناشيم» أن فى رأس خالقهم تاجا فيه

(٥١) انظر سفر اللاويين ، وبخاصة الاصحاحات الأول والثانى والسادس والسابع والعاشر • وقد خصصت معظم اصحاحات هذا السفر لبيان وظائف اللاويين ، وهم كهنة بنى اسرائيل وفقهاؤهم • وكانوا يتألفون من نسل لاوى أو ليفي أحد أبناء يعقوب ، وقد تخصص منهم بذلك نسل هارون عليه السلام ، وكان أهم وظائفهم الاشراف على المذابح وتقديم الضحايا والقرابين •

(٥٢) آية ٣٧ من سورة الحج •

(٥٣) آية ٣٨ من سورة الحج •

ألف قنطار من ذهب وفى اصبعه خاتم تضىء منه الشمس والكواكب ، وأن الملك الذى يخدم ذلك التاج اسمه «صندلفون» (٥٤)٠

وورد فى بعض أسفار التلمود أن الله يقضى الساعات الثلاث الأولى من النهار فى مذاكرة الشريعة ، والساعات الثلاث الثانية فى شئون الحكم بين الناس ، والساعات الثلاث الثالثة فى تدبير العيش للخلق، وأما الساعات الثلاث الأخيرة فيقضيها فى اللعب مع الحوت ملك الأسماك ، وهو حيوان كبير جدا يتسع حلقه لسمكة طولها ثلثمائة فرسخ بدون أن تضايقه ٠ وقد رأى الله أن يحرمه من أنثاه حتى لا يتناسلا فيملآ الدنيا وحوشا تهلك من فيها وتأتى على الحرث والنسل٠ ولهذا حبس الذكر بقوته الالاهية وقتل الأنثى وملحها وحفظها لطعام المؤمنين فى الفردوس ٠ وأما ساعات الليل فيقضيها الالاه فى مذاكرة التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين الذى يصعد الى السماء كل ليلة ثم يهبط منها الى الأرض بعد انتهاء هذه الندوة العلمية ٠ وقد تغير هذا النظام بعد أن قدر الله هدم الهيكل وتشريد بنى اسرائيل ٠ فقد اعترف الالاه بخطئه فى هذا الصدد وندم على ما فعله ، وخصص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم ٠ وكان اذا بكى سقطت من عينيه دمعتان فى البحر فيسمع دويهما من فى الآفاق ، وتضطرب المياه وترتجف الأرض ، فتنجم عن ذلك الزلازل ٠ ويزعم التلمود أن الله يردد فى أثناء بكائه ونحيبه عبارات تدل على ندمه مما فعل ، فيقول : تبا لى أمرت بخراب بيتى واحراق الهيكل وتشريد أولادى ٠ ويقول حينما يسمع الناس يمجدونه : طوبى لمن يمجده الناس وهو مستحق لذلك ، وويل للأب الذى يمجده أبناؤه مع عدم استحقاقه لذلك لأنه قد قضى عليهم بالتشريد والشقاء ٠ وذكر العلامة ابن حزم فى كتابه «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» أنه قد جاء فى بعض أسفار التلمود « أن رجلا اسمه اسماعيل كان أثر خراب بيت المقدس سمع الله تعالى يئن كما تئن الحمامة ويبكى وهو يقول : الويل لمن أخرب بيته٠وضعضع ركنه ، وهدم قصره وموضع سكينته ٠ ويلى على ماأخربت من بيتى ، ويلى على ما فرقت من بنى وبناتى ، قامتى منكسة حتى أبنى بيتى وأرد اليه بنى وبناتى ٠ فلما شعر الله بوجود اسماعيل بجواره أخذ بثيابه وقال له : أسمعتنى يا ابنى يا اسماعيل ؟ قال لا يا رب ٠ فقال له الرب : يا ابنى يا اسماعيل بارك على ٠ فبارك عليه ومضى »٠(٥٥) ٠

---

(٥٤) ابن حزم : «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» ، صفحتى ١٦٣ ، ١٦٤ من الجزء الأول ٠

(٥٥) المرجع السابق ص ١٦٤ من الجزء الأول ٠ عبارة ابن حزم : « قال هذا الكلب والجيفة المنتنة : فباركت عليه ومضيت » ٠

ويقرر التلمود كذلك أن الله قد تستولى عليه نزوة غضب ، فيقسم ليأتين أعمالا شريرة أو غير عادلة ، ثم يثوب الى رشده فيتحلل من يمينه ، كما حدث يوم أن غضب على بنى اسرائيل فى الصحراء وأقسم أن يبيدهم ثم رجع عن عزمه وتحلل من يمينه بعد أن انقشعت نزوة غضبه ٠

ويستدل من أسفار تلمودهم كذلك أنهم كانوا يخصصون عشرة أيام من أول أكتوبر يعبدون فيها ربا آخر غير الاههم، ويطلقون عليه اسم الرب الصغير٠ وهذا الرب الصغير هو صندلفون الملك خادم التاج الذى فى رأس معبودهم(٥٦).

وفى هذه المرحلة اعتقدت بعض فرقهم بوجود ابن لله ، واتخذت بعض فرقهم أحبارهم أربابا من دون الله ، كما يخبر بذلك القرآن الكريم عنهم وعن النصارى ، اذ يقول : «وقالت اليهود عزير ابن الله» (وهو عزرا Esdras)(٥٧)٠ « وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ٠ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم » (أى واتخذ النصارى المسيح بن مريم الاها كذلك) « وما أمروا الا ليعبدوا الاها واحدا ، لا الاه الا هو ، سبحانه عما يشركون » (٥٨) ٠

وفى هذه المرحلة كذلك زادت عقائدهم انحرافا ووحشية فيما يتعلق بشئون الأضحية والقرابين ٠ فأسفار تلمودهم تحثهم على ذبح الآدميين من غير بنى اسرائيل وتقديمهم قربانا لالاههم ، ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التى يتناولونها فى أعيادهم وأفراحهم الدينية ، وبخاصة عيد الفصح وعيد استير ومراسم ختان الأطفال ، واستخدام هذه الدماء فى طقوس سحرهم وشعوذتهم ٠ وتزعم هذه الأسفار أن ذلك من أفضل ما يتقرب به اليهودى الى ربه وما تقر به عين الاههم ٠

أما عيد الفصح (فصح أى الفسح أو الخروج أو المرور) فيقيمه اليهود فى اليوم الرابع من الشهر الأول من سنتهم الدينية وهو شهر نيسان (ويقع ذلك

---

(٥٦) المرجع السابق ص ١٦٥ من الجزء الأول ٠

(٥٧) يذكر ابن حزم فى المرجع السابق أن الصدوقية « وهم ينسبون الى رجل يقال له صدوق ، قد انفردوا من بين فرق اليهود ، باعتقادهم أن العزير ابن الله ، تعالى الله عن ذلك ٠ وكانوا بجهة اليمن » ٠

(٥٨) آيتى ٣٠ ، ٣١ من سورة التوبة ٠

فى شهر أبريل) ويحتفلون فيه بنجاة موسى وبنى اسرائيل من فرعون وقومه وخروجهم من مصر (٥٩) ٠

وأما عيد استير أو البوريم فيقع فى شهر فبراير أو شهر مارس من كل سنة ٠ ويحتفل فيه اليهود بذكرى نجاتهم من مذبحة تذكر أسفار العهد القديم أنها كانت تتهددهم وأنهم قد نجوا منها بفضل امرأة اسرائيلية تسمى استير ٠ فتروى هذه الأسفار أن استير كانت زوجة لأحد ملوك الفرس ٠ وكان لهذا الملك وزير يسمى هامان ٠ وقد أخذ هذا الوزير يعمل على استصدار أمر من الملك بقتل اليهود ٠ فأحبطت استير كيده ودبرت مؤامرة قضت عليه وعلى أنصاره ومكنت اليهود من ذبح عشرات ألوف من بنى قومه كان منهم كثير من الأطفال والنساء ٠ وقد خصص لهذه القصة سفر من أسفار العهد القديم سمى باسم هذه المرأة (٦٠) ٠

وأما مراسم ختان الأطفال فهى مراسم معقدة يقيمها اليهود بمناسبة ختان أبنائهم ، والختان من أهم شعائر دينهم ، بل انهم ليعتبرونه أكبر مميز بين اليهودى وغير اليهودى (٦١) ٠

وأما طقوس السحر والشعوذة لدى اليهود ، فقد أفرد لها التلمود أبوابا كثيرة ، بل لقد اعترفت أسفار العهد القديم نفسها بمزاولة اليهود لها (٦٢) ٠

وتختار الذبائح فى عيد الفصح من الأطفال الذين لا تتجاوز سنهم العاشرة أو تزيد عنها قليلا ٠ ويمزج دم الضحية بعجين الفطائر قبل تجفيفه أو بعد تجفيفه ٠ وتختار ذبائح عيد البوريم أو استير من الشباب البالغين أو من الكبار ٠ ويؤخذ دم الضحية ويجفف على صورة حبوب تمزج بعجين الفطائر ٠ وأما ضحايا أفراح الختان فيظهر أنها كانت تختار فى الغالب من الأطفال وكذلك ضحايا السحر والشعوذة ، بدليل ما ورد فى صددها فى سفر أشعياء اذ يقول فى اصحاحه السابع والخمسين مخاطبا بنى اسرائيل : « أقبلوا يا بنى الساحرة ٠٠ ألستم أنتم الذين يذبحون الأطفال فى الوديان وتحت شقوق الصخور ؟ » أى لاتمام عمليات السحر التى ورثتموها عن آبائكم وأمهاتكم ٠

ويستنزف اليهود دم ضحاياهم هذه بطرائق كثيرة : فأحيانا يتم ذلك عن طريق ما يسمى « البرميل الابرى » وهو برميل مثبت على جوانبه من الداخل

(٥٩) انظر فقرات ٥ ــ ٩ من اصحاح ٢٣ من سفر اللاويين ٠
(٦٠) انظر ص ١٥ ٠
(٦١) انظر مثلا الاصحاح الخامس من سفر التثنية ٠
(٦٢) انظر مثلا اصحاح ٥٧ من سفر أشعياء ٠

ابر حادة توضع فيه الضحية حية فتغرز هذه الابر فى جسمها ، ونسيل الدماء ببطء من مختلف أعضائها ، وتظل كذلك فى عذاب أليم حتى نفيض روحها ، بينما يكون اليهود الملتفون حول هذا البرميل فى أكبر نشوة بما يبعثه هذا المنظر فى نفوسهم من لذة وسرور • وينحدر الدم الى قاع البرميل ، ثم يصب فى اناء معد لجمعه • وأحيانا تقطع شرايين الضحية فى عدة مواضع ليتدفق الدم من جروحها ، وأحيانا تذبح الضحية كما تذبح الشاة ويؤخذ دمها •

وبعد أن يتجمع الدم بطريقة من الطرق السابقة أو غيرها تسلم الى الحاخام أو الكاهن أو الساحر الذى يقوم باستخدامها فى اعداد الفطائر المقدسة أو فى عمليات السحر •

وتدل شواهد كثيرة على أنهم لم ينفكوا منذ عهد بعيد ، ولا ينفكون فى الوقت الحاضر ، يزاولون هذه الجرائم فى كثير من بلاد العالم باسم دينهم ووصايا تلمودهم •

وقد عنى الأستاذ أرنولد ليز بجمع أهم ما ثبت اقتراف اليهود له من هذه الجرائم فى مختلف بلاد أوروبا وآسيا منذ منتصف القرن الثانى عشر الى نهاية العقد الثالث من القرن العشرين ، ودونها فى كتاب نشره سنة ١٩٣٨ تحت عنوان « طقوس الاغتيال اليهودية » Arnold Leese : Jewish Ritual Murder فذكر نحو ستين حادثا ثبتت الجريمة فى كثير منها بأدلة قاطعة وباعتراف المتهمين أنفسهم أمام القضاء ، وحكم فى بعضها على المجرمين بالاعدام ونفذ فيهم الحكم •

وقد نقل صديقنا الأستاذ عبد الله التل فى كتابه القيم « خطر اليهودية على الاسلام والمسيحية » عن الأستاذ ليز هذه الحوادث بتفاصيلها وعلق عليها بأن هذه الجرائم التى عرفت فى التاريخ ووصلت الى المحاكم وجرى فيها تحقيق ليست شيئا مذكوراً اذا قيست بالجرائم التى ارتكبها اليهود من هذا القبيل ولم يصل علمها الى أحد ولم تصل الى المحاكم « وأن آلاف الأطفال وغير الأطفال الذين يختفون فى معظم أنحاء العالم هم فى الغالب ضحايا الطقوس الدينية اليهودية ، ولابد أن تكون دماؤهم قد استقرت فى بطون اليهود مع الفطائر القذرة التى يتناولونها فى أعيادهم » •

ومن أشنع هذه الحوادث حادثة دمشق سنة ١٨٤٠ التى راح ضحيتها الأب توما وخادمه ابراهيم عمار • وقد قص قصتها صديقنا الأستاذ عبد الله التل فى كتابه السابق ذكره اذ يقول : « الأب فرنسوا أنطون توما قسيس ايطالى

انتقل الى دمشق للخدمة فى أديرتها . وعمل طوال ثلاثة وثلاثين سنة باخلاص وغيرة وحنان خادما لجميع الطوائف ، لا يفرق بين دين ودين ، يعالج المرضى مجانا ، ويطعم الناس ضد الأوبئة . وعرف فى دمشق مثالا للنبل والخلق الكريم . وفى يوم الأربعاء ٢ من ذى الحجة ١٢٥٥ هـ الموافق ٥ من فبراير ١٨٤٠ م طلب الأب توما لحارة اليهود لتطعيم طفل ضد الجدرى . وفى عودته مر بصديقه اليهودى داود هرارى . فاستدعاه الى داره فلبى الدعوة . وكان فى الدار شقيقان لداود هرارى وعمه واثنان من حاخامات اليهود . ثم انقض هؤلاء جميعا على الأب توما وقيدوه من قدميه ويديه ووضعوا منديلا على فمه ، وبعد غروب الشمس استدعوا حلاقا يهوديا اسمه سليمان وأمروه بذبح القسيس فخاف وتردد . فما كان من داود هرارى صديق الأب توما الا أن تناول السكين بنفسه ونحر الضحية . ثم جاء أخوه هارون هرارى وأتم عملية الذبح . وجمعوا الدم فى وعاء ثم نقلوه الى قارورة كبيرة وسلموه الى حاخام باشا يعقوب العنتابى الذى تمت العملية بناء على أوامره ، نظرا لحاجته الى الدم لاستعماله فى فطائر عيد البوريم (استير) الذى كان يقع فى ذلك العام فى الرابع عشر من فبراير . وقطعوا جثة الضحية اربا اربا ، ووضعوها فى أكياس قذفوا بها فى مصرف قريب من دارهم . ولم يكتفوا بالقسيس ، بل انتظروا مجىء خادمه ابراهيم عمار للبحث عنه ، فأدخلوه الى منزل اليهودى يحيى ماهر فارحى وذبحوه وأخذوا دمه الى الحاخام باشا » .

« وفى أثناء التحقيق قدم جميع المتهمين فى تلك المذبحة اعترافات كاملة مذهلة . وعثرت السلطات على جثتى القسيس وخادمه » .

« وقد نشرت التحقيقات والمحاكمة فى عدة كتب أوروبية . ومازالت محفوظة فى سجلات وزارة العدل بدمشق . ونشرت بالتفصيل فى كتاب للدكتور روهلنج ترجمه الى العربية الدكتور يوسف نصر الله سنة ١٨٩٩ ميلادية تحت عنوان : « الكنز المرصود فى قواعد التلمود » .

بل لقد شهد شاهد من أهلهم ، ومؤرخ من أقدم مؤرخيهم وأشهرهم ، وهو المؤرخ اليهودى يوسيفوس (فلافيوس يوسيفوس المولود سنة ٣٧ ميلادية والمتوفى سنة ٩٥) بأنهم ما كانوا يقتصرون على شرب دماء ضحاياهم ومزجها بعجين فطائرهم ، بل كانوا يأكلون كذلك قطعا من لحومهم . فقد ذكر هذا المؤرخ أن ملك اليونان أنطونيوس الرابع الذى تبوأ العرش سنة ١٧٤ قبل الميلاد وفتح مدينة أورشليم ، حينما دخل هذه المدينة وجد فى بعض أنحاء الهيكل رجلا يونانيا كان اليهود قد حبسوه فى هذا المكان ، وكانوا يقدمون له

احسن الأطعمة ليسمن ويزكو لحمه ، حتى يأتى يوم يخرجون به الى احدى الغابات ، فيذبحونه ويشربون دمه ويأكلون شيئا من لحمه ، ويحرقون باقيه ، وينثرون رماده فى الصحراء ، وان ذلك كان تطبيقا لوصية دينية لا تسعهم مخالفتها ، وأنهم كانوا يكررون فعلتهم هذه كل عام مع واحد من اليونان ، وأن هذا السجين قد استرحم الملك أن ينقذه فأنقذه ·



هذا ، وقد كانت الديانة اليهودية فى أصلها تقرر البعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار كما ينبىء بذلك القرآن الكريم · ولكن أسفار العهد القديم التى بين أيدينا الآن قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه ·

ومن ثم لا نجد من بين فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على الوجه الذى يقرره الاسلام · ففرقة الصادوقيين (٦٣) تنكر قيام الأموات وتعتقد أن عقاب العصاة واثابة المتقين انما يحصلان فى حياتهم · وفرقة الفريسيين (٦٤) تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون فى هذه الأرض ليشتركوا فى ملك المسيح الذى سيأتى فى آخر الزمن ، لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعا فى ديانة موسى ، أى ان بعث هؤلاء سيحصل فى الحياة الدنيا · فمهما يكن من خلاف بين الفرقتين فانهما تتفقان فى انكار اليوم الآخر على النحو الذى يقرره الاسلام ·

وقد ورد فى بعض فقرات التلمود ذكر للجنة والنار ، ولكن فى صورة مضطربة أدنى الى الخرافة والأساطير منها الى حقائق العقيدة · فتذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوى اليها الأرواح الزكية وأنه لا يدخلها الا اليهود ، وأن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت المملحة التى تقدم ذكرها (٦٥) ، كما يتناولون لحم طير كبير لذيذ الطعم ولحم أوز سمين ، وأن شرابهم فيها نبيذ معتق عصره الله فى اليوم الثانى من الأيام التى خلق فيها العالم ، وأن النار لغير اليهود من المسلمين والمسيحيين ومن اليهم · — ويظهر أن بعض فرق غير شهيرة من فرق اليهود كانت تذهب فى عقيدتها الى ظاهر ما يقرره التلمود فى هذه الفقرات ، فكانت تفسرها بمدلولها الحقيقى لا بمدلولها المجازى · ويظهر أن القرآن الكريم يشير الى هذه الفرق ويرد عليها اذ يقول : « وقالوا لن يدخل

---

(٦٣) انظر تعليق ٥٧ · والفقرة ١٣ من هذا الفصل ·
(٦٤) انظر الفقرة ١٣ من هذا الفصل ·
(٦٥) انظر ص ٢٩ ·

الجنة الا من كان هودا أو نصارى » (أى وقالت بعض فرق اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت بعض فرق النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا) « تلك أمانيهم ! قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين · بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ، ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون» (٦٦)

وفى هـذه الأمور جميعا دليل آخر على أن أسفارهم هـذه كلها من صنع أيديهم ، وعلى مبلغ الخلاف بين توراتهم المزعومة والتوراة الصحيحة التىأنزلها الله تعالى على موسى نورا وهدى للناس ·



هذا وينبئنا القرآن الكريم أنه كان من بينهم فى كل عصر ، حتى فىعصر الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه ، بعض أفراد عصمهم الله من زيغ العقيدة فآمنوا بما جاء فى التوراة الصحيحة التى أنزلها الله عـلى موسى ، وأتيح لهم الاحتفاظ بجميع أسفارها أو ببعضها نقية طاهرة خالية من التحريف · وفى هذا يقول الله تعالى : « وان من أهـل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليـكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلا ، أولئك لهم أجرهم عند ربهم ، ان الله سريع الحساب » (٦٧) ، ويقول : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون»(٦٨)

ـ ١١ ـ
الشريعة فى أسـفار اليهود
وقيامها على التفرقة العنصرية وعدم وحدتها واضطرابها

تضمنت أسـفار العهد القديم والتلمود تنظيما كاملا لشئون الدين والدنيا معا · فلم تغادر أى ناحية من نواحي العبادات وشئون المعاملات والسياسـة والاقتصاد والأسرة والقضـاء والتربية والأخلاق والحـرب والعلاقات الدولية وواجبات الفرد نحو نفسه وأسرته ووطنه ··· وما الى ذلك ، لم تغادر أية ناحية من هذه النواحي وغيرها الا وضعت لها حدوادا وقواعد وبينت ما ينبغى أن تكون عليه ، وما يجب اتخاذه فى حالة الخروج عليها ، حتى شئون الأكل والشرب ، والعلاقات الخاصة بين الرجل وزوجه ، والحيض والنفاس والزراعة والحصاد واستخدام الأنعام فى الحرث · غير أنه يلاحظ فى هذه الشريعة كثيرا من مظاهر الانحراف والتضارب واختلاط المسائل :

(٦٦) آية ١٥٩ من سورة البقرة ·
(٦٧) آية ١٩٩ من سورة آل عمران ·
(٦٨) آية ١٢١ من سورة البقرة ·

(أولا) أمـا انحرافها فمن أهم مظاهره أنها تقوم على التفرقة العنصرية . وذلك أنها تجعل اليهود الشعب المختار الذى اصطفاه الله وفضله على العالمين ، وتنظر الى ما عداه من الشعوب نظرتها الى شعوب وضيعة فى سلم الانسانية ، وتضع قوانينها ونظمهـا على هذا الأسـاس ، فتفرق بين هؤلاء وأولئك أمـام القانون وفى كثير من شئون الاجتماع . فمن ذلك مثلا أن الاسرائيليين محرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضـا وأن يخرج بعضهم بعضـا من ديارهم ؛ على حين أنه مباح للاسرائيليين ، بل واجب عليهم ، غزو الشعوب الأخرى ، وخاصة شعب كنعان ، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن «يضربوا رقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف » فلا يبقوا على أحد منهم ، ويسـترقوا جميع نسـائها وأطفالها ، ويستولوا على جميع ما فيها من مال وعقار ومتاع ، أو ينهبوه نهبا حسب تعبير أسفارهم (٦٩) . - ومن ذلك أن الاسرائيلى اذا باع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الاسرائيلى فى حالة عوزه وحاجته الى المال ، فان رقه يكون موقوتا بأجل يرجع بعده الى حريته ؛ على حين أن الرق المضروب على غير الاسرائيلى يظل أبد الآبدين (٧٠) . - ومن ذلك أنه مـا كان يجوز للاسرائيلى أن يتعامل بالربا مع أخيه الاسرائيلى ولا أن يأخذ منه رهنا بدينه ، واذا أخذ منه فى الصباح رهنا من المتاع الذى لا يستغنى عنه فى حياته اليومية كالرحا ومـا اليها وجب أن يرده اليه فى المساء ؛ أمـا غير الاسرائيلى فمباح للاسرائيلى أن يمتصه ويتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش (٧١) .

بل ان أسفارهم تقرر أن شعب كنعـان قد كتب عليه فى الأزل أن يكون رقيقا لبنى اسرائيل وأنه لا ينبغى أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة ما فى الحياة غير هذه الوظيفة ، فان تمردوا عليها أو طمحوا الى الحرية وجب على بنى اسرائيل أن يردوهم اليها بحد السيف . وتقرر أسفارهم أن هذا الوضع قد فرض عليهم لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله . وذلك أن نوحا - حسب مـا يزعمه سفر التكوين - قد شرب مرة نبيذ العنب الذى غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة ، ففقد وعيه وانكشفت سوأته ، فرآه ابنه حام على هذه الصورة فسخر منه ، وحمل الخبر الى أخويه سام ويافث . ولكن هذين كانا أكثر أدبا منه ، فحملا رداء وسارا به القهقرى نحو أبيهما حتى لا يقع نظرهما على عورته ، وسترا به مـا انكشف من جسمه ، فلما أفاق نوح وبلغه مـا كان من موقف

---

(٦٩) فقرتى ١٣ ، ١٤ من اصحاح ٢٠ من سفر التثنية .
(٧٠) فقرات ١٠ ، ٣٩ - ٤٧ ، اصحاح ٢٥ من سفر اللاويين ؛ فقرة ١٢ اصحاح ١٥ من التثنية ، فقرات ٢ ، ٧ - ١١ اصحاح ٢١ من الخروج .
(٧١) فقرة ٣ اصحاح ١٥ وفقرة ٢٠ اصحاح ٢٣ من التثنية .

أولاده حياله ، لعن كنعان بن حام ودعا على نسله أن يكونوا عبيدا لعبيد أولاد سام ويافث (٧٢) ٠

ومن مظاهر انحرافها كذلك أن بعض أسفارهم تقر كثيرا من أقبح أنواع الفحشاء ٠ فقد ورد فى تلمودهم أن الولد اذا زنا بأمه الأرملة لا يقام عليه الحد ولا يلام ، بل ينبغى له أن يستمر معها على هذا الوضع ، حتى بعد زواجه رعاية لما وجب لها عليه من حق ؛ وأن الوالد الذى زنا بابنته بعد وفاة زوجها لا يقام عليه الحد كذلك ولا يعاقب ولا يلام ، لأن لعمله هذا ما يبرره وهو أنه يجنبه تبذير ماله مع العاهرات الأجنبيات (٧٣) ٠

(ثانيا) وأمـا عدم وحدتها فذلك أن أحكام أسفارها يتضارب بعضها مع بعض فى كثير من الشئون ٠ فقد يقرر سفر فى حادث ما حكما ويجىء سفر آخر فيقرر فى الحادث نفسه حكما آخر ٠ فمن ذلك مثلا أن سفرى الخروج والتثنية يقرران أن الاسرائيلى الذى يبيع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الاسرائيلى فى حالة عوزه وحاجته الى المال لا يدوم رقه الا ست سنين (٧٤) ، على حين أن سفر اللاويين يقرر أن رقه لا ينتهى الا بحلول اليوبيل الاسرائيلى (وهو العيد الذى يجىء كل خمسين سنة) أيا كانت المدة التى قضاها فى الرق قبل ذلك (٧٥) ؛ فيمكن بحسب هذا السفر أن يدوم رقه خمسين سنة الا يوما أو أياما اذا استرق عقب العيد الخمسينى مباشرة ٠ — ومن ذلك أيضا أن توراتهم المزعومة تبيح للاسرائيلى ، رجلا كان أو امرأة ، أن يبيع نفسه لأخيه الاسرائيلى فى الحالة السابق ذكرها ؛ وفى ذلك يقول سفر التثنية : « اذا باعك نفسه أحد من اخوانك ، سواء أكان رجلا أم امرأة ، فانه يخدمك ست سنين ٠٠٠ » (٧٦) ، على حين أن أسفار التلمود لا تجيز ذلك الا للرجل وحده (٧٧) ٠

وفى هذين المظهرين اللتين تتسم بهما شريعة اليهود دليل آخر على أن أسفارهم هذه من صنع أيديهم ، وعلى أن كل سفر منها يعكس التقاليد والنظم التى كانوا يسيرون عليها فى العصر الذى ألف فيه ، وعلى مبلغ الخلاف بين

(٧٢) فقرات ٢٠ — ٢٩ من اصحاح ٩ من سفر التكوين ٠
(٧٣) من مقال لعمر مفتى زاده فى عدد فبراير ١٩٦٥ من مجلة الاعتصام ٠
(٧٤) فقرة ٢ اصحاح ٢١ من الخروج ، وفقرة ٢ اصحاح ١٥ من التثنية ٠
(٧٥) فقرة ٤٠ اصحاح ٢٥ من اللاويين ٠
(٧٦) فقرة ١٢ اصحاح ١٥ من سفر التثنية ٠
(٧٧) V. Mekhilta sur Exod XXI, 7; Maïmonide I. C. I, 2; Zadok Kahn : l'Esclavage dans la Bible et le Talmud

توراتهم المزعومة والتوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى . فان كتابا من عند الله لا تتضارب أحكامه بعضها مع بعض : « أفلا يتدبرون القرآن ؛ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (٧٨) ؛ وان شريعة من عند الله لا تقر التفرقة العنصرية بين أفراد الآدميين : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » (٧٩) ؛ « لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر ، الا بالتقوى «٨٠» .

(ثالثا) وبجانب هذين المظهرين يلاحظ أن بعض شرائع العهد القديم تحمل فى طيها دليلا على اضطراب الحقائق فى أذهان محرريها ، واختلاطها بعضها ببعض ، ونسيانهم حظا كبيرا منها ، وغفلتهم عن أصولها . فمن ذلك مثلا ما يذكره سفر التثنية فى صدد القسامة اذ يقول : « اذا وجد فى بلد من البلاد التى منحكم ربكم السيطرة عليها رجل قتيل ملقاة جثته فى وسط حقل ، ولم يمكن الاهتداء الى معرفة قاتله ، فان كبراءكم وقضاتكم يذهبون فيقيسون المسافات بين الجثة والبلاد القريبة منها ، وعندما يصلون الى تعيين أقرب هذه البلاد مسافة الى الجثة يستدعون كبراءهم ويطلبون اليهم أن يحضروا عجلة (بقرة صغيرة) لم تستخدم بعد فى عمل ما ولم تحمل بعد سكة المحراث (أى بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ؛ لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث) ، ويذهبوا بها الى جدول لا تجف مياهه وفى منطقة غير لات زرع ولا بذور ملقاة فى الأرض ، وينحروها من قفاها (مؤخرة عنقها) فى هذا الجدول ... وحينئذ يتقدم المشرفون على الضحايا من اللاويين (قبيلة اللاويين هم أبناء لاوى أو ليفى أحد أبناء يعقوب كما تقدمت الاشارة الى ذلك) وهم الذين اختارهم الرب لخدمته ولنشر البركة والرحمة باسمه ، وهم وحدهم الذين يحكمون فى قضايا الجنايات والجروح ، فيطلبون الى كبراء هذه المدينة أن يغسلوا أيديهم فوق العجلة التى نحرت من قفاها فى الجدول ويقسمون أن أيديهم لم ترق دم القتيل وأن أعينهم لم تره وهو يراق (أى يحلفون أنهم ما قتلوه ولا علموا له قاتلا) ... وبذلك لا يحتمل بنو اسرائيل تبعة هذا الدم ... » (٨١) .

---

(٧٨) آية ٨٢ من سورة النساء .
(٧٩) آية ١٣ من سورة الحجرات .
(٨٠) حديث شريف من خطبته عليه السلام فى حجة الوداع .
(٨١) فقرات ١ — ٩ من اصحاح ٢١ من التثنية .

ويلاحظ أن الشريعة الاسـلامية تقرر كذلك أنه اذا وجد قتيل لا يعلم قاتله أجريت القسامة على هل البلدة التى وجدت فى طرقها أو بالقرب منها ، وأنه اذا وجدت جثته بين بلدين أجريت القسامة على أقربهما مسافة من مكان جثته • والقسامة فى الاسـلام أن يستحلف ولى الدم خمسين رجلا يتخيرهم من أهل البلدة فيحلفون أنهم ما قتلوه ولا علموا له قاتلا ، فحينئذ يسقط القصاص ، ولكن تجب الدية على أهل البلدة جميعا ، يدفعونها متضامنين لأسرته (٨٢) •

فاذا استعرضنا فى ضوء هذه الحقائق ، ما ذكره سفر التثنية عن اجراءات القسامة ووازنا بينه وبين ما تقرره الشريعة الاسـلامية فى هذا الصدد ، يظهر لنا ما يلى :

١ - يتفق سفر التثنية مع الشريعة الاسـلامية فى اجراء القسامة على أقرب بلد الى جثة القتيل وفى اختيار طائفة من أهل البلد ليحلفوا أنهم ما قتلوه ولا علموا له قاتلا حتى يسقط عنهم القصاص • - واتفاق سفر التثنية مع الشريعة الاسـلامية فى هذه الأمور يجعلنا نرجح أن محررى هذا السفر قد استمدوا هذه الأحكام فى جملتها من توراتهم الصحيحة ، وأن الله تعالى قد شرع للمسلمين فى صددها ما سبق أن شرع مثله أو قريبا منه لليهود ، أى أنها من الأمور المشتركة بين الشريعتين والتى ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم اذ يقول : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ••• » (٨٣) •

٢ - ولكننا نجد فى سفر التثنية بجانب الأمور السابق ذكرها اجراء غريبا قد أقحم اقحاما على اجراءات القسامة ، وهو الخاص بالعجلة التى يحضرها كبراء البلد وينحرونها من قفاها فى جدول ، ويغسلون أيديهم فوقها مقسمين أنهم لم يقتلوا القتيل ولم يعلموا له قاتلا • ويزيد من غرابة هذا الاجراء أنه لا يصلح أن يكون حتى مجرد رمز للحقيقة التى يريد أهل البلد أن يقرروها وهى براءتهم من دم القتيل ، لأن غسل أيديهم فى جدول ملوث بدماء العجلة التى نحروها بأيديهم وصب الماء فوق هذه العجلة كل ذلك لا يصلح أن يكون رمزا لبراءتهم من جريمة القتل ، بل انه لخليق أن يكون رمزا لاقترافهم اياها •

٣ - وقد ورد لهذه البقرة ذكر فى القرآن ، ولكن فى صورة أخرى وفى حادثة قتل خاصة حدثت فى عهد موسى لم يعلم فاعلها ، وكانت البقرة عنصرا

---

(٨٢) انظر تفاصيل أحكام القسامة فى كتب الفقه الاسلامى وفى كتابنا عن « المسئولية والجزاء » الطبعة الثالثة ، صفحتى ٧٢ ، ٧٣ •
(٨٣) آية ١٣ من سورة الشورى •

من معجزة أظهرها الله على يديه . وبيان ذلك ما ذكره الله تعالى فى سورة البقرة اذ يقول : « واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ؛ قالوا أتتخذنا هزوا ؟! قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ؛ قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ؛ فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ؛ قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ؛ ان البقر تشابه علينا ؛ وانا ان شاء الله لمهتدون . قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث ، مسلمة لا شية فيها ؛ قالوا الآن جئت بالحق ؛ فذبحوها وما كادوا يفعلون . واذا قتلتم نفسا فادرأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها ؛ كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » .

وأشهر تفاسير من تفاسير هذه الآيات وأصحها جميعا أنه قد وقعت فى عهد موسى عليه السلام حادثة قتل لم يعلم فاعلها ، فطلب بنو اسرائيل الى موسى أن يدعو ربه أن ينبئهم بمن ارتكب هذا الجرم . فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . فعجبوا لذلك اذ لم تظهر لهم علاقة بين ذبح البقرة والكشف عن القاتل ، وظنوا أن موسى يهزأ بهم . ولكن موسى بين لهم أن هذا هو ما أمر الله به لاظهار الحق فى هذا الحادث . فأخذوا يستفسرون منه عن سن البقرة التى ينبغى أن يذبحوها وعن لونها وعن عملها . فلما شرح لهم ذلك كله بوحى من الله بحثوا حتى وجدوا بقرة تتوافر فيها هذه الصفات جميعا فذبحوها . وأوحى الله الى موسى أن يضربوا جثة القتيل بجزء من هذه البقرة ، فضربوها به ، فاحياه الله تعالى وذكر لهم اسم قاتله ، ثم مات ثانيا . فكان فى ذلك معجزة لموسى من جهة ، وبيان حسى من جهة أخرى لقدرة الله تعالى على احياء الموتى وهو الأمر الذى كان يرتاب فيه بنو اسرائيل . ولذلك يختم الله تعالى هذه القصة بقوله : « كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » . وفيه كذلك اشـارة الى أن بعث الله تعالى الحيـاة فى ميت لا يتوقف على سبب من الأسباب التى تدركها عقولهم ، وانما أمر الله اذا أراد ذلك أن يقول له كن فيكون ، فيحدث بدون سبب ما أو يجىء عقب أمر لا يتصور العقل أن يكون سببا له ؛ وذلك أن العقل لا يتصور أن ضرب جثة الميت بجزء من جثة ميت آخر يمكن أن يكون سببا لبعث الحياة فيه .

٤ — ويلاحظ أن أوصاف البقرة التى ذكرها الله فى هذه المعجزة تتفق فى جملتها مع أوصاف العجلة التى ذكرها سفر التثنية فى اجراءات القسامة ؛ وأن ذبح البقرة التى يذكرها القـرآن كان فى حادث قتل معين لم يعلم مقترفه ،

وذبح العجلة التى يذكرها سفر التثنية يجب اجراؤه ، بحسب نصوصه ، كلما وجد قتيل لم يعرف قاتله .

٥ — فيظهر أن الأمر قد اختلط على محررى سفر التثنية فخلطوا بين ما جاء فى التوراة الصحيحة أو فى أثر آخر من آثارهم خاصا بالمعجزة التى حدث على يد موسى ، وما جاء فيها خاصا باجراءات القسامة العادية ، وجعلوا ذبح العجلة جزءا من هذه الاجراءات ، مع أنه غريب عنها كل الغرابة ، ولايصلح أن يكون مجرد رمز للحقيقة التى يراد تقريرها ؛ بل انه لخليق أن يكون رمزا لنقيضها كما أشرنا الى ذلك فيما سبق (٨٤) .

وصدق الله العظيم اذ يقول فى صدد اليهود « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به » (٨٥) .

---

(٨٤) فطن من قبلنا المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه «قصص الأنبياء » الى وجوه الشبه بين قصة البقرة فى القرآن وأحكام القسامة فى سفر التثنية ، ولكنه حاول التوفيق بينهما فى صورة غريبة ، فجعل الآيات الواردة فى القرآن مشتملة على قصتين : قصة ذبح البقرة فى حالة وجود قتيل فى بلد غير اسرائيلى ، وجعلها اشارة الى أحكام القسامة فى سفر التثنية ؛ والأخرى قصة قتيل فى بلد اسرائيلى اتهم فيه القوم بعضهم بعضا ، فأمرهم الله أن يضربوا المتهم بعضو من أعضاء القتيل (« اضربوه ببعضها » أى ببعض الجثة) . — وهذا تفسير غريب لا يتفق مع سياق القرآن ولا مع ما فهمه الصحابة من الآيات ولا مع ما قاله المفسرون فى صددها . — هذا الى أنه يحاول أن يطوع آيات القرآن حتى يجعلها متفقة مع ما جاء فى سفر التثنية ناظرا الى ما جاء فى هذا السفر على أنه صحيح وأنه الأصل فى الموضوع ، مع أنه ظاهر فيه الخلط والتخبط والاضطراب .

ولعل هذا وأشباهه من الأمور الوارده فى هذا الكتاب هى التى دعت اللجنة التى ألفها المرحوم الشيخ عبد المجيد اللبان عميد كلية أصول الدين الأسبق لفحص هذا الكتاب بعد أن وصلت اليه شكاوى كثيرة واعتراضات فى صدد ما ورد فيه الى أن تذكر فى تقريرها : « انها لا ترى تداوله بين طلاب المعاهد الدينية وغيرهم لاسباب أهمها أن مؤلفه تعسف فى التأويل وخرج الآيات القرآنية تخريجا بعيدا ، ان لم يكن باطلا ، فخالف بذلك اجماع المفسرين ، ولم يكلف نفسه استقصاء البحث حتى يكون حكمه صحيحا . وهو مع ذلك يتصرف فيما ينقل من أقوال ، وينكر بعض الأحاديث الصحيحة ليحكم عقله ، ويجعل التوراة والانجيل مهيمنيين على القرآن » .

هذا وقد ورد كذلك فى سفر العدد (فقرات ١ — ١١ من اصحاح ١٩ من سفر العدد) ذكر لبقرة صهباء صحيحة لاشية فيها ولم يعل عليها نير ووجوب ذبحها وحرقها ووضع رمادها فى ماء ليكون ماء استغفار . — ولكن لا علاقة بين هذه البقرة وشئون القسامة .

(٨٥) آية ١٣ من سورة المائدة .

— ١٢ —

القصص فى أسفار اليهود
والفرق بينه وبين قصص القرآن الكريم

عرضت أسفار اليهود لتاريخ العالم من يوم نشأته الى قبيل بعثة المسيح ، فتكلمت باجمال على خلق السماوات والأرض وخلق آدم وحواء وتاريخهما فى الجنة وبعد هبوطهما منها ومـا حدث لنسلهما بعد ذلك ، وقصة نوح والطوفان وقصة أولاده الثلاثة سام وحام ويافث ، وعرضت بشىء من التفصيل لتاريخ نسـل سام ، وهم الذين ينتمى اليهم بنو اسرائيل ، وخاصة تاريخ ابراهيم واسحاق ويعقوب أو اسرائيل ، ثم تناولت بتفصيل كبير تاريخ بنى اسرائيل فى مختلف مراحل حياتهم فى مصر وسيناء وبعد استقرارهم فى الأرض المقدسة، وتاريخ من تولى شئونهم الدينية والسياسية من قضاة وملوك ولاويين وأحبار وربانيين ، ومن بعث فيهم من رسل وأنبياء ، وعلاقاتهم بالشعوب الأخرى ، ومـا جرى بينهم وبين هذه الشعوب من اشتباكات وحروب أو موادة ووفاق ٠٠٠ وهلم جرا ٠ ــ وقد استغرق هذا القصص أكبر قسم من أسـفار العهد القديم وقسما غير يسير من أسـفار التلمود نفسها ٠

وقد عرض القـرآن لكثير من القصص التى ورد ذكرها فى الأسـفار ٠ غير أن أسـفار اليهود قد تناولت كل قصة من هذه القصص فى صورة مسلسلة كاملة الأجزاء مترابطة الحوادث كما تفعـل كتب التاريخ ، وتناولتها لغرض تاريخى بحت ؛ على حين أن القـرآن يكتفى بذكر مواقف من هذه القصص ، ولا يذكرها للتاريخ فى ذاته ، وانما يذكرها على الأخص للعظة والذكرى ، ويذكرها بحسب المناسبات ٠ فقد يذكر موقفا من قصة مـا لمناسبة خاصة ثم يذكر موقفا آخر من القصة نفسها فى سورة أخرى لمناسبة أخرى ، وموقفا ثالثا من القصة نفسها فى سورة ثالثة ٠٠٠ وهكذا ٠ وقد يعرض لعدة مواقف من قصة واحدة فى سورة واحدة ويفصل بين كل موقف وآخر بفواصل طويلة أو قصيرة ٠ وقد يكرر الموقف نفسه فى عدة سور لتكرر المناسبة ؛ ولكن فى لوحات بيانية مختلفة فى صـياغتها وألوان مناظرها ومتسـقة مع مـا يكتنفهامن قبلها ومن بعدها من آى الذكر الحـكيم ٠

هذا ، وقد انتاب القصص فى أسـفار اليهود تحريف كبير عن الوضع الصحيح الذى ورد فى القـرآن ٠ ويبدو تحريفها هذا فى مواطن كثيرة يرجع أهمها الى مـا يلى :

١ ـ ن الذات العلية تبدو في أسفار توراتهم المزعومة ، وبخاصة في القديم منها كسفر التكوين ، وفي بعض أسفار التلمود ، صورة مجسمة متصفة بكثير من صفات الحوادث ، بل بكثير من صفات النقص ، وغير مختلفة اختلافا كبيرا عن الخلق في طبيعتها ومسلكها ، على النحو الذي بيناه في الفقرة العاشرة من هذا الفصل ٠

٢ ـ أن بعض من يذكر لنا القرآن أنهم رسل أو أنبياء تذكرهم أسفار اليهود على أنهم مجرد آباء قدامى Patriarches كابراهيم واسحاق ويعقوب أو على أنهم مجرد ملوك كداود وسليمان ٠

٣ ـ أن أسفارهم تنسب لبعض الأنبياء ، أو لبعض من تسميهم آباء لبني اسرائيل أو ملوكا لدولهم ، أعمالا قبيحة تتنافى مع وضعهم الديني والاجتماعي ، بل تتعارض مع الخلق الكريم في ذاته ، ولا يتصور صدورها الا من سفلة الناس ٠

فمن ذلك مثلا ما تقصه توراتهم المزعومة عن ابراهيم حينما هاجر هو وزوجه سارة الى مصر على أثر ما أصاب بلاده من جدب ومجاعة ، اذ تذكر أن ابراهيم قال لزوجته وهما في طريقهما الى مصر انها امرأة جميلة وان المصريين لابد أن يفتتنوا بها ، واذا علموا أنها متزوجة فسيقتلون زوجها لتخلص لهم بعد ذلك ، واتفق معها على أن يتظاهرا بأنها أخته حتى تسلم له حياته ، بل يناله حينئذ من المصريين خير كثير ٠ ولما وصلا الى مصر ، ووقع نظر طائفة من كبار رجال الحاشية الملكية على هذه المرأة الجميلة وعلموا من ابراهيم أنها ليست متزوجة وأنها أخته ، وأنهوا أوصافها الى فرعون ، استدعاها الى قصره واتخذها من نسائه ، وبالغ في اكرام ابراهيم والحفاوة به والاحسان اليه من أجل ذلك ، ووهب له قطعانا « من الغنم والثيران والحمير » وعددا من العبيد والاماء ٠ ولكن أصيب الملك وحاشيته عقب ذلك بوباء مما تصاب به الجماعة عادة اذا ارتكبت فيهم فاحشة من هذا القبيل ٠ فاستدعى الملك ابراهيم وأنبه تأنيبا شديدا لكذبه في قرابة سارة منه وما ترتب على كذبه هذا من معاملته لها كاحدى نسائه مع أنها في عصمة رجل آخر ، وما أصابه هو وقومه من جراء ذلك من وباء ، ثم أصدر أوامره بطرده هو وامرأته من بلاده ٠ ـ ولكن تحقق لابراهيم ما كان يبغيه من عافية ومال : فقد سلمت له حياته ؛ وسمح له فرعون بأن يحمل معه جميع ما سبق أن وهبه له من أنعام وعبيد واماء (٨٦) ٠ ـ وقد كرر ابراهيم فعلته

---

(٨٦) فقرات ١٠ـ٢٠ من الاصحاح ١٢ من سفر التكوين ٠

هذه — حسب مـا يزعمه سـفر التكوين — حينما هاجر الى منطقة جيرار ، وكاد أبو ملك Abimelec حاكم جيرار يرتكب الاثم مع سارة لولا أن أظهره الله في المنام على حقيقتها وأنها امرأة ابراهيم لا أخته ، وعاتبه على كذبه ، ونفحه كذلك بهبة من النعاج والثيران والعبيد والاماء (٨٧) • — فكأنما كان ابراهيم يتاجر بامرأته هذه متنقلا بها من بلد الى بلد •

ومن ذلك أيضا مـا تقصه توراتهم المزعومة عن لوط وابنتيه ، اذ تذكر أنه لم ينج من أهل قريتي سودوم وعمورة اللتين دمرهما الله تعالى لـما كان يرتكبه أهلهما من اتيان الذكران الا لوط وابنتاه ، وقد أقام ثلاثتهم عقب ذلك في غار في جبل مرتفع ، وحينئذ قالت كبراهما لصغراهما : « ان أبانا قد أصبح شيخا كبيرا وليس في هذا المكان القفر رجال يتصلون بنا على النحو الذي يفعله ذكور الناس مع اناثهم • واذا بقي الأمر على هذه الحال فسينقرض نسل أبينا بعد وفاته ووفاتنا • وخير وسيلة لاتقاء هذه العاقبة هي أن نسقي أبانا خمرا حتى يفقد وعيه ويتصل بنا فنأتي منه بذرية تخلد نسله » وأنفذتا مـا اتفقتا عليه • وقضت معه الكبرى الليلة الأولى والصغرى الليلة التالية ، وواقع لوط كلتيهما ، وهو في نشـوة سكره ، فحملتا منه ، وجاءت الكبرى بغلام اسمته مؤاب ، وجاءت الصغرى بغلام أسمته عمون ، ومن هذين الغلامين تفرع شعبان كبيران هما شعب المؤابيين وشعب العمونيين (٨٨) •

ومن ذلك أيضا مـا يقصه السفر الثاني من سفري صموئيل عن داود عليه السلام اذ يذكر أن داود كان يمشي في صباح يوم على سطح قصره الملكي ، فوقع بصره في المنزل المجاور له على امرأة مفرطة الجمال وهي تستحم متجردة من جميع ثيابها ، فشغف بها حبا ، وسأل عنها ، فأخبر أنها زوجة أوريا الحثي Urie le Héthien أحد الجنود المرسلين في حملة حربية تحت قيادة يؤاب Joab فبعث داود في طلبها ، فجيء بها اليه • وبعد أن قضى منها وطره عادت الى منزلها وقد حملت منه ، فعملت على أن يقف داود على خبر حملها منه • فاستدعى داود زوجها من الجيش وأخذ يسأله عن حالة الحملة وقائدها وأعمالها ، ونفحه ببعض الهدايا وطلب اليه أن يذهب الى منزله ليستريح هذه الليلة • وكان داود يرمي من وراء ذلك أن يقرب الرجل زوجته ، فينسب الحمل اليه ؛ ولا تعلق بداود أية شـبهة • ولكن الرجل أبت عليه شهامته ووطنيته أن ينعم بالراحة واللذة في بيته بينما جيش بلاده مشتبك في معركة مع الأعداء • فلم يذهب

---

(٨٧) اصحاح ٢٠ من سفر التكوين •

(٨٨) فقرات ٣٠—٣٩ من الإصحاح ١٩ من سفر التكوين •

الى بيته وانما قضى ليلته نائما مع خدم القصر الملكى • ولما علم داود بذلك استدعاه مرة ثانية وسأله عن سبب احجامه عن الذهاب لبيته ، فأجابه بأن نفسه لم تطاوعه بأن ينام فى بيته وجيشه يحارب فى خارج بلاده : فطلب اليه أن يبقى يوما آخر ، ودعاه الى الطعام والشراب ، وحرص على أن يسكره حتى يفقد وعيه ويذهب الى زوجه • ولكن أوريا لم يفقد رشده • فقضى ليلته هذه كما قضى ليلته السابقة نائما مع خدم داود فى القصر الملكى • ولما ضاق داود به ذرعا ، ولم تفلح معه حيلته ، أمر برجوعه الى الجبهة ، وأرسل الى يؤاب قائد جيشه أن يضع أوريا فى أخطر منطقة فى ميدان القتال وأن يتخلى عنه حتى يقتل • فصدع يؤاب بالأمر ، وقتل أوريا فى الميدان • وحينئذ أتيح لداود أن يضم زوجته الى نسائه بعد أن انقضى حدادها على زوجها ، ووضعت حملها وهى فى عصمة داود ، وخفى بذلك على جميع الناس ما ارتكبه داود من جرائم خسيسة ، اذ زنى بامرأة متزوجة وعمل على قتل زوجها الشجاع وهو يذود عن حياض بلاده ، مع أنه كانت له زوجات وجوار كثيرات • فأرسل الله اليه ناثان Nathan وقص عليه قصة رجلين يملك أحدهما قطعانا كبيرة العدد من الأبقار والنعاج ، بينما لا يملك الآخر الا نعجة واحدة • وفى أحد الأيام قدم ضيف على الغنى ، فمد يده الى نعجة الفقير واغتصبها منه وذبحها لضيفه • فغضب داود من فعلة هذا الغنى ؛ وقال لناثان ان هذا الرجل يستحق الموت • فقال له ناثان انك أنت نفسك هذا الرجل • وأخذ يؤنبه ويتوعده بما سيحيق به وبأهله من عذاب ونكال • فاعترف داود بذنبه ، واستغفر ربه ، وتاب اليه ، فغفر له ••• الى آخر ما ورد فى هذا السفر (٨٩) •

والقصة على هذا الوضع محض افتراء ولا يتصور صدور وقائعها من رجل عادى ذى خلق ، فضلا عن نبى كريم •

ومن ثم أخطأ بعض المفسرين خطأ كبيرا ، إذ فسروا ما جاء فى القرآن الكريم فى سورة ص (٩٠) عن داود والخصمين اللذين اختصما اليه على النحو الذى ورد فى سفر صموئيل ، مع أن العبارات التى ذكرت بها القصة فى القرآن الكريم لا تدل صراحة على شىء من ذلك • ولذلك كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : « من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة » ، يقصد بذلك أن من يتحدث هذا الحديث فانه يرتكب جريمة القذف • وحد القذف العادى فى الاسلام ثمانون جلدة ؛ ولكن اذا تناول القذف نبيا كريما كان مرتكبه خليقا بأن يضاعف له هذا الحد ضعفين •

---

(٨٩) الاصحاحين ١١ ، ١٢ من السفر الثانى من سفرى صموئيل •
(٩٠) آيات ٢١—٢٥ من سورة ص •

بل لقد أورد سفر الخروج ، وهو أحد أسفار توراتهم المزعومة ، قصة عبادة بنى اسرائيل للعجل الذهبى فى صورة غريبة تدل على أن محررى هذه الأسفار لا يرعون لأنبيائهم حرمة ، ولا يرجون لهم وقارا ، ولا يتورعون عن أن ينسبوا اليهم أية نقيضة ، حتى خيانة الرسالة نفسها التى بعثوا من أجلها ، ودفع قومهم الى الشرك بالله • فقد نسب هذا السفر الى هارون نفسه عليه السلام أنه يسر لبنى اسرائيل سبيل الشرك ، ودفعهم الى الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام ، فصنع لهم بيديه فى سيناء عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله • فذكر فى اصحاحه الثانى والثلاثين أن موسى لما غادر قومه لتلقى الألواح من ربه ، وطال أمد غيابه عنهم ، طلبوا الى هارون أن يصنع لهم الاها تدركه أبصارهم ، لأنهم لا يعلمون ما انتهى اليه أمر موسى ، ولا يدركون الالاه الذى يحدثهم عنه • فطلب اليهم هارون أن يحضروا له جميع أقراط الذهب المدلاة من آذان نسائهم وبناتهم وبنيهم ؛ فجمعوا هذه الحلى ، فصهرها بنفسه ، وصنع منها عجلا ذهبا ليتخذوه الاها ، فخر بنو اسرائيل سجدا له ، وقدموا له القرابين ، وقالوا هذا اله اسرائيل الذى أخرجهم من مصر وأنقذهم من شقائها (٩١) •

وقد أشار القرآن الكريم الى قصة هذا العجل اشارة مجملة فى عدة آيات منها قوله تعالى : « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون • واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا ، وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ، قل بئس ما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين» (٩٢) . وذكر القرآن تفاصيل هذه القصة فى سورتى الأعراف وطه مبينا كذب ما نسبه محررو سفر الخروج الى هارون فقرر أن الذى قام بصنع هذا العجل وأغراهم بعبادته وفتنهم عن دينهم فى أثناء غياب موسى لتلقى الألواح رجل سامرى ، أى منسوب الى طائفة يقال لها السامرة ، وهى جماعة من غير بنى اسرائيل اعتنقت اليهودية وامتزجت بالاسرائيليين ، وكان الاسرائيليون ينظرون الى أفرادها على أنهم أحط منهم كثيرا قدرا ومنزلة ، أو يرجع أصله الى اقليم السامرة ، وهو أحد أقاليم فلسطين ، وأن هارون لم يأل جهدا فى نهيهم عن ضلالهم والعمل على رجعهم الى دينهم الحق ، ولكنهم لم يستمعوا اليه ، وأن كل ما أخذه موسى على هارون أنه لم يتركهم ويلحق به ليبلغه ما انتهوا اليه ، أو لم يقاتلهم بمن عسى أن يكون معه ، وأن هارون قد برر موقفه بأنه خشى اذا فعل ذلك أن يفرق بين بنى اسرائيل ويضرب بعضهم

---

(٩١) اصحاح ٣٢ من سفر الخروج •
(٩٢) آيتى ٩٢ ، ٩٣ من سورة البقرة •

ببعض ، وذلك اذ يقول في سورة طه : « فكذلك ألقى السامرى ، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار » (أى من الحلى التى أشار اليها فى الآية السابقة ، وهى الحلى التى أهداها اليهم المصريون قبل خروجهم والتى اختلسوها منهم ، وقد صهرها السامرى علىصورة عجل بداخلفمه تجاويف اذا مر فيها الهواء أحدث صوتا كصوت الخوار) « فقالوا هذا الاهكم واله موسى فنسى • أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا • ولقد قال لهم هرون منقبل يا قوم انما فتنتم به ، وان ربكم الرحمن ، فاتبعونى وأطيعوا أمرى• قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى • قال يا هرون ما منعك اذا رأيتهم ضلوا ألا تتبعنِ ؟!» (أى أن تتركهم وتلحق بى لتنهى الى أمرهم ، أو أن تقاتلهم بمن عسى أن يكون معك) « أفعصيت أمرى ؟! قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولمترقبقولى»(٩٣) واذ يقول فى سورة الأعراف : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ؟! اتخذوه وكانوا ظالمين • ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين • ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم أمر ربكم ؟! ، وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره اليه ، قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ، فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين • قال رب اغفرلى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك ، وأنت أرحم الراحمين• ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين » (٩٤) •

وأما قصة طلبهم من نبيهم أن يجعل لهم الاها يحسونه ، والتى ذكرها سفر الخروج فى حادث العجل زاعما أنهم قد طلبوا ذلك الى هرون ، وأنهارون قد أذعن لرغبتهم الآثمة ، فقد ذكرها القرآن الكريم على وجهها الصحيح ، فقرر أن الطلب كان موجها الى موسى نفسه لا الى هرون ، وأن موسى قد نهرهم وبين لهم ضلالهم وسخافة تفكيرهم وسوء فهمهم لذات الالاه ، وذلك اذ يقول: « وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا الاها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون • ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون • قال أغير الله أبغيكم الاها ، وهو فضلكم على العالمين » (٩٥) •

---

(٩٣) آيات ٨٣–٩٨ من سورة طه •
(٩٤) آيات ١٤٨–١٥٢ من سورة الأعراف •
(٩٥) آيات ١٣٨–١٤٠ من سورة الأعراف •

ومن الشناعات التى ترويها كتبهم المقدسة المزعومة ما تذكره عن سليمان وأنه فى أواخر ملكه قد ترك عبادة الله وانحرف الى عبادة الأوثان وبنى لهـا معبدا فسقط فى نظر الله (٩٦) ٠

٤ ــ أن التحريف قد يتناول قصة ما لتبرير وضع اجتماعى أو سياسى ظالم سار عليه بنو اسرائيل فى مرحلة ما من مراحل تاريخهم ٠

فمن ذلك أن قصة نوح مع ابنه التى حدثنا عنها القرآن اذ يقول : «ونادى نوح ابنه ، وكان فى معزل : يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ٠ قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم، وحال بينهما الموج ، فكان من المغرقين » (٩٧) ، قد حرفهـا سـفر التكوين تحريفا كبيرا اذ يذكر أن حاما بن نوح قـد رأى أباه وهو سـكران مكشوف العورة ، فسخر منه ، فلما أفاق نوح من سكره ، وعلم ما كان من ابنه حام ، دعا على ذريته ، وهم الكنعانيون ، بأن يكونوا عبيدا لعبيد أبناء ولديه الآخرين سام ويافث (٩٨) ٠ ويقصد الذين حرفوا هذه القصة الى هذا الوضع الغريب، كما أشرنا الى ذلك فيما سبق (٩٩) ، أن يبرروا الأوضاع الشاذة الظالمة التى كان يسير عليها بنو اسرائيل حيـال الكنعانيين اذ يقتلون رجالهم ويسبون نساءهم وأطفالهم ويتخذون منهم عبيدا وامـاء ، زاعمين أنهم بذلك يحققون دعوة نوح عليهم ويرجعونهم الى الوضع الذى كتب عليهم فى الأزل أن يكونوا عليه ٠

٥ ــ وفى كثير من قصصهم الواردة فى عهدهم القديم بوجه عام ، وفى توراتهم المزعومة بوجه خاص ، من المتناقضات والمفارقات والغفلة عن حقائق سبق ايرادها والخطأ فى جمع الأرقام وفى الحساب ٠٠٠ ما يجل عن الحصر وما يضيف الى الأدلة السابقة أدلة جديدة قاطعة بأن أسفارهم هذه من صنع أيديهم ٠ وسنقتصر فيما يلى على ايراد بضعة أمثلة تنطوى على نماذج مختلفات

---

(٩٦) اصحاح ١١ ، من السفر الأول من سفرى الملوك ٠
(٩٧) آيتى ٤٢ ، ٤٣ من سورة هود ٠
(٩٨) فقرات ٢٠ــ٢٩ ، اصحاح ٩ من سفر التكوين : وقد ذكرنا هـذه القصة بتفصيل فى صفحة ٣٦ لبيان أن شريعتهم تقوم على التفرقة العنصرية ٠
(٩٩) التعليق السابق نفسه ٠

من الكذب والتناقض فى أقاصيص أسفارهم (١٠٠) ٠

فمن ذلك أن سفر التكوين يذكر فى الفقرة الثانية من اصحاحه الرابع أن هابيل بن آدم كان راعى غنم ، ثم يذكر بعد ذلك فى الفقرتين التاسعة عشرة والعشرين من الاصحاح نفسه أن يابال Jabal وهو فى العقب السابع بعد هابيل (فهو يابال بن لامك بن متوشائيل بن محويائيل بن عيراد بن حنوك بن قابيل بن آدم)
Jabal, Lemec, Mètuchaêl, Mehujael, Irad, Henoc, Caïn, Adam
كان أول من رعى الغنم وسكن الخيام ٠

ومن ذلك أن سفر التكوين قد ذكر فى الفقرة الثالثة من اصحاحه السادس أن الله تعالى فى عصر نوح قد غضب على النوع الانسانى فجعل أعمار أفراده لا تتجاوز ١٢٠ مائة وعشرين سنة ٠ ثم ذكر بعد ذلك فى الاصحاح الحادى عشر من السفر نفسه أن سام بن نوح عاش ٦٠٠ سنة ، وأرفكشاد بن سام ٤٣٨ سنة ، وشالح بن أرفكشاد ٤٣٣ سنة ، وعابر بن شالح ٤٦٤ سنة ، وفالج بن عابر ٢٣٩ سنة ، ورعو بن فالج ٢٣٩ سنة ، وسروج بن رعو ٢٣٠ سنة ، وناحور بن سروج ١٤٨ سنة ، وتارح بن ناحور ٢٥٠ سنة ٠

ومن ذلك أن سفر التكوين قد ذكر فى الفقرة الثانية والثلاثين من الاصحاح الخامس أن نوحا حينما بلغ خمسمائة سنة ولد له ســام ٠ وذكر فى الفقرة السادسة من الاصحاح السابع أن الطوفان قد حدث حينما بلغ ســام سن المائة ٠ ثم ذكر بعد ذلك فى الفقرة العاشرة من الاصحاح الحادى عشر من السفر نفسه أن ســام حينما بلغ مائة سنة ولد له أرفخشاد وأن ذلك كان بعد سنتين من الطوفان ٠ أى أن الطوفان قد حدث وسن ســام ثمان وتسعين سنة لا مائة سنة كما ذكر من قبل ٠

ومن ذلك أيضا أن سفر التكوين قد ذكر فى الفقرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة من الاصحاح التاسع عشر أن الملكين اللذين أرسلا لتدمير قريتى سدوم وعمورة قالا للوط أخرج بنيك وبناتك (المتزوجات وغير المتزوجات ، وكان منهم اثنتان غير متزوجتين) وأصهارك (أزواج بناته) وكل من لك فى المدينة لأننا سندمرها ٠ ثم ذكر فى الفقرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من

(١٠٠) أفرد العلامة ابن حزم فى الجزء الأول من كتابه القيم « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » فصلا خاصا شغل حيـزا كبيرا (من صفحة ٩٣ الى صفحة ١٦٦ من أكبر قطع) لضرب أمثلة لهذه الأمور ، وجعل عنوانه :« فصل فى مناقضات ظاهرة وأكاذيب واضحة فى الكتاب الذى يسميه اليهود التوراة وفى سائر كتبهم يتعين بذلك تحريفها وانها غير الذى أنزله الله عز وجل » ٠

الاصحاح نفسه أنه لما طلع الفجر كان الملكان يستعجلان لوطا قائلين له قم خذ امرأتك وبنتيك (غير المتزوجتين) واخرج بهن لأننا سندمر المدينة • ولما توانى أمسك الملكان بيد امرأته وبنتيه (غير المتزوجتين) وأخرجوهن • ويتبين من ذلك أن الملكين قد تناقضا في أمرهما المكلفين به من قبل الله تعالى • فقد طلبا أولا الى لوط أن يخرج بنيه وأصهاره وجميع بناته المتزوجات منهن وغير المتزوجات وجميع أهله ، ولكنهما فى المرة الثانية لم يطلبا اليه أن يخرج الا أمرأته وبنتيه غير المتزوجتين • ويظهر من ذلك أيضا أن بنيه وبناته المتزوجات وأزواجهن قد هلكوا مع من هلك فى المدينة • وهذا يتناقض مع ما ذكره الملكان من قبل من أنهما مكلفان الابقاء على هؤلاء •

ومن ذلك أن سفر التكوين قد ذكر فى فقراته المحصورة بين التاسعة عشرة والسابعة والعشرين (٢٠ ـ ٢٦) من اصحاحه الخامس والعشرين أن رفقة Rebecca زوجة اسحاق كانت عاقرا ، فدعا اسحاق ربه أن يهبه منها أولادا ، فاستجاب له ربه ، وحملت امرأته ، وتزاحم فى بطنها ولدان ، فمضت لتلتمس علما من الله عز وجل عما فى بطنها ، فقال لها الله فى بطنك أمتان تتفرعان عن توأمين أحدهما أكبر من الآخر (أى يولد قبل الآخر) وسيصبح كبيرهما مسخرا لصغيرهما • فلما كملت أيام حملها خرج من بطنها توأمان : خرج أولهما (وهو الأكبر) أحمر مكسو بفروة شعر ، ولذلك سموه عيسو Esaï ؛ ثم خرج أخوه (وهو الأصغر) ويده ممسكة بعقب عيسو ، ولذلك سمى يعقوب • ـ ثم جاء بعد ذلك فى الاصحاحين الثانى والثلاثين والثالث والثلاثين من السفر نفسه أن يعقوب (.وهو الأصغر) هو الذى كان خاضعا لعيسو (الأكبر) وأنه سجد على الأرض سبع مرات اجلالا لعيسو ، ولم يخاطبه الا بالعبودية والتذلل المفرط ، وأن جميع أولاد يعقوب (ما عدابنيامين الذى لم يكن قد ولد بعد) قد سجدوا لعمهم عيسو ، وأن يعقوب أهدى لعيسو تقربا اليه والتماسا لرضاه خمسمائة وثمانين رأسا من ضأن ومعز وبقر وابل وحمير ، وأن يعقوب رآها منه عظيمة اذ قبلها منه ، وأن بنى عيسو لم يخضعوا قط لبنى يعقوب بل ان بنى يعقوب هم الذين خضعوا لبنى عيسو فى أثناء مرحلة كبيرة من مراحل تاريخهم •

ومن ذلك أيضا أن سفر التكوين قد ذكر فى اصحاحه السابع والعشرين أن اسحاق (وكان قد كف بصره) قال لابنه عيسو يا بنى قد شخت ولا أعلم يوم موتى ، فأخرج وصد لى صيدا ، واصنع لى منه طعاما كما أحب ، وائتنى به لآكله كى أباركك قبل أن أموت ، وأن رفقة امرأة اسحاق وأم عيسو ويعقوب قد أرادت أن يختص ابنها يعقوب بهذه البركة ، فدبرت حيلة لتحقيق غرضها ،

فأمرت يعقوب أن يأخذ جديين وتصنع هي منهما طعاما لاسحق ، ويأتي بهما يعقوب الى اسحق أبيه فيقدمهما اليه ليباركه ، وأن يعقوب قال لأمه انني أخشى أن يكشف أبي هذه الخديعة حينما يتحسس جسمي فيجدني أجرد ، مع أن جسم أخي عيسو مكسو بفروة شعر ، فأجلب على نفسي لعنة لا بركة ، فقالت له سأدبر حيلة لذلك، فأخذت ثياب عيسو ابنها الأكبر وألبستها يعقوب • ووضعت جلود الجديين على يديه وعلى حلقه ، حتى اذا تحسس اسحق جسمه ظن أنه جسم عيسو • وأعطت يعقوب الطعام ، فجاء به الى أبيه ، وقال يا أبي ، فقال له اسحق من أنت يا ولدي ؟ قال يعقوب أنا ابنك عيسو بكرك (أي أكبر ولديك) صنعت جميع ما قلت لي ، فاجلس وكل من صيدي وبارك علي ! فقال اسحق تقدم لأتحسس جسمك ولأتبين هل أنت عيسو أم لا • فتقدم يعقوب فجسه اسحق ، وقال الصوت صوت يعقوب واليدان يدا عيسو • وقال هل أنت ابني عيسو ؟ فقال نعم أنا ابنك عيسو • فبارك عليه وقال له في بركته : تخدمك الأمم ، وتخضع لك الشعوب ، وتكون مولى اخوتك ، ويسجد لك بنو أمك •

وحدث بعد ذلك أن عيسو أتى بالطعام الى اسحق ، فعرف اسحق الخديعة التي عملها ابنه يعقوب ، ولكن اعتذر لعيسو ، وقال له قد خدعني أخوك يعقوب واختص ببركتي ، وصيرته سيدا لك ، وجعلت جميع اخوته عبيدا له ولأولاده ، فماذا عسى أن أعمله لك بعد ذلك ؟! فقال عيسو لأبيه ألك بركة واحدة يا أبي ، باركني أنا أيضا • ورفع عيسو صوته وبكى • فباركه اسحق قائلا : سيكون مسكنك في بلد مجرد من دسم الأرض وغيث السماء ، وستعيش مما يفيئه عليك سيفك • تستعبد لاخوتك ، ولكنك ستجمح وتكسر نير الاستعباد عن عنقك •

وقد بين العلامة ابن حزم ، في نقد لاذع وتحليل رائع ، ما في هذا النص من أكاذيب وخرافات ومتناقضات اذ يقول (١٠١) •

« وفي هذا الفصل فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات » •

« فأول ذلك اطلاقهم على نبي الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه • وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء • فكيف من نبي مع أبيه وهو نبي أيضا ؟! هذه سوءات مضاعفات » •

---

(١٠١) انظر الجزء الأول من « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم صفحة ١٠٨ وتوابعها • وانظر كذلك أمثلة كثيرة من هذا القبيل في كتاب « اظهار الحق » لرحمة الله الهندي ، فقد وقف على ذلك نحو ٣٥ صفحة (٥٦ـ ٧٦ ، ١٢٣ـ١٢٨ طبعة مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء) •

« وثانية ، وهي اخبارهم أن بركة يعقوب انما كانت مسروقة بغش وخديعة وتخابث • وحاش للأنبياء عليهم السلام من هذا • ولعمرى انها لطريقة اليهود ، فما تلقى منهم الا الخبيث الخادع والا الشـاذ » •

« وثالثة ، وهي اخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة ، وحاش لله من هذا » •

« ورابعة ، وهي أنه لا يشك أحد في أن اسحق عليه السلام اذ بارك يعقوب حينما خدعه ، كما زعم النذل الذى كتب لهم هذا الهوس ، انما قصد بتلك البركة عيسو ، وأنه دعا لعيسو لا ليعقوب • فأى منفعة للخديعة ها هنا ، لو كان لهم عقل • وما أشبه هذه القضية بحمق الغالية من الرافضة القائلين ان الله تعالى بعث جبريل الى علي ، فأخطأ وأتى الى محمد • (فأصبح محمد نبيا مع أن عليا كان هو المقصود عند الله) • وهكذا بارك اسحق على عيسو فأخطأت البركة ومضت الى يعقوب • فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله » •

« فهذه وجوه الخبث والغش في هذه القضية » •

« وأما وجوه الكذب فكثيرة جدا • من ذلك نسبتهم الكذب الى يعقوب عليه السلام ، وهو نبي الله تعالى ورسوله ، في أربعة مواضع » •

« أولها وثانيها قوله لأبيه اسحق أنا ابنك عيسو وبكرك • فهاتان كذبتان في نسق ، لأنه لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكره » •

« وثالثها ورابعها قوله لأبيه صنعت جميع ما قلت لى فاجلس وكل من صيدى • فهاتان كذبتان في نسق ، لأنه لم يكن قال له شيئا ولا أطعمه من صيده » •

« وكذبات أخرى وهي : بطلان بركة اسحق اذ قال ليعقوب تخدمك الأمة وتخضع لك الشعوب وتكون مولى اخوتك ، ويسجد لك بنو أمك ، وبطلان قوله لعيسو تستعبد لأخيك » •

« فهذه كذبات متواليات • فوالله ما خدمت الأمم يعقوب ولا بنيه بعده ، ولا خضعت لهم الشعوب ، ولا كانوا موالى اخوتهم ، ولا سجد لهم ولا له بنو أمه • بل ان بني اسرائيل هم الذين خدموا الأمم في كل بلدة وخضعوا للشعوب قديما وحديثا في أيام دولتهم وبعدها • فان قالوا سيكون ذلك ، قلنا لهم :

قد حصـلتم على الصـغار يقينا والأماني بضـائع السخفاء
ترجى ربيع أن سـتحيا صغارها بخير وقد أعيـا ربيعـا كبارها

لا سيما مع تقضي جميع الآماد التي كانوا ينبئون بأنها لا تنقضي حتى يرجع أمرهم » .

« واعلموا أن كل أمة أدبرت فانهم ينتظرون العودة ويمنون أنفسهم بالمراجعة بمثل ما تمنى به اسرائيل نفسها ، ويذكرون في ذلك مواعيد كمواعيدهم . فأمل كامل ولا فرق . كانتظار مجوس الفرس بهرام هماوند راكب البقرة ، وانتظار الروافض للمهدى ...

تمن يلـــذ المســـتهام بمثله وان كان لا يغني فتيلا ولا يجدى

وغيظ على الأيام كالنار في الحشا ولكنه غيـظ الأسير على القـد » .

« وأما قوله تكون مولى اخوتك ويسجد لك بنو أمك ، فلعمرى لقد صح ضد ذلك جهارا ، اذ في توراتهم أن يعقوب كان راعيا لأنعام ابن عمه لابان بن ناحور بن لامك وخادمه عشرين سنة ، وأنه بعد ذلك سـجد هو وجميع ولده ـ حاشا من لم يكن خلق منهم بعد ـ لأخيه عيسو مرارا كثيرة » .

« وما سـجد عيسو فقط ليعقوب ، ولاملك قط أحد من بني يعقوب بني عيسو . وقد تعبد يعقوب لعيسو في جميع خطابه له ، وما تعبد قط عيسو ليعقوب . وقد سأل عيسو يعقوب عن أولاده فقال له يعقوب هم أصاغر من الله بهم على عبدك . وقد طلب يعقوب رضاء عيسو وقال له : انى نظرت الى وجهك كمن نظر الى بهجة الله ، فارض عنى ، واقبل ما أهديت اليك . فما نرى عيسو وبنيه الا موالى يعقوب وبنيه » .

« فما نرى تلك البركة كانت الا معكوسة . ونعوذ بالله من الخذلان . ولكن حق البركة المسروقة المأخوذة بالخبث في زعمهم أن تخرج معكوسة منكوسة » .

ومن عجب أنه مع هذا الخلاف الجوهرى الكبير بين قصص القـرآن وقصص أسفارهم وتوراتهم المزعومة ، وبين نور الحق فيما جاء به الكتاب الـكريم وظلمات الباطل والزيف والتحريف فيما جاءت به أسفارهم ، لا ينفك كثير من المستشرقين ومن يدور في فلكهم يزعمون أن محمدا قد نقل قصصه من قصص اليهود : « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، ان يقولون الا كذبا » (١٠٢) . ـ وصدق الله العظيم اذ يقول لرسوله : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل

(١٠٢) آخر آية ٥ من سورة الكهف .

ما نثبت به فؤادك ، وجاءت فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » (١٠٣) ، واذ يقول : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب • ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (١٠٤) •

- ١٣ -
فرق اليهود

نظرة مجملة فى فرق اليهود

انقسم اليهود فى مختلف مراحل تاريخهم الى فرق دينية (١٠٥) تدعى كل فرقة منها أنها أمثل طريقة وأشد تمسكا بأصول الدين اليهودى وروحه من الفرق الأخرى • وأهم موضوع يدور حوله اختلاف هذه الفرق هو الاعتراف بأسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة الى موسى Traditions orales وأسفار التلمود أو انكار بعض هذه الأصول ورفض الأخذ بما جاء فيها من أحكام وتعاليم • وقد انقرض معظم فرقهم ولم يبق منها فى الوقت الحاضر الا القليل • وترجع أهم فرقهم الباقية والمنقرضة الى خمس فرق ، وهى فرقة الفريسيين ، وفرقة الصدوقيين ، وفرقة السامريين ، وفرقة الحسديين ، وفرقة القرائين •

وسنعقد فيما يلى لكل فرقة من هذه الفرق فقرة على حدة •

---

(١٠٣) آية ١٢٠ من سورة هود •
(١٠٤) آية ١١١ من سورة يوسف •
(١٠٥) انقسم اليهود كذلك من الناحية السياسية الى عدة فرق ودويلات ، ومن الناحية القبلية الى عدة قبائل وعشائر وبطون ، ولكننا سنقصر حديثنا فى هذه الفقرة على فرقهم الدينية ، لأنها هى وحدها التى تتصل بوضوع كتابنا •

فرقة الفريسيين Pharisien

وهى أهم فرق اليهود وأكثرها عددا فى ماضى تاريخهم وحاضره • وترجع أهم مميزات هذه الفرقة من ناحية العقيدة الى الأمرين الآتيين :

١ ـ أنها تعترف بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة الى موسى وأسفار التلمود • بل ان فقهاءهم (وهم الذين يطلق عليهم اسم الربانيين) هم الذين ألفوا أسفار التلمود كما سبق بيان ذلك (١٠٦) •

٢ ـ أنها تؤمن بالبعث ، فتعتقد أن الصالحين من الأموات سينتشرون فى هذه الأرض ليشتركوا فى ملك المسيح المنتظر الذى يزعمون أنه سيأتى لينقذ الناس ويدخلهم فى ديانة موسى (١٠٧) •

وتذكر أناجيل المسيحيين أن الفريسيين كانوا من ألد أعداء المسـيح عيسى ابن مريم ، وأنهم هم الذين حاولوا أن يظهروه بمظهر الداعى الى شق عصا الطاعة على قيصر ، وكانوا على رأس المتآمرين به ، ولم ينفكوا يدبرون له الكيد حتى حكم عليه بالصلب (١٠٨) •

وتتضمن هذه الأناجيل فصولا طويلة يوجه فيها المسـيح عليه السلام تقريعا شديدا الى الفريسيين ويكشف عن كفرهم ونفاقهم والتوائهم وتحريفهم لتوراتهم وابتداعهم تعاليم وأحكاما فاسدة ما أنزل الله بهم من سلطان (١٠٩) •

ولا نعلم على وجه اليقين متى تكونت هذه الفرقة • ومن أشهر ما قيل فى هذا الصدد ما ذكره المؤرخ اليهودى يوسفيس Flavius Josephus (١١٠) من أنها تكونت فى عهد يوناثان Jonathan الذى كان صديقا حميما لداود عليه السلام •

---

(١٠٦) انظر آخر ص ٢١ وأول ص ٢٢ •

(١٠٧) انظر ص ٣٤ •

(١٠٨) انظر مثلا انجيل متى ، الاصحاح الثانى والعشرين والاصحاحات التالية له ، الى آخر هذا الانجيل •

(١٠٩) انظر مثلا الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل متى •

(١١٠) فلافيوس يوسفيس ، ولد سنة ٣٧بعد ميلاد المسيح أى عقب حادث الصلب الذى يزعمه النصارى ، وتوفى سنة ٩٥ ، وهو من أقدم الباحثين فى تاريخ اليهود ومن أشهرهم وأوثقهم •

وكلمة الفريسيين تفيد فى أصلها معنى المعتزلة أو المنعزلين • ولا يعرف بالضبط متى أطلق عليهم هذا اللقب ، ومن الذى لقبهم به • ويظهر أن خصومهم الصدوقيين الذين سنتكلم عليهم فى الفقرة التالية هم الذين أطلقوه عليهم • أمـا الفريسيون أنفسـهم فكانوا يطلقون على أفراد فرقتهم لقب الاخـوان أو الرفقاء Compagnons •

ويطلق كذلك على هذه الفرقة لقب الربانيين لأنهم يؤمنون بمـا جاء فى أسـفار التلمود التى ألفها الربانيون وهم أحبار هذه الفرقة وفقهاؤها •

فرقة الصدوقيين Saducéens (١١١)

وهى الفرقة التى كانت تالية فى الأهمية لفرقة الفريسيين طوال القرنين السابقين لميلاد المسـيح وفى المرحلة الأولى اللاحقة للميلاد • وقد امتلأت صفحات التاريخ اليهودى فى هاتين المرحلتين بحوادث الخلاف والمشادات بين هذه الفرقة وفرقة الفريسيين •

ويرجع أهم مـا تختلف فيه هذه الفرقة من ناحية العقيدة عن فرقة الفريسيين الى الأمرين الآتيين :

١ — أنها لا تعترف الا بالعهد القديم ، وترفض الأخذ بالأحاديث الشفوية المنسوبة الى موسى (وأمـا أسفار التلمود فقد ألفها فيما بعد فقهاء الفريسيين كما تقدم بيان ذلك فى الفقرة السابقة) •

٢ — أنها لا تؤمن بالبعث ولا باليوم الآخر ؛ وتعتقد أن عقاب العصاة واثابة المحسنين انما يحصلان فى حياتهم •

وتذكر أناجيل المسيحيين أن هذه الفرقة قد حاولت أن تستدرج المسيح حتى يوافقهم على انكار البعث واليوم الآخر وينضـم اليهم فى ذلك ضـد الفريسيين ؛ ولكنهم أخفقوا فى ذلك ، وبين لهم المسـيح فساد ما يعتمدون عليه من أدلة فى هذا الموضوع •

---

(١١١) يذكر العلامة ابن حزم فى كتابه «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» (الجزء الأول ص ٨٢) ، أن هذه الفرقة تنسب الى رجل يسمى صدوق •

فقد جاء فى الاصحاح الثانى والعشرين من انجيل متى « أن الصدوقيين الذين ينكرون القيامة جاءوا الى المســيح قائلين له يا معلم لقد قال موسى اذا مات أحد وليس له أولاد ذكور يتزوج أخوه امرأته لتلد ولدا ينسب الى أخيه ويخلد ذكره . فكان عندنا سبعة اخوة تزوج أولهم ومات بدون أن يولد له ولد ذكر ، فتزوج أخوه امرأته ولم ينجب ولدا ، وحدث مثل ذلك لجميع من بقى من الاخوة . فلأى أخ من هؤلاء الاخوة تكون هذه المرأة يوم القيامة . فقال لهم يسوع انكم لتضلون وتجهلون أســفاركم وتشــكون فى قدرة الله . ألم تعلموا أن الناس فى الدار الآخرة لا يزوجون ولا يتزوجون ويعيشون كما تعيش ملائكة الله فى السماء ؟! والعجب لكم كيف تنكرون قيامة الأموات مع أنكم تقرءون فى كتبكم أن الله قد قال أنا الاه ابراهيم واسحق ويعقوب ؛ والله تعالى الاه للأحياء ولا يصح أن يكون الاها للأموات . فلما سمعوا منه ذلك بهتوا من حجته ، وسر الفريسيون لأنه أفحم الصدوقيين » .

ويذكر العلامة ابن حزم أن هذه الفرقة كانت تقول ان العزير ابن الله (١١٢). وهو من تسميه أسفار اليهود عزرا Esdras . ولعل هذه الفرقة هى التى يعنيها القرآن الكريم اذ يقول « وقالت اليهود عزير ابن الله » (١١٣) .

وتمتاز كذلك هذه الفرقة بحرصها على اقامة علاقات ودية مع الشعوب الأخرى ، بينما كانت فرقة الفريسيين تنظر الى غير الاسرائيلى نظرتها الى عدو ، بل كانت تنظر هذه النظرة الى غير أفراد نحلتها من اليهود أنفسهم (١١٤) .

ومع كثرة وجوه الخلاف بين هذه الفرقة وفرقة الفريسيين ، ومع اتجاهها الودى نحو الشعوب الأخرى ، فانها كانت لا تقل عن فرقة الفريسيين فى مبلغ عداوتها للمســيح والكيد له وتعويق رسالته .

وكانت هــذه الفرقة أقل كثيرا فى أتباعها من فرقة الفريسيين ، بــل ان الأغلبية الساحقة من اليهود كانوا ينفرون من تعاليمها ويناجزونها العداء .

---

(١١٢) المرجع السابق ص ٨٢ .
(١١٣) آية ٣٠ من سورة التوبة .
(١١٤) ولعل هذه الفرقة هى التى يقول فيها القرآن الكريم : « ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك » . ولعــل فرقة الفريسيين هى التى يقول فيها عقب ذلك : « ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (آية ٧٥ من سورة آل عمران) . والأميون نسبة الى الأمم وهم فى اصطلاح اليهود غير بنى اسرائيل .

فرقة السامرية (١١٥)

تختلف هذه الفرقة عن الفرقتين السابقتين بأنها لا تؤمن الا بالأسفار الخمسة التى تمثل القسم الأول من « العهد القديم » وسفر يوشع وسفر القضاة (١١٦) ، وتنكر بقية أسفار العهد القديم وأسفار التلمود . ونصوص الأسفار المعتمدة لديهم تختلف فى كثير من المواضع عن النصوص المشهورة لهذه الأسفار المعتمدة عند غيرهم . وهم مثل الصدوقيين لا يؤمنون بالبعث ولا باليوم الآخر .

وذكر ابن حزم أنهم « يبطلون كل نبوة كانت فى بنى اسرائيل بعد موسى ويوشع عليهما السلام ، فيكذبون نبوة شمعون وداود وسليمان وأشعيا واليسع والياس وعاموس وحبقوق وزكريا وأرميا وغيرهم ، وأنهم يقولون ان مدينة القدس هى نابلس ، وهى من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلا ، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولايعظمونه . وهم بالشام لايستحلون الخروج عنها » (١١٧) .

فرقة الحسديين (١١٨)

ظهرت هذه الفرقة حوالى القرن الثانى قبل الميلاد . وتختلف عن بقية فرق اليهود اختلافا جوهريا فى عقائدها وعباداتها ونظمها وتقاليدها .

فمن أهم ما تمتاز به عن بقية فرق اليهود فيما يتعلق بالعبادات أنها تحرم الأضحية والقرابين ، مع أن الأضحية والقرابين كانت تعتبر عند الفرق الأخرى من أهم العبادات ، وقد خصص لها قسم كبير من سفر من أسفار توراتهم

---

(١١٥) لعلهم سموا بذلك لأن نحلتهم قد ظهرت فى أقليم السامرة ، وهو أحد أقاليم فلسطين . وكانت كلمة السامريين تطلق كذلك على جماعة من غير بنى اسرائيل اعتنقت اليهودية وامتزجت بالاسرائيليين . وكان الاسرائيليون ينظرون الى أفرادها على أنهم أحط منهم قدرا ومنزلة .

(١١٦) انظر صفحات ١٢ — ٢٠ والتعليق المدون فى صفحة ١٩ .

(١١٧) ص ٨٢ من الجزء الأول من كتاب «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» لابن حزم .

(١١٨) كلمة الحسديين مأخوذة من كلمة حسديم بمعنى المشفقين (الياء والميم علامة الجمع فى العبرية) — وقد وصلت الينا أخبار هذه الفرقة بفضل ما كتبه عنها فيلون (فيلسوف يونانى من أصل يهودى ، ولذلك اشتهر باسم فيلون اليهودى ، ولد حوالى ٢٠ ق م) ، وما كتبه عنها المؤرخ اليهودى يوسيفيس (انظر تعليق ١١٠ ص ٥٥) . وقد أشار كذلك الى هذه الفرقة مشيدا ببعض نظرياتها العلامة مونتسكيو فى كتابه روح القوانين انظر :
Montesquieux : de l'Esprit des Lois, T. I, p. 106.

المزعومة وهو سفر اللاويين كما تقدم بيان ذلك (١١٩) . ومن مميزاتها في العبادات كذلك أنه يكثر في شعائرها مناسبات الغسل والوضوء .

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بالشرائع والنظم الانسانية العامة أنها تنكر التفرقة العنصرية وتقرر مبدأ المساواة بين الناس في القيمة الانسانية المشتركة، وتحرص على التعايش السلمي بين جميع الشعوب .

فمن مبادئها العمل على الغاء الحروب ، وأن يعيش العالم في سلام دائم ، ومجانبة الاضرار بالخلق وعدم ايذاء أي انسان حتى لو كان ذلك لتربيته وتعويده الامتثال والطاعة ، ومراعاة الصدق والأمانة والوفاء بالعهد حيال جميع الناس سواء في ذلك الاسرائيليون منهم وغير الاسرائيليين ، وتحريم طرائق الكسب غير السليم وابتزاز الناس واستغلال عوزهم وحاجتهم سواء في التعامل مع اليهودي أو غير اليهودي . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي كانت نظمها تقوم على التفرقة العنصرية وتبيح لأفرادها في علاقاتهم ومعاملاتهم مع غير اليهود ما لا تبيحه في علاقاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع بعض كما تقدم بيان ذلك (١٢٠) .

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بمبادىء الحرية أنها تحرم نظام الرق ، وتحظر أن يملك الانسان أخاه الانسان ، وأن يحرم أي فرد من حريته . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي كانت نظمها تقوم على الرق ، وقد خصص للرق وأحكامه حيز كبير في أسفارهم (١٢١) .

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بنظام الملكية أنها تحرم الملكية الفردية وتوجب أن تكون جميع الملكيات ملكيات جماعية . وقد طبقت مبادئها هذه على أفرادها الذين اعتزلوا المجتمع الاسرائيلي ، وعاشوا جماعات حول شاطىء البحر الميت . فقد ألغوا فيما بينهم نظام الملكية الفردية ، وجعلوا جميع ما تحت أيديهم من أرض ومنقول وملابس وأطعمة ومتاع ملكا جماعيا شائعا يحفظ ما يزيد منه عن الحاجة العاجلة في مخازن عامة ، ويشرف على شئون ادارته وتوزيعه حراس يختارون من بينهم بطريقة الانتخاب العام المباشر ، ويتفرغون كل التفرغ

---

(١١٩) انظر آخر ص ٢٦ الى ص ٢٨ .
(١٢٠) انظر صفحة ٣٦ .
(١٢١) انظر صفحات ٥٣ — ٦٠ من كتابنا « قصة الملكية في العالم » .

لأعمال وظيفتهم هذه • وحتى المنازل نفسها اعتبروها ملكا جماعيا ، وتركوها في كل قرية من قراهم مفتحة الأبواب لكل رفيق من جماعتهم ، سواء أكان من أهل القرية أم قادما من خارجها • ومن ثم يعتبر مذهب هذه الفرقة في شئون الاقتصاد من أقدم المذاهب الشيوعية في العالم • ويعتبر أتباعها من أقدم المجتمعات الانسانية التي أخذت بهذا المذهب وطبقته في حياتها بالفعل • وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي كانت تجيز الملكية الفردية الخاصة وتحيطها بسياج من الحماية ، وقد خصص لأحكام الملكية الفردية وطرق انتقالها وحقوقها وواجباتها حيز كبير في أسفارهم (١٢٢) •

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بالشئون المهنية أنها تحرم الاشتغال بالتجارة لما تبعثه في النفوس من جشع وحرص على جمع المال وجنوح الى ابتزاز الناس ، كما تحرم صناعة الأسلحة والذخيرة وسائر آلات الحرب لتنافر الغاية التي تقصد من هذه الصناعات مع أهم مبادئهم ، وهو أن يعيش الناس في سلام دائم • وتحرم كذلك استخدام الذهب والفضة والتعامل بهما لما يبعثانه في النفوس من زهو وما يحملان عليه من جشع وشح • ولذلك اقتصرت أعمالهم على الزراعة والصيد وما يحتاجان اليه ويتصل بهما من صناعات • ــ وهي في ذلك تختلف اختلافا جوهريا عن سائر فرق اليهود ، فقد كان من أهم مظاهر النشاط الاقتصادي لهذه الفرق شئون التجارة وصناعة السلاح والتعامل بالذهب والفضة ، بل لقد كانت هذه الفرق تنظر الى هذين المعدنين نظرة تقرب من التقديس •

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بنظام الأسرة أنها تحرم الزواج وتوجب التبتل والبعد عن النساء • وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي كانت ترى أن الزواج واجب ديني لكل قادر عليه وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه لا يقل جرمه عن القاتل ، لأن كليهما ، على حد تعبيرهم « يطفيء نور الله ، وينقص ظله في أرضه ويبعد رحمته عن اسرائيل » • بل لقد رأى بعض فقهائهم أن من بلغ العشرين وهو أعزب يجوز للقضاء أن يرغمه على الزواج (١٢٣) •

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بالحياة الفردية أنها تحارب الترف والحياة الناعمة وتدعو الى الزهد والتقشف والبعد عن جميع متع الجسم ، وتنظر الى

---

(١٢٢) انظر صفحات ٤٨ ــ ٦٤ من كتابنا « قصة الملكية في العالم » •
(١٢٣) انظر صفحات ٥ ، ٦ ، ٥٥ من كتابنا « قصة الزواج والعزوبة في العالم » •

هذه المتع على أنها شرور ، وتحرم شرب الخمور وأكل اللحوم وتوجب الاقتصار على الأغذية النباتية (١٢٤) ٠

ومن هذا يظهر أن هذه الفرقة تخالف فى معظم مـا تذهب اليه تعاليم العهد القديم والتلمود ، على الرغم من أنها تعتبر نفسها ويعتبرها المؤرخون من فرق اليهود ٠ ـ والحقيقة أنه لا يربطها ببقية فرق اليهود الا رابطة الجنس ، لأن أفرادها كانوا من بنى اسرائيل ٠

ولم تعمر هذه الفرقة طويلا، فقد انقرضت فى أواخر القرن الأول الميلادى، أى أنها لم تعش الا نحو قرنين أو ثلاثة قرون ٠

وقد ذهب بعض المؤرخين الى أن يوحنا المعمدان (وهو سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام) كان من هذه الفرقة ؛ ولكن لم يقدم أصحاب هذا الرأى بين يديه دليلا يعتد به ٠

فرقة القرائين أو العنانيين

والممهدون لها وما انشعب عنها من طوائف وما حدث بينها

وبين الربانيين من خلاف وخصومات

هى أحدث الفرق اليهودية جميعها ٠ فقد أنشأها عنان بن داود أحد علماء اليهود فى بغداد فى أواخر القرن الثامن بعد الميلاد ، فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور (كانت خلافته من سنة ٧٥٤ الى سنة ٧٧٥ بعد الميلاد) ، أى بعد نشأة الديانة اليهودية بنحو عشرين قرنا ٠ ويقوم مذهبها على التمسك بما جاء فى العهد القديم وحده ، وعـدم الاعتراف بأحـكام التلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات ٠ ومن ثم أطلق على فرقتهم اسم « العنانيين » نسـبة الى منشئها عنان بن داود ، واسم « القرائين » نسبة الى « مقرا » بمعنى الكتاب أو المكتوب L'Ecriture وهى الكلمة التى كانت تطلق عند اليهود على أسفار العهد القديم (١٢٥) ؛ فمعنى القرائين المتمسكون بالكتاب وحده

---

(١٢٤) V. L. G. Rylands : Evolution of Christianity, p. 55 et suiv.

(١٢٥) وأما كلمة « العهد القديم » فهى تسمية أطلقت على كتب اليهود فى العصور المسيحية للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التى أطلقوا عليها اسم « العهد الجديد » (انظر آخر ص ١٢ وأول ص ١٣) ٠

أى أسفار العهد القديم وحدها · ـ ولا يزال لهذه الفرقة أتباع كثيرون من اليهود فى مختلف البلاد فى العصر الحاضر ·

والتمسك بما جاء فى العهد القديم وحده أو بما جاء فى بعض أسفاره وحدها ورفض ما عدا ذلك ليس جديدا كل الجدة فى تاريخ الفرق اليهودية ، فقد أخذت به من قبل ظهور القرائين بأمد طويل فرق يهودية قديمة منقرضة كما أشرنا الى ذلك فيما سبق (١٢٦) · ـ ومن ثم يعد مذهب القرائين فى كثير من عناصره مجرد احياء لمذاهب هذه الفرق ·

وقد ألغى عنان جميع التشريعات التى قررها الربانيون مستندين فى تقريرها الى أسفار التلمود ·· وأدخل على كثير من تشريعاتهم التى استمدوها من فهمهم لنصوص العهد القديم تعديلات استمدها هو من اجتهاده الخاص ومن فهمه لنصوص هذا العهد · فقد انفرد فى استباط الأحكام من هذه النصوص بآراء كثيرة ذكر طائفة منها فى كتابه الذى ألفه فى تفسير التوراة (كتب موسى وهى الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم : أسفار التكوين والخروج والتثنية والعدد واللاويين) · ـ غير أنه قد تجاوز أحيانا هذا النطاق ، فقرر أحكاما تتعارض مع نصوص صريحة لأسفار العهد القديم ·

ومن أهم التشريعات التى خالف فيها الأحكام المقررة عند الربانيين معتمدا على اجتهاده الخاص فى فهم النصوص أنه حرم زواج العم من ابنة أخيه وزواج الخال من ابنة أخته · ومن أهم التشريعات التى خالف فيها نصوصا صريحة من التوراة أنه سوى بين الابن والبنت فى الميراث وقرر أن الزوج لا حق له فى تركة امرأته (١٢٧) ·

وقد مهد لظهور فرقة القرائين بعض حركات اصلاحية دينية حدثت قبيل ظهورها وان كان أصحابها لم يكتب لهم النجاح فيما دعوا اليه · ومن أهم هذه الاصلاحات ما نادى به سيرينوس وما نادى به عبوديا بن عيسى ·

أما سيرينوس فهو يهودى من أهل سوريا نادى باصلاحاته حوالى سنة ٧٢٠ ميلادية ، وجعل شعاره : « اتركوا تعاليم التلمود » وتبعه ناس كثيرون ، فعظم شأنه ، وامتلأ زهوا ، حتى لقد أعلن أنه المسيح المنتظر ، وكادت تحدث

---

(١٢٦) انظر مثلا صفحتى ٥٦ ، ٥٨ ·
(١٢٧) انظر القواعد التى كان يسير عليها الميراث عند اليهود فى صفحتى ٥٠ ، ٥١ من كتابنا « قصة الملكية فى العالم » ·

من جراء ذلك فتنة كبيرة فى العالمين اليهودى والاسلامى كليهما ، فقبض عليه وقدم الى الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك إ(كانت خلافته من سنة ٧٢٠ الى سنة ٧٢٤ميلادية) فرأى الخليفة ، حسما للفتنة أن يسلمه الى اليهود أنفسهم ليتولوا محاكمته • وانتهى بذلك أمره •

وأما عوبديا بن عيسى فهو يهودى من أصفهان نادى باصلاحاته حوالى سنة ٧٥٠ ميلادية، واتخذ الشعار نفسه الذى اتخذه سيرينوس، وهو عدم الاعتراف بالتلمود ، وأدخل تعديلات كثيرة على الأحكام اليهودية المستمدة من التوراة نفسها ، فألغى الطلاق ، وجعل فرائض الصلاة أربعة بدلا من ثلاثة فى اليوم ، وحرم أكل اللحوم وشرب الخمور • ـ وقد أشار العلامة ابن حزم الى هـذه النحلة ، وذكر أن أصحابها يقرون بنبوة عيسى ونبوة محمد عليهما السلام • وذلك اذ يقول : « والعيسوية هم أصحاب أبى عيسى الأصفهانى رجل من اليهود كان بأصفهان • وبلغنى أن اسمه كان محمد بن عيسى • وهم يقولون بنبـوة عيسى بن مريم ومحمد صلى الله عليه وسلم • ويقولون ان عيسى بعثه الله عز وجل الى بنى اسرائيل على ما جاء فى الانجيل وأنه أحد أنبياء بنى اسرائيل • ويقولون أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبى أرسله الله تعالى بشرائع القرآن الى بنى اسماعيل والى سائر العرب • كما كان أيوب نبيا فى بنى عيص وكما كان بلعام نبيا فى بنى مؤاب باقرار من جميع فرق اليهود » (١٢٨) •

وقد حاول عبوديا هذا هو وأنصاره استخدام القوة فى فرض آرائهم على طوائف اليهود ، فأخفقوا فى محاولاتهم ، ومنوا بعـدة هزائم منكرة وانتهى بذلك أمرهم •



وقد نجح عنان فيما أخفقت فيه هذه الطوائف من قبل • ولكنه فتح باب الاجتهاد فى فهم النصوص المقدسة ، وسمح لكل قادر على ذلك أن ينشىء له مذهبا فرعيا خاصا فى نطاق الأصول العامة التى قام عليها مذهبه ، فترتب على ذلك أن حدث الانقسام فى فرقة القرائين نفسها ، وانشعبت منهـا طوائف كثيرة من أشهرها طائفة بنيامين بن موسى وطائفة الأكبرية •

أما بنيامين بن موسى فهو فارسى من نهـاوند ، نادى بتعاليمه فى أوائل

---

(١٢٨) ص ٨٢ من الجزء الأول من كتاب «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» لابن حزم •

القرن التاسع الميلادى • وهى فى جملتها مستمدة من تعاليم عنان ، مع بعض آراء تأثر فيها بمذاهب المعتزلة وفلاسفة الاسلام ، وخاصة الفارابى وابن سينا • ومن أهم ما ذهب اليه فى شئون العقيدة أنه أنكر ما يوهمه ظاهر العهد القديم اذ يصور الذات العلية فى صورة مجسمة تشبه صور الحوادث (١٢٩) واذ يقرر أن الله تجلى لموسى فى سيناء وكلمه ، لما ينطوى عليه ذلك من حلول الله فى المكان واخراجه للصوت ، وأنكر أن يكون الله قد تولى عملية الخلق فى صورة مباشرة ، لما ينطوى عليه ذلك من التغير والحركة ومن اتصال الله بالمادة ، وذهب الى أن الله خلق الملائكة ، وهم كائنات روحية غير مادية ، وهذه الكائنات هى التى خلقت العالم المادى • وهنا يبدو التأثر بمذهب الفارابى فى نظرية « العقول » التى انبثقت عن الله تعالى كما ينبثق الضوء من الشمس ، وتولت الاشراف على خلق الكائنات السماوية والأرضية وعلى مختلف شئونها . (١٣٠)

وقد انضم الى نحلة بنيامين بن موسى عدد كبير من القرائين ، فعظمت مكانته وبلغ فى نفوس أتباعه منزلة تقرب من منزلة عنان بن داود المنشىء الأول لفرقة القرائين •

وأما فرقة الأكبرية فقد أنشأها عالمان يهوديان من مدينة «أكبر» بالقرب من بغداد ، حوالى سنة ٨٤٠ م ، وهما موسى واسماعيل الأكبريان • وأهم ما تمتاز به هذه الفرقة عن بقية فرق القرائين أنها لا تؤمن الا بأسفار موسى الخمسة (أسفار التكوين والخروج والتثنية واللاويين والعدد) ولا تعترف ببقية أسفار العهد القديم • ومذهبها هذا يعد فى جملته احياء لمذهب السامرية الذى تكلمنا عليه فيما سبق (١٣١) •



هذا ، وقد تفاقم الخلاف بين القرائين والربانيين ، وهما أهم الفرق اليهودية الباقية الى العهد الحاضر ، وشنت كلتا الطائفتين حربا عنيفة على الطائفة الأخرى ، فحكمت كلتاهما على الأخرى بالكفر ، واستقلت كلتاهما بمعابد خاصة لا يسمح بدخولها لغير أتباعها •

---

(١٢٩) انظر صفحات ٢٣ - ٢٨ •

(١٣٠) انظر تفصيل هذه النظرية فى كتابنا « فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى » صفحات ٤٠ - ٤٢ الطبعة الثانية •

(١٣١) انظر ص ٥٨ •

ويروى لنا التاريخ كثيرا من الخصومات العنيفة التى حدثت بين هاتين الطائفتين فى كثير من البلاد التى كان يوجد فيها أتباع لكلتيهما . ومن أشهر هذه الخصومات ما حدث بينهما فى مصر فى أيام الملك الفاطمى الظاهر ابن الحاكم بأمر الله (تولى الخلافة الفاطمية من ٤٢١ الى ٤٢٧ هـ ١٠٢٠ الى ١٠٣٥ م) . وكان سبب هذه الخصومة أن المشرف اليهودى على قصابى اليهود كان من طائفة الربانيين . وللقرائين فى شئون الذبائح مذهب يختلف عن مذهب الربانيين . فهم يحرمون ذبح أنثى الحيوان فى أثناء حملها بينما يجيز ذلك الربانيون . فحدث من جراء ذلك احتكاكات عنيفة بين الطائفتين . وطلب القراءون أن يسمح لهم بحوانيت خاصة للحوم الأنعام والطيور تخضع لتفتيشهم هم ولا تخضع لتفتيش محتسب الربانيين ، وأن يسمح لهم بفتح حوانيتهم فى أعياد الربانيين التى لا يعترفون هم بمواقيتها (فلكل فرقة تقويمها الخاص ، ومن ثم اختلفت مواقيت الأعياد عند كلتيهما) . وقد استجاب الخليفة الظاهر لمطالب القرائين وأصدر مرسوما فى ١١ من جمادى الأولى سنة ٤١٥ هـ ١٠٢٤ ميلادية هذا نصه :

« من تتبع عاداتكم، واستمراركم فى تقاليدكم التىأخذتموها عن دياناتكم بدون عائق يقوم من طائفة ضد الأخرى أو قيام معاملة خشنة بينكما ، فهذا يدعو الى السماح لكل طائفة بأن تعيش وتعبد كما تهوى ، مع تمكين كل طائفة فى بيع أو شراء ما تشتهى ، وأن تحتفل بعيدها كما تريد ومتى ترغب بكامل حريتها ومطلق ارادتها . وأحذر الطائفتين من التدخل فى شئون بعضهما أو احداث شغب أو مضايقة بعضهما . ان الأمان مكفول لكم جميعا . وعليكم عدم تمكين شرير بينكم من الاتيان بشىء ممنوع . وعليكم تجنب المناقشات التى تؤدى الى سوء العاقبة . وعليكم المحافظة على ذلك . والعقوبة ستحل بكل فرد يتجاوز حدوده ويأتى بأعمال محرمة . فمثل هذا الشخص سيعاقب عقوبة شديدة وسيكون مثالا لغيره حتى لا يحتذيه أحد . كذلك يحرم التدخل فى شئون طائفة القرائين فى معابدهم الخاصة بهم وحدهم » .

« وهذا الأمر صادر من أمير المؤمنين . فعليكم العمل على تنفيذه واحترامه ، وعلى أمير الجيوش ـ ساعده الله ـ أن يساعد على تنفيذه ، وعلى رؤساء الأقاليم العناية العادلة بالطائفتين ، وعلى الحكام اصدار الأوامر الخاصة بوجوب العناية والمحافظة على أفراد الطائفتين والعمل على عدم اضطهادهم » .

« ليحترم هذا الأمر بواسطة الذين كتب لهم ان شاء الله » .

« حرر في يوم الأربعاء ١١ جمادى الأول عام ٤١٥ هجرية » .



ومن هذا يظهر مبلغ سماحة الاسلام وسماحة الحكومات الاسلامية فى معاملة أهل الديانات الأخرى وتذليل الفرص لاتباعها فى مزاولة عباداتهم وأداء شعائرهم . وهذه أظهر سمة من سمات الكمال لديننا الاسلامى القويم (١٣٢) .



(١٣٢) انظر كذلك فى تفاصيل فرق اليهود « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » للعلامة ابن حزم ص ٨٢ وتوابعها من الجزء الأول .

الفصل الثاني

أسفار الديانة المسيحية

سنمهد لموضوع هذا الفصل بفقرتين : نعرض في أولاهما لمن يطلق عليهم اسم « الحواريين » أو « الرسل » Les Apôtres، وهم الذين ينسب اليهم قسم كبير من أسفار « العهد الجديد » وهي الأسفار المقدسة عند المسيحيين ؛ وفي الثانية لمن يطلق عليهم اسم التلاميــذ les Disciples والتابعين ، وهم الذين يلون الحواريين في منزلتهم ، واليهم ينسب كذلك بعض أسفار العهد الجديد.

ثم نقف الفقرات التالية على التعريف بهذه الأسفار ، مع تحقيقات تتعلق بتاليفها ، وتاريخه ، واللغات التي ألفت بها والتي ترجمت اليها ، وما تشتمل عليه من عقيدة وشريعة وقصص ، ومبلغ الصحة في نسبتها الى أصحابهــا ، والأسفار الأخرى غير المعتمدة عند المسيحيين ، والفرق المسيحية وما بينها من خلاف وصلة ذلك بالأسفار ، وموقف الاسلام من جميع هذه الأمور .

– ١ –

الحواريون أو الرسل Les Apôtres

بحسب ما ترويه أسفار الديانة المسيحية

تروى أسفار الديانة المسيحية بشأن الحواريين ما يلي :

اختار المسيح من بين السابقين الأولين من أتباعه ومن أكثرهم ملازمة له اثنى عشر رجلا كلفهم تبليغ رسالته الى الخلق ، ومن ثم أطلق عليهم اسم الرسل les Apôtres ، وهم : بطرس كبير الحواريين وأخوه أندراوس ويوحنا وأخوه يعقوب الكبير ابنا زبدى ويعقوب الصغير ابن حلفى وأخوه يهوذا ومتى وتوماس وفيليبس وبرثولماوس وسمعان النشيط أو الغيور ويهوذا الاسخريوطي .

Pierre et son frère André, Jean et son frère Jacques le majeur fils de Zébédée, Jacques le mileur fils d'Alphée et son frère Jude, Mathieu, Thomas, Phillipe, Barthélemy, Simon le zélé, Juda l'Iscariote.

وقد ظل هؤلاء مخلصين لرسالتهم ، صادقين ماعاهدوا المسيح عليه ، ماعدا يهوذا الاسخريوطى فانه قد خان المسيح وأرشد الفريسيين والرومان الى مقره وسهل لهم صلبه وتقاضى منهم أجرا على ذلك ٠ وقد جوزى على فعلته هذه بأن مات شر ميتة ونشر دمه ونشرت أمعاؤه فى مساحة واسعة من الأرض سميت لذلك « حقل الدماء » ٠

وحينئذ اجتمع نحو مائة وعشرين من كبار المسيحيين تحت رياسة بطرس كبير الحواريين ووقع اختيارهم على اثنين يكمل أحدهما عدة الحواريين الاثنى عشر وهما يوسف برساباس الملقب جوستوس ومتياس Barsabbas appelé Justus et Mthias ثم ضربوا القرعة بينهما فخرج سهم متياس ، فاختير حواريا مكملا للاثنى عشر بدلا من الخائن يهوذا الاسخريوطى (١) ٠

وقد ظهر المسيح بعد صلبه وقيامته ورفعه الى السماء فى عمود من نور لرجل يهودى كان من ألد أعداء المسيحية وأشدهم حربا عليها وعلى أهلها ، فهداه الصراط المستقيم ، وكلفه تبليغ رسالته الى الأمم وهدايتهم الى المسيحية ، ومن ثم أطلق عليه حوارى المسيح ورسوله الى الكفار Apôtre des Gentiles (٢) ، وأصبح من ذلك الحين من أشد أنصار المسيحية ومن أكبر دعاتها ، وأصبح له فى تاريخ المسيحية وعقائدها وشرائعها شأن لم يصل الى مثله كثير من الحواريين الأولين أنفسهم : ذلك هو الرسول بولس Saint Paul.

ومن بين هؤلاء الرسل ستة تنسب اليهم أسفار فى العهد الجديد ، وهم بطرس ويوحنا ومتى ويعقوب الصغير وأخوه يهوذا وبولس ٠ فهم وحدهم ، من بين جميع الحواريين ، الذين يتصلون بموضوع دراستنا ٠ ولذلك سنقدم لكل منهم فيما يلى ترجمة موجزة حسب ما ترويه أسفار المسيحيين :

١ — بطرس Pierre : كان اسمه الأصلى سمعان Simon ، وكانت مهنته صيد الأسماك ٠ وقد دعاه المسيح لمتابعته فآمن به ٠ وسماه المسيح « كيفا » Képha (وهى كلمة آرامية تدل فى هذه اللغة التى كانت لغة الحديث والكتابة فى فلسطين فى عهد المسيح على معنى الحجر أو الصخرة) وقال له أنت الصخره التى سأبنى عليها كنيستى ، ثم ترجم هذا الاسم الى اللاتينية فى كلمة معناها الصخرة فى هذه اللغة وهى «بطرس» Petrus ٠ وهو رئيس الحواريين جميعا

(١) انظر « أعمال الرسل » للوقا ١٥ — ٦ من الاصحاح الأول ٠
(٢) انظر الاصحاح التاسع من أعمال الرسل للوقا ٠

وأشدهم ملازمة للمسيح . وقد وقف جهوده على التبشير بالمسيحية فى عهد المسيح ومن بعده فى كثير من البلاد ، فذهب الى أنطاكية Antioche وغيرها . وانتهى به المطاف فى روما حيث قبض عليه وزج فى السجن وحكم عليه بالاعدام صلبا سنة ٦٧ على الأرجح فى زمن نيرون Néron امبراطور الدولة الرومانية. وقد طلب أن يصلبوه منكسا حتى لا يتشبه بالمسيح . — واليه يرجع أكبر قسط من الفضل فى نشر المسيحية فى الدولة الرومانية . وهو الذى أنشأ كنيسة روما التى يتولى رياستها بابوات الكنيسة الكاثوليكية ، وهم يعتبرون أنفسهم خلفاء بطرس ، ولذلك تسمى كنيستهم الكنيسة البطرسية . واليه تنسب رسالتان من الرسائل السبع التى يسمونها « الرسائل الكاثوليكية » وهى احدى مجموعات « العهد الجديد » ، وسنتكلم عليها فى الفقرة الثامنة من هذا الفصل . وينسب اليه كذلك أنه قد أشرف على تدوين انجيل مرقس ، وهو أحد الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين والتى سنتكلم عليهـا فى الفقرة الرابعة من هذا الفصل ، بل ان بعض المؤرخين ليذهب الى أنه هو الذى الف هذا الانجيل ونسبه الى تلميذه مرقص كما سيأتى بيان ذلك .

٢ — يوحنا Jean هو كذلك من كبار الحواريين الاثنى عشر ، وكان أبوه زبدى Zébédée من السابقين الأولين الى المسيحية ومن كبار دعاتها ، وكانت أمه سالومى Salomé قديسة شهيرة ورد ذكرها فى الأناجيل ، وهى قريبة السيدة مريم أم المسيح، وقد جاءت من زبدى بيوحنا وأخيه يعقوب الكبير Jacques le majeur . ويقول التاريخ المسيحى ان المسيح نفسـه قد بارك هذين الأخوين لما قدمتهما اليه سالومى ، فوضع أحدهما على فخذه الأيمن والآخر على فخذه الأيسر وباركهما . وتقول كذلك ان يوحنا كان أحب الحواريين الى المسـيح وأقربهم الى قلبـه ، ومن ثم يطـلق عليـه اسم الحـوارى الحبيب L'Apôtre bien-aimé حتى لقد استودعه المسيح أمه السيدة مريم وهو فوق الصليب . وكانت مهنتـه صيد الأسماك كمهنة بطرس ، ووقف جهوده بعـد اعتناقه المسيحية على نشرها والدعوة لها . وتوفى بين سنتى ٩٨ و١٠٠ بعد الميلاد . وينسب اليه انجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين ، وهو آخرها تاليفا ، وأربعة أسفار أخرى من أسفار العهد الجديد ، وهى ثلاثة رسائل من الرسائل الكاثوليكية والسفر النبوى أو رؤيا يوحنا ، كما سنبين ذلك فى الفقرتين الرابعة والثامنة من هذا الفصل . — أما أخوه يعقوب الكبير فهو كذلك من الحواريين الاثنى عشر ، ولكن لا ينسب اليه أى سفر فى العهد الجديد ، وقد استشهد سنة ٤٤ ميلادية على الأرجح .

٣ — متى Mathieu : هو كذلك أحد الحواريين الاثنى عشر . وكان قبل

اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب للرومان فى كفرناحوم من أعمال الجليل بفلسطين • وكان اليهود يزدرون الجباة ويزدرون مهنتهم لما كانت تنطوى عليه من أعمال الظلم والعنف ، ولأنهم كانوا مسخرين للدولة الرومانية التى تستعمر البلاد وتسوم أهلها سوء العذاب ، وكانوا يسمونهم « العشارين» لأنهم كانوا فى الغالب يأخذون عشر المحاصيل وغيرها ضريبة لبيت المال • وقد اختاره المسيح تلميذا له • فقد جاء فى الاصحاح التاسع من انجيل متى : « وبينما كان يسوع سائرا رأى شخصا جالسا عند مكان الجباية اسمه متى ، فقال له اتبعنى فقام واتبعه ، وبينما هو متكىء فى البيت اذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا وجلسوا مع يسوع وتلميذه • فلما رأى ذلك الفريسيون (فرقة من اليهود تقدم ذكرها فى الفقرة الثالثة عشرة من الفصل السابق) قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ، فلما سمع قولهم يسوع قال لهم ان المرضى هم الذين يحتاجون الى الطبيب لا الأصحاء ، واننى لم آت لأدعو أبرارا بل لأدعو خطاة الى التوبة » (٣) •

وبعد صلب المسيح أخذ متى يدعو الى المسيحية مطوفا فى كثير من البلاد ثم استقر فى الحبشة وقضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة داعيا الى ديانته ، ومات بها سنة ٧٠ على أثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة ، أو على أثر طعنة برمح أصيب بها سنة ٦٢ فى رواية أخرى • واليه ينسب انجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين ، وهو أقدم هذه الأناجيل جميعا كما سيأتى بيان ذلك فى الفقرة الرابعة من هذا الفصل ، وينسب اليه كذلك انجيل آخر من الأناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين كما سيأتى بيان ذلك فى الفقرة السابعة من هذا الفصل •

٤ — يعقوب الصغير ابن حلفى Saint Jacques le mineur fils d'Alphée (وقد لقب بالصغير للتمييز بينه وبين يعقوب بن زبدى أخى يوحنا الذى لقب بيعقوب الكبير) • وهو كذلك أحد الحواريين الاثنى عشر ، وهو من أقرباء المسيح • وكان ممن اجتباهم المسيح نفسه واختارهم لنشر رسالته ، ولم يلبث أن أصبح من أكبر الدعاة الى المسيحية فى حياة المسيح ومن بعده ، وخاصة فى بلاد فلسطين ، ويعتبره التاريخ المسيحى أول أسقف لأورشليم (بيت المقدس) • وقد استشهد حوالى سنة ٦٢ بعد الميلاد بأورشليم حيث حكم عليه بالاعدام رجما •

---

(٣) فقرات ٩ — ١٣ من الاصحاح التاسع من انجيل متى •

وينسب اليه التاريخ المسيحى تعديلا هاما أدخل فى الشريعة المسيحية فى مجمع أورشليم الذى انعقد بعد رفع المسيح بنحو اثنتين وعشرين سنة . وذلك أن المسيحيين الأولين كانوا يوجبون على أنفسهم جميع ما أوجبته أسفار العهد القديم ويحرمون على أنفسهم جميع ما حرمته ، أى يعتبرون شريعةموسى شريعة لهم ويعتبرون أسفارها أسفارا مقدسة ، ولا يستثنون من ذلك الا ما صرح المسيح نفسه بنسخه أو تعديله . واستمر المسيحيون على ذلك الى أن انعقد مجمع أورشليم بعد رفع المسيح بنحو اثنتين وعشرين سنة . وكان هذا أول مجمع يعقد بعد المسيح للنظر فى الشريعة . وقد اجتمع فيه الحواريون والتلاميذ وكثير من السابقين الأولين الى المسيحية . فتقدم يعقوب الصغير الى المجتمعين باقتراح يقضى بعدم وجوب الختان الذى أوجبته التوراة على كل ذكر لأن الختان يشق على بعض من يدعونهم الى المسيحية فيرغبون عنها بسببه ، وبالاقتصار على تحريم ثلاثة أشياء من المأكولات التى حرمتها التوراة وهى الدم والمنخنقة وما ذبح للأوثان واحلال ما عدا ذلك تيسيرا على الناس. ويدخل فى باب الحل لحم الخنزير نفسه الذى حرمته أسفار العهد القديم . ودافع يعقوب عن وجهة نظره دفاعا قويا ، فأقر الحواريون والحاضرون اقتراحه بجميع محتوياته (٤) .

وتنسب اليه رسالة من الرسائل الكاثوليكية السبع ، وهى احدى رسائل العهد الجديد التى سنتكلم عليها فى الفقرة الثامنة من هذا الفصل .

٥ — يهوذا Saint Jude ويسمى كذلك ثدى Thaddée ولبى Lebée وهو أخو يعقوب الصغير ومن أقرباء المسيح ، وهو كأخيه أحد الحواريين الاثنى عشر . وكان من دعاة المسيحية فى حياة المسيح ومن بعده . واستشهد فى ميزوبوتاميا (العراق) حيث كان يدعو الى المسيحية فى وديان دجلة والفرات. وتنسب اليه رسالة من الرسائل الكاثوليكية السبع ، وهى احدى رسائل العهد الجديد التى سنتكلم عليها فى الفقرة الثامنة من هذا الفصل .

٦ — بولس Saint Paul كان يهوديا من الفريسيين على أرجح الأقوال وكان اسمه شاول Saül . وكان من ألد أعداء المسيحية فى عهد المسيح ومن بعده ومن أشدهم حربا عليها وعلى أهلها . فكان يسطو على معابد المسيحيين ويقتحم بيوتهم ويغير عليهم فى الطرقات ، فيقتل منهم من يقتل ، ويعذب من يعذب ، ويشد وثاق بعضهم من الرجال والنساء ويسلمهم الى السجون وساحات

---

(٤) انظر الاصحاح ١٥ من سفر « أعمال الرسل » للوقا .

التعذيب . - وبينما هو سائر فى طريقه الى دمشق ظهر له المسيح فى عمود من نور ، وكان ذلك بعد صلبه ورفعه ، فهداه الصراط المستقيم ، وكلفه تبليغ رسالته الى الأمم وهدايتهم الى المسيحية ، ومن ثم أطلق عليه اسم « حوارى المسيح الى الأمم الكافرة Apôtre des Gentiles » . - وعندما ذهب الى الحواريين بعد ذلك أوجسوا خيفة منه ، وظنوا أنه يتظاهر بالايمان للمكر بهم وتدبير الكيد لهم ، ولكن «برنابا» Barnabé (الذى سنترجم له فى الفقرة التالية) شهد أمامهم بصحة ايمانه وقص عليهم قصة هدايته وظهور المسيح له ، فاطمئنوا اليه ، وأنزلوه منهم منزلة كبيرة وانقلب من ألد أعداء المسيحية الى أكبر دعاتها والمنافحين عنها ، وأخذ يطوف فى مختلف البلاد عاملا على نشرها وادخال الناس فى دينها ، واصطحب معه «برنابا» فى رحلاته الأولى ، ثم اختلفا بعد ذلك فافترقا . وظل سائرا على منهجه ينشىء الكنائس ، ويلقى الخطب ، ويؤلف الرسائل فى المسيحية عقائدها وشرائعها وأخلاقها ، حتى قتل فى اضطهادات نيرون سنة ٦٦ أو ٦٧ م (٥) .

وينسب الى بولس أربعة عشر سفرا من أسفار العهد الجديد تسمى « رسائل بولس » على ما سنذكره مفصلا فى الفقرة الثامنة من هذا الفصل .

وبفضل هذه الرسائل أصبح لبولس فى تاريخ المسيحية وعقائدها وشرائعها أكبر شأن ، حتى ان المسيحية الحاضرة لتنسب اليه أكثر مما تنسب الى غيره وتستمد معظم أصولها وتعاليمها من رسائله ، وحتى ان كلمة « الرسول » اذا أطلقت لا يراد بها فى اصطلاحهم الا بولس ، كما يطلقون عليه كذلك لقب « الرسول الكبير le Grand Apôtre » .

---

(٥) انظر الاصحاحات الثامن والتاسع والثالث عشر والرابع عشر من سفر « أعمال الرسل » للوقا .

- ٢ -

التلاميذ والتابعون

بحسب ما ترويه أسفار الديانة المسيحية

تروى أسفار الديانة المسيحية بشأن التلاميذ والتابعين ما يلى :

اختار المسيح من بين أتباعه والملازمين لصحبته والاستماع اليه بجانب الاثنى عشر حواريا السابق ذكرهم ، وهم الذين كانت لهم أكبر منزلة فى المسيحية ، سبعين رجلا كلفهم التبشير بالمسيحية فى قرى الجليل ، وأطلق على هؤلاء اسم « التلاميذ » les Disciples

وبجانب الرسل والتلاميذ يحفظ لنا التاريخ المسيحى أسماء جماعة لم يصاحبوا المسيح نفسه ، ولكن صاحبوا بعض رسله أو بعض تلاميذه وأخذوا عنهم ، وكان لهم أثر ذو بال فى المسيحية • ومن الممكن أن نطلق على هؤلاء اسم « التابعين » جريا على الاصطلاح الاسلامى الذى يطلق هذا الوصف على من لم يصاحب الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه ولكن أخذ عن بعض صحابته •

ومن بين التلاميذ اثنان تنسب اليهما بعض أسفار فى الديانة المسيحية وهما «برنابا» و «مرقص» ، ومن بين التابعين واحد تنسب اليه كذلك بعض هذه الأسفار وهو «لوقا» • فهؤلاء الثلاثة وحدهم ، من بين جميع التلاميذ والتابعين ، هم الذين يتصلون بموضوع دراستنا • ولذلك سنقدم لكل منهم فيما يلى ترجمة موجزة حسب ما ترويه أسفار المسيحيين :

١ - برنابا Saint Barnabé : كان يهوديا من اللاويين ، وكان اسمه يوسف ، وقد سماه الحواريون «برنابا» ومعنى هذه الكلمة «ابن الوعظ» • وهو من التلاميذ السبعين على الأرجح • وقد باع جميع ما يملكه من أرض فى فلسطين وقدم ثمنه للحواريين ليستعينوا به فى الدعوة الى المسيحية ومساعدة فقراء المسيحيين • وهو الذى ضمن بولس أمام الحواريين وشهد بصحة ايمانه وقص عليهم هدايته وظهور المسيح له كما تقدم بيان ذلك • وقد كلفه الحواريون عدة مهام تتعلق بالتبشير وتنظيم المجتمعات المسيحية الأولى فقام وحده بما عهد اليه به خير قيام • ثم اصطحب بولس بعد ذلك وعملا معا على تبليغ رسالة المسيح الى الكفار وهدايتهم الى المسيحية واصطحبا معهما مرقص ابن أخت برنابا (وسنترجم له فى الفقرة التالية) فطوفا معا لهذه الغاية فى كثير من البلاد ومنها أنطاكية Antioche وقبرص • وقد نجحا فى رسالتهما أيما نجاح ،

وظهر على أيديهما معجزات كثيرة ، وبلغا فى نفوس أتباعهما منزلة كبيرة، حتى لقد افتتن بهما أهل قبرص واعتقد الكثير منهم أنهما الاهان • ولما بلغهما ذلك مزقا ثيابهما واندفعا الى الجمهور صارخين متبرئين مما وصفا به ، فرجع الناس عن ضلالهم •ـ ثم اختلف برنابا مع بولس فافترقا ، ورجع برنابا فى هذه المرة مع ابن اخته مرقص ليكمل ما بدأ عمله فى هذه البلاد مع بولس (٦) •

وينسب لبرنابا انجيل وسفر فى تاريخ الحواريين والتلاميذ يسمى «أعمال الرسل» • ولا تعترف الكنائس المسيحية الحاضرة بصحة هذا الانجيل ولا هذا السفر ولا بصحة ما جاء فيهما ولا بصحة نسبتهما الى برنابا ، بل تذهب الى أنهما مزيفان وأن ملفقيهما قد ألصقوهما ببرنابا ليروجوهما • وسنعرض لذلك فى الفقرتين السابعة والثامنة من هذا الفصل •

٢ ــ مرقس Saint Marc اسمه يوحنا ويلقب بمرقص ، وأصله من اليهود ، وهو من التلاميذ السبعين على الأرجح ، وابن أخت القديس برنابا • وقد صاحب الرسول بولس والقديس برنابا فى رحلاتهما وتبشيرهما بالمسيحية فى قبرص وآسيا الصغرى ، ثم صاحب الرسول بطرس كبير الحواريين نفسه وقضى معه شطرا من حياته وتبعه الى روما • وبعد استشهاد الرسول بطرس شخص مرقص الى شمال افريقيا ثم الى مصر ونشر فيها المسيحية وأنشأ بها بطرياركة الاسكندرية (الكرازة المرقسية) التى يتولاها الآن بابوات الأقباط الأرثوذكس الذين يعتبرون أنفسهم خلفاء مرقص • واستشهد فى مصر حوالى سنة ٦٧ •

وقد اختاره أهل البندقية (فينيسيا) حاميا لمدينتهم • وله فى البندقية كنيسة تعد من أجمل كنائس العالم وأفخمها وأدقها عمارة وأغناها بالآثار الفنية •

وينسب اليه انجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين والتى سنتكلم عليها فى الفقرة الرابعة من هذا الفصل •

٣ ــ لوقا Saint Luc • ولد فى أنطاكية ودرس الطب وزاول مهنته بنجاح كبير ، ثم اعتنق المسيحية ، وأصبح من كبار دعاتها ، ورافق الرسول بولس فى كثير من رحلاته ، وأشار بولس الى هذه الرفقة فى بعض رسائله وخاصة

---

(٦) انظر اصحاحات ٤ ، ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ من سفر « أعمال الرسل » للوقا •

فى رسالته الثانية الى تلميذه تيموثاوس وفى رسالته الى تلميذه فيليمون وفى رسالته الى أهل كولوس(٧) . وذهب بعضهم الى أنه كان رومانيا نشأبايطاليا . ويرجح آخرون أنه كان مصورا ولم يكن طبيبا . وقد مات سنة ٧٠ ميلادية على الأرجح .

وينسب اليه انجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين وسفر آخر من أسفار العهد الجديد يسمى « أعمال الرسل » وهو فى تاريخ الحواريين والتلاميذ ، ويعد أهم مرجع فى تاريخ نشأة المسيحية وأحوالها بعد المسيح وتاريخ دعاتها الأولين .

- ٣ -

العهد الجديد

استقر رأى المسيحيين فى أوائل القرن الخامس الميلادى على اعتماد سبعة وعشرين سفرا من أسفارهم ، وقرروا أنها هى وحدها الأسفار المقدسة ، أى الموحى بها ، ويقصدون أنه موحى لأصحابها من الرب بمعانيها لا بألفاظها ، وأطلقوا عليها اسم « العهد الجديد » Nouveau Testament للمقابلة بينها وبين ما أعتمد من أسفار اليهود المقدسة التى أطلقوا عليها اسم « العهد القديم » Ancien Testament. فتسمية هاتين المجموعتين من الأسفار بهذين الاسمين هى تسمية متأخرة لاحقة لظهور المسيحية . ويقصد بكلمة « العهد » فى هاتين التسميتين ما يرادف معنى الميثاق . أى ان كلتا المجموعتين تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس . فأولاهما تمثل ميثاقا قديما يرجع الى عصر موسى ، والأخرى تمثل ميثاقا جديدا بدأ بظهور عيسى .

وترجع أسفار العهد الجديد الى ثلاث مجموعات وسفرين . فالمجموعات هى : مجموعة الأناجيل وعددها أربعة ؛ ومجموعة رسائل بولس وعددها أربع عشرة رسالة ؛ ومجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل . وأما السفران فهما : سفر « أعمال الرسل » للوقا ، وسفر « رؤيا يوحنا » أو « الأبوكاليبس » ليوحنا .

وسنفصل الكلام على هذه الأسفار فيما يلى :

---

(٧) سنتكلم على هذه الرسائل فى الفقرة الثامنة من هذا الفصل .

— ٤ —

الأناجيـل الأربعـة

تمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة أهم مجموعات العهد الجـديد ، وتستأثر وحدها فى هذا العهد بحيز كبير يقرب من نصفه (تستغرق نحو ١١٠ صفحة من مجموع صفحات العهد الجديد البالغة نحو ٢٥٠ فى احدى ترجماته بالفرنسية) وهى : انجيل متى ؛ وانجيل مرقص ؛ وانجيل لوقا ؛ وانجيل يوحنا •

١ — أما انجيل متى فمؤلفه هو الرسول متى أحد الحـواريين الاثنى عشر الذى ترجمنا له فى الفقرة الأولى من هذا الفصل • وانجيله هو أقدم الأناجيل جميعا اذ يرجع تاريخ تأليفه الى حوالى سنة ٦٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال• وقد ألفه متى باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة التى تكلمنا عليها فى الفقرة الثانية من الفصل الأول من هذا الكتاب ، والتى كانت مستخدمة فى المحادثة والكتابة فى هذا العصر فى فلسطين • وقد أخطأ ابن البطريق (من أشهر مؤرخى المسيحية ، وهو مسيحى من رجال القرن الثالث الهجرى ، كان من مترجمى الكتب فى بلاط الخليفة المأمون ، وقد ترجم له من اليونانية كتاب « المجسطى » فى الفلك لبطليموس الفلكى وكتاب «الأصول» فى الهندسة لاقليدس) وكثير من مؤرخى العرب اذ قرروا أن متى قد كتب انجيله هذا باللغة العبرية (٨). ولكن هذا الأصل الآرامى لم يصل الينا ، وانما وصلت الينا ترجمته الى اللغة اليونانية التى تمت عقب تأليفه مباشرة أى حوالى سنة ٦٠ بعد الميلاد • ولا يظهر فى هذه الترجمة الا آثار ضئيلة للهجة الآرامية التى كتب بها الأصل ، وتتمثل هذه الآثار فى نحو ست عشرة كلمة آرامية مدونة بحروف يونانية • ولايعرف عن طريق يقينى مترجم هذا الانجيل الى اللغة اليونانية • ويقال أن متى نفسه هو الذى قام بترجمته ؛ ويروى ابن البطريق وكثير من مؤرخى العرب أن مترجمه هو يوحنا مؤلف الانجيل الرابع الذى سـيأتى ذكره (٩) • ولا يعرف لهـذا الرأى سند يعتد به • وقد أخطأ بعض مؤرخى العرب اذ قرر أن هذا السفر قد ترجم أول ما ترجم الى اللغة اللاتينية (١٠) ، لأن الثابت أن أول ترجمة له هى الترجمة اليونانية كما تقدم ، وهى التى وصلت الينا بدون أصله • وهذا هو ما يقرره ابن البطريق نفسه اذ يقول : « وفى عصر قلوديوس (يقصد

---

(٨) انظر فى ذلك مثلا ابن خلدون اذ يقول : « كتب متى انجيله فى بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدى منها الى اللسان اللطينى » صفحتى ٥٩٠ ، ٥٩١ من مقدمة ابن خلدون ، الجزء الثانى ، طبعة لجنة البيان العربى ، تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى ، وانظر تعليقنا رقم ٧٣٨ على هذه العبارة •

(٩) انظر فى ذلك مثلا ابن خلدون ص ٥٩١ ، ٥٩٢ من الطبعة السابقة وتعليقنا رقم ٧٤١ على عبارته •

(١٠) المرجع السابق نفسه المدون فى التعليق رقم ٨ فى هذه الصفحة •

كلود الأول Colub 1er امبراطور الرومـان ، ولد سنة ١٠ ق٠م ، ونصب أمبراطورا سنة ٤١ ميلادية ومات وهو فى منصبه سـنة ٥٤) كتب متاوس (يقصد متيوس أىمتى) انجيله بالعبرانية فى بيت المقدس ، وفسره (أىترجمه) من العبرانية الى اليونانية يوحنا صاحب الانجيل » ٠

٢ — انجيل مرقص ٠ مؤلفه هو القديس مرقص أحد التلاميذ السبعين ، وقد ترجمنا له فى الفقرة الثانية من هذا الفصل ٠ وقد ألفه على أرجح الأقوال حوالى سنة ٦٣ أو ٦٥ وألفه باللغة اليونانية لا باللغة اللاتينية كما يذكر بعض مؤرخى العرب ، وكان تأليفه اياه تحت اشراف أستاذه بطرس رئيس الحواريين وبارشاده ، وقد رجع اليه فى بعض حقائقـه واستمد منـه بعض الذكريات وبعض حوادث التاريخ ٠

وقد روى ابن البطريق وبعض مؤرخى العرب أن هذا الانجيل قد كتبه بطرس نفسه ونسبه الى تلميذه مرقص ٠ ونص عبارة ابن البطريق: «وفى عهد نارون قيصر (يقصد نيرون Néron أمبراطور روما من سنة ٥٤ الى سنة ٦٨) كتب بطرس رئيس الحواريين انجيـل مرقص فى مدينة رومية ونسـبه الى مرقص » ٠ ولا يعرف لهذه الرواية سنة يعتد به (١١) ٠

٣ — انجيل لوقا : مؤلفه القديس لوقا ، وهو أحد التابعين ، وقد ترجمنا له فى الفقرة الثانية من هذا الفصل ٠ وقد ألفه على أرجح الأقوال فى العصر نفسه الذى ألف فيه مرقص انجيله ، أى حوالى سنة ٦٣ أو ٦٥ ، وألفه باللغة اليونانية لا باللغة اللاتينية كما يذكر بعض مؤرخى العرب (١٢) ، وافتتحـه بعبارة تدل على أنه قد كتبه لعظيم يسمى ثيوفيلوس Théophile فهو يقول فى فاتحته : « لقد كتب كثيرون فى تاريخ الأحداث التى جرت لدينا (يقصد بين المسيحيين الأولين) حسب ما نقل من هؤلاء الذين كانوا شهودا لهذه الحوادث٠ ولما كنت قد قمت ببحث هذه الأحداث بحثا دقيقا وتتبعتها من نشأتها الأولى، لذلك رأيت من الخير أن أدونها لسعادتك أيها العظيم ثيوفيل فى صورةمسلسلة حتى تقف على الرأى اليقينى فى التعاليم التى تلقيتها » (١٣) ٠ ولم يحاول لوقا أن يعرف بهذا العظيم ٠ ولذلك اختلف فيه : فقيل انه كان مصريا ؛ وقيل

---

(١١) انظر كذلك ابن خلدون ص ٥٩١ ، ٥٩٢ من الطبعـة السـابقة : « وكتب بطرس انجيله باللطينى ونسبه الى مرقاص تلميذه » ، انظر تعليقنا على هذه العبارة رقم ٧٤١ ٠

(١٢) انظر مثلا مقدمة ابن خلدون ص ٥٩١ من الطبعة السابقة وتعليقنا رقم ٧٣٩ على عبارته ٠

(١٣) انجيل لوقا فقرات ١ — ٢ من الاصحاح الأول ٠

أنه أحد عظماء اليونان أو أحد علمائهم ، والى هذا يذهب ابن البطريق وكثير من مؤرخي العرب • ونص عبارة ابن البطريق : « وكتب لوقا انجيله الى رجل شريف من علماء الروم يقال له تاوفيلا » • ويقول ابن خلدون في مقدمته : « وكتب لوقا منهم انجيله باللاتيني الى بعض أكابر الروم » (١٤) • (وكلمة الروم يطلقها العرب على اليونان ، وقد وردت بهذا المعنى في قوله تعالى «غلبت الروم في أدنى الأرض ») •

٤ — انجيل يوحنا : ألفه الرسول يوحنا ، وهو أحد الحواريين الاثنى عشر وقد ترجمنا له في الفقرة الأولى من هذا الفصل ، وألفه باللغة اليونانية ، وكان تأليفه اياه حوالى سنة ٩٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال ، فهو لذلك أحدث الأناجيل جميعا اذ تفصله عنها مرحلة زمنية كبيرة تبلغ زهاء ثلاثين عاما •

ومع أن جميع النحل المسيحية في العصر الحاضر مجمعة على اعتماد هذا الانجيل واعتباره مقدسا موحى به واعتماد صحة نسبته الى يوحنا بن زبدى أحد الحواريين الاثنى عشر ، فان بعض القدامى من الباحثين في المسيحية كانوا ينكرون هذا الانجيل وينكرون كذلك جميع ما أسند الى يوحنا من بقية أسفار العهد الجديد التي سيأتي ذكرها ، ويرون أن ذلك كله من تأليف أشخاص آخرين • بل لقد كانت بعض الفرق المسيحية القديمة نفسها في أواخر القرن الثانى الميلادى تذهب هذا المذهب في جميع ما ينسب الى يوحنا من أسفار • ويرتاب كذلك كثير من الباحثين المحدثين في صحة نسبة هذا الانجيل الى يوحنا ، بل ان عددا كبيرا من ثقاتهم ليقطع بعدم صحة نسبته اليه • ومن هؤلاء جماعة العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل المسيحية في دائرة المعارف البريطانية ، فقد ذكروا في ترجمتهم للأناجيل أنه « لا مرية في أن مؤلف انجيل يوحنا شخص آخر غير يوحنا بن زبدى الحوارى المشهور • وقد ادعى مؤلفه في متنه أنه هو يوحنا الحبيب الى المسيح (انظر منشأ هذا اللقب في ترجمتنا ليوحنا في الفقرة الأولى من هذا الفصل) • فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصا ، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا • وان الذين يحاولون أن يربطوا ولو برابطة واهية بين ذلك الفيلسوف الذى ألف هذا الكتاب في القرن الثانى من الميلاد وبين الحوارى يوحنا الصياد الجليل لن يجدوا لمحاولتهم هذه أى سند وستذهب جهودهم أدراج الرياح » • ومن هؤلاء كذلك مؤلفو

---

(١٤) انظر مثلا ابن خلدون صفحة ٥٩١ من طبعة لجنة البيان العربى وتعليق ٧٣٩ •

دائرة المعـــارف الفرنســية المشـــهورة باسم « لاروس القـرن العشرين » Larousse du XXe siècle فقد ذكروا أنه « ينسب ليوحنا هذا الانجيل وأربعة أسفار أخرى من العهد الجديد (هى ثلاث رسائل من الرسائل الكاثوليكيـة ورؤيا يوحنا • ـ وسنتكلم على هذه الأسفار عند كلامنا على بقية أسفار العهد الجديد فى الفقرة الثامنة من هذا الفصل) • ولكن البحوث الحديثة فى مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة » •

- ٥ -

نظرة فى محتويات الأناجيل

ترجع أهم الأمور التى تشتمل عليها هذه الأناجيل الى خمسة موضوعات، وهى القصص والعقيدة والشريعة والأخلاق والزواج •

١ ـ أما القصص فيشغل أكبر حيز من كل انجيل من هذه الأناجيل ، ويعرض لقصة مريم وحملها بالمسيح وولادته ودعـوته الى دينـه واجتبـائه للحواريين والتلاميذ وصلبه وقيامته بعد صلبه ورفعه الى السماء • فتذكـر هذه الأناجيل أن مريم كانت مخطوبة أو زوجة ليوسف النجار (١٥) ، وأنها حملت بالمسيح من قبل أن يقربها يوسف ، فخالجه الشك فى أمرها ، وأراد أن يفارقها • فبعث الله اليه ملكا أمره أن يمسك عليه زوجه ، وأنبأه بأنها حملت من روح القدس وأنها ستلد غلاما زكيا ، وأن هذا الغلام سيخلص شعبه من خطاياه ، وطلب اليه من أجـل ذلك أن يسميه المسـيح أى المخلص وماسـح الخطايا (١٦) • وقد ظهر فى أثناء حمله وولادته وطفولته ارهاصات ومعجزات كثيرة تنبىء بعظمته وقدسيته وتبشر بظهور دينه • ومن هذه الارهاصات ظهور يوحنا المعمدان ابن زكريا (وهو المعروف فى الاسلام باسم يحيى بن زكريا عليهما السلام) وتبشيره بظهور المسيح وعمله على تهيئة أذهان اليهود لرسالته، وحثهم على التوبة مما كانوا يقترفونه من معاص والاقلاع عما كانوا قد انحدروا اليه من زيغ فى العقيدة وغسل أجسامهم فى مياه نهر الأردن (وهو ما يعبر عنه المسيحيون بالتعميد) للرمز الى تخليصهم مما كان قد علق بنفوسهم من أدران • ولما بلغ المسيح أشده ذهب الى يوحنا ليعمده فى مياه الأردن كمـا يعمد غيره ، فأحجم يوحنا عن ذلك فى أول الأمر ، وذكر أنه لا ينبغى له أن

---

(١٥) توصف مريم فى بعض فقرات انجيل متى بأنها كانت مخطوبة ليوسف النجار ، وفى فقرات أخرى من الانجيل نفسه بأنها كانت زوجة له (أنظر فقرات ١٦ ـ ٢١) من الاصحاح الأول من انجيل متى) •

(١٦) انظر فقرات ١٩ ـ ٢١ من الاصحاح الأول من انجيل متى •

يعمد من هو أعظم منه قدرا وأكبر منزلة ، بل ان مثله في حاجة الآن يعمده المسيح ، ولكنه عاد فاذعن للأمر تحت الحاح المسيح ورغبته ٠

وحينما بلغ المسيح الثلاثين من عمره أخذ ينشر دعـوته وظهرت معجزات كثيرة على يديه ٠ وقد لاقى في سبيل دعوته كثيرا من ضروب العنت والأذى من اليهود والرومان ٠ واجتبى لنشر رسالته في مختلف أرجاء العالم عددا من السابقين الأولين الى المسيحية وهم الحواريون والتلاميذ الذين ترجمنا لهم فيما سبق ٠ ثم تآمر عليه الفريسيون من اليهود والحكام من الرومان وساعدهم في مؤامرتهم هذه يهوذا الاسخريوطي الذي كان أحد الحواريين ثم خان عهده كما سبقت الاشارة الى ذلك ، وانتهت هذه المؤامرة بالحكم على المسيح بالاعـدام صلبا ، وكانت سنه حينئذ خمسا وثلاثين سنة ٠ فصلب ثم دفن ، وأقيم على قبره حراس أشداء يقظون حتى لا يخطف أنصاره جثته ويدعو أنه نشر من قبره مصداقا لما كان قد أخبر به قبل صلبه ٠ ولكنه قام من قبره بعد ثلاثة أيام من دفنه (وهذا ما يعبر عنه المسيحيون بالقيامة ، ويحتفلون به في عيد يسمى « عيد القيامة ») ٠ وظل بعد ذلك مع حوارييه وتلاميذه وأنصاره أربعين يوما يعلمهم ويرشدهم ، ثم رفع الى السماء وجلس على يمين أبيه ٠

٢ — وأما العقائد التي تشتمل عليها هذه الأناجيل فتدور كلها حول المسيح وتقرر ألوهيته وبنوته للأب ، وأن الاله عبارة عن ثلاثة أقانيم (جمع أقنوم بضم الهمزة أي الأصل وهو تعريب لكلمة Hypostages من اليونانية Hypo, stasis بمعنى الأصل المركب) وهي الآب والابن وروح القدس ، وأن المسيح قد صلب ليكفر بذلك الخطيئة الأزلية péché originel وهي الخطيئة التي ارتكبها آدم اذ عصى ربه وأكل من الشجرة والتي انتقلت بطريق الوراثة الى جميع نسله ، وكانت ستظل عالقة بهم الى يوم يبعثون لولا أن افتداهم المسيح بدمه ، وأن المسيح قد قام من قبره بعد صلبه بثلاثة أيام ، وظل مع حوارييه وأنصـاره أربعين يوما ثم رفع الى السماء حيث جلس على يمين أبيـه ، يصرف شـئون العالم ٠ وسيتولى هو يوم القيامة حساب الناس على ما فعلوه في الحياة الدنيا، فيجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته (١٧) ٠ وأكثر الأناجيل صراحة في تقرير ألوهية المسيح وملحقاتها هو انجيل يوحنا ٠

---

(١٧) تمثل هذه النقطة الأخيرة ناحية من أهم النواحي التي تختلف فيها العقيدة المسيحية عن عقائد اليهود المقررة في العهد القديم ٠ فأسفار العهد القديم كما سبقت الاشارة الى ذلك ، قد خلت من ذكر البعث والنشور واليوم الآخر ونعيمه وجحيمه (انظر ص ٣٤) ٠

٢ – وأما فيما يتعلق بشئون الشريعة فانه يفهم من هـذه الأناجيل أن المسيحيه قد أقرت شريعة اليهود المقررة فى العهد القديم ، ولم تستثن من ذلك الا ما ورد عن المسـيح نص بنسخه أو تعديله • وقد ورد فى الأناجيل نصوص قليلة ناسخة ومعدلة لبعض أحكام العهد القديم ومعظمها جاء على لسان المسيح فى وصيته المشهورة «بوصية الجبل»أو«خطبة الجبل» Sermon de la montagne وهى التى ألقاها وهو جالس على قمة جبل وسمعها جمهور كبير من النـاس يتقدمهم حواريوه وتلاميـذه (١٨) • ومن ذلك ما ورد فيها بشـأن الطلاق وقصاص الجروح ورجم الزانية • فقد ذكر المسـيح فى هذه الوصية أن موسى لقساوة قلوب الناس قد أباح الطلاق ولكنه هو (أى المسيح) يقرر أن « من يفارق امرأته الابسبب الزنا يجعلها تزنى، وأن من يتزوج مطلقة يزنى »(١٩)، وأن « من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها ، وان فارقت المرأة زوجها وتزوجت بآخر ارتكبت بذلك جريمة الزنا (٢٠)» ، وأن «الزوجين بعد زواجهما يصبحان جسما واحدا فلا يعودان بعد ذلك اثنين ، فالذى جمعه الله هذا الجمع لا يصح أن يفرقه الانسان » (٢١) • – وذكر فى الوصية نفسها بصدد قصاص الجروح أنه « قد تقرر فيما سبق (يقصد فى التوراة) أن العين بالعين والسن بالسن • أمـا أنا فأقول انه لا ينبغى أن تقاوموا من يتصدى لكم بالأذى ، وأنه اذا صفعك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ، واذا نازعك أحد فى ازارك وادعى ظلما أنه له فأعطه ازارك ورداءك » (٢٢) • – وروى يوحنا فى انجيله بصدد رجم الزانية أن جماعة من فقهاء اليهود المنتمين الى فرقة الفريسيين قد جاءوا يوما الى المسـيح بامرأة قد قبض عليها وهى متلبسة بجريمة الزنا ، وذكروا له أن موسى قد قرر فى شريعته حد الرجم على الزانية ، وطلبوا اليه أن يبين لهم رأيه فى هذا الموضوع ، قاصدين بذلك امتحانه واسـتدراجه لعله يحكم بغير ما أنزل الله فيعطيهم بذلك سلاحا لمحاربته والقضاء عليه وعلى دعوته • فأطرق قليلا وأخذ يخط بيده على الأرض • وظلوا هم يكررون سؤالهم• فرفع بصره وقال لهم : ليبدأ برجمها من لم يرتكب منكم خطيئة • ثم أطرق برأسه وأخذ يخط بيده على الأرض • فأخذ بعضهم ينظر الى بعض ثم تسللوا واحدا بعد الآخر حتى انصرفوا جميعا ، لأنه لم يكن واحد منهم مبرءا من الخطيئة •

---

(١٨) انظر فى هذه الوصية الاصحاحات الخامس والسادس والسابع من انجيل متى •

(١٩) فقرة ٣٢ اصحاح ٥ من انجيل متى •

(٢٠) مرقس ، اصحاح ١٠ ، فقرتى ١١ ، ١٢ •

(٢١) مرقس ، اصحاح ١٠ ، فقرتى ٨ ، ٩ •

(٢٢) متى ، اصحاح ٥ ، فقرات ٣٨ – ٤٠ •

فرفع المســـيح بصره فلم يجد أمامه الا المـرأة • فقال لهـا أين هؤلاء الذين يتهمونك ؛ ألم يبدأ أحدهم برجمك ؟ فقالت لا يا سيدى • فقال لها وأنا أيضا لا أعاقبك ؛ اذهبى لسبيلك ولا ترجعى لمـا اقترفته (٢٣) • — ومعنى ذلك أن المسـيح قد ألغى حد الزنا مكتفيا بأخذ العهـد على مقترفه ألا يعود اليه مرة أخرى •

٤ — وأمـا فيما يتعلق بأخلاق الاناجيل فانها ممعنـة كل الامعـان فى مثاليتها وحريصة كل الحرص على أن تقوم العلاقات بين الناس على أسس التسامح والعفو ودفع السيئة بالحسنة ، حتى انها لتكاد تجعل ذلك واجبا من الواجبات • وتبدو هذه القواعد أوضح مـا يكون فى كثير من الفقرات الواردة فى خطبة الجبل السابق ذكرها • فمن ذلك قول المسـيح فى هذه الوصية : « لقد كان يقال لكم (يشير الى بعض التعاليم الواردة فى أسفار اليهود) أحبوا أبناء شعبكم وأبغضـوا أعداءكم • وأمـا أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم وباركوا الذين يلعنونكم ، وقدموا الخير لمن يكرهونكم ، وادعوا بخير لهؤلاء الذين يضطهدونكم ويعذبونكم ، حتى تستحقوا أن تكونوا أبناء لأبيكم الذى فى السماوات (٢٤) » • ومن ذلك قوله فى الوصية نفسها : « سمعتم أنه قيل للقدماء : عين بعين وسن بسن • أما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر ، ولا تقاوموا من يتصدى لكم بالأذى • بل اذا صفعك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الآخر ؛ واذا خاصمك أحد ظلما فى ازارك فاترك له رداءك أيضا (٢٥) » •

وغنى عن البيان أن تطبيق هذه المبادىء تطبيقا حرفيا يؤدى فى النهاية الى الغاء العقوبات •

٥ — وأما فيما يتعلق بالزواج وتكوين الأسرة فقـد سـاد فى المسيحية الاعتقاد بأن العزوبة أمثل من الزواج وأن الحصور (٢٦) أدنى الى الله ممن يقرب النساء ، وأن هذه المبادىء مستمدة من روح الأناجيل نفسها . وفى هذا يقول بولس الرسول فى رسالته الى أهل قورنثة « ان من يزوج ابنته يأت عملا طيبا

---

(٢٣) انجيل يوحنا فقرات ١ — ١١ من الاصحاح الثامن •
(٢٤) متى ، اصحاح ٥ فقرات ٤٣ — ٤٥ •
(٢٥) متى ، اصحاح ٥ فقرات ٣٨ — ٤٠ •
(٢٦) عضل المرأة عدم تزويجها • ومنها قوله تعالى : «يايها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن » (آية ١٩ من سورة النساء) •

ولكن من يعضلها (٢٧) يأت ما هو أفضل (٢٨) ٠٠٠ وانه من الخير للرجل أن يظل أعزب الا ان خاف الوقوع فى الخطيئة(٢٩)٠٠٠ وانى لأنصح الأيامى(٣٠) من الرجال والنساء أن يقتدوا بى فيظلوا على ما هم عليه ، فان لم يقو أحدهم على العفة فلا مندوحة له حينئذ عن الزواج ، فلأن يتزوج خير من أن يكون وقودا لنار جهنم » (٣١) ٠

ويعلق ترتوليان Tertullien (٣٢) على هذه الفقرة الأخيرة من رسالة بولس الرسول فيقول : « ان الأفضل من حالتين لا يلزم أن يكون خيرا فى ذاته ٠ فلأن يفقد الانسان عينا واحدة أفضل من أن يفقد كلتا عينيه ٠ ولكن فقد عين واحدة ليس من الخير فى شىء . فكذلك الزواج : فهو لمن لم يقو على العفة أفضل من أن يحرق بنار جهنم ٠ ولكن الخير أن يتقى الانسان الأمرين معا : فلا يتزوج ولا يعرض نفسه لعذاب النار . وان قصارى ما يحققه الزواج أنه يعصم الفرد من الخطيئة ، على حين أن التبتل يروض المرء على أعمال القديسين ، ويذلل له السبيل الى منزلة الاشراق، ويتيح له أن يأتى بالمعجزات٠ فجسم المسيح نفسه قد جاء من بتول عذراء ٠ والقديس يوحنا المعمدان Jean Bâptiste (يحيى بن زكريا) والرسول بولس وجميع اخوانه الحواريين الذين سجلت أسماؤهم فى سفر الخلود آثروا التبتل وحثوا الناس عليه ٠ وقد استطاعت مريم البتول أخت موسى (٣٣) أن تعبر البحر هى وجميع من كن يسرن خلفها من النساء فانشق لهن فيه طريق يبس وانتهين الى الساحل الآخر سالمات ٠ والقديسة البتول تكلا Thècle قد ألقى بها الكفار الى الأسد الجائعة

---

(٢٧) « الحصور من لا يأتى النساء وهو قادر على ذلك أو من لا يشتهيهن ولا يقربهن » ا هـ من القاموس المحيط ٠ وبالمعنى الأول وحده يستخدم هذا الوصف فى هذه الفقرة ٠

(٢٨) فقرة ٣٨ ، اصحاح ٧ من الرسالة الأولى لبولس الى أهل قورنثة ٠

(٢٩) فقرتى ٢،١ من اصحاح ٧ من الرسالة الأولى لبولس الى أهل قورنثة ٠

(٣٠) الأيم بتشديد الياء العزب رجلا كان أو امرأة والجمع فيهما أيامى ، اهـ المصباح المنير ٠

(٣١) فقرتى ٩،٨ من اصحاح ٧ من الرسالة الأولى لبولس الى أهل قورنثة ٠

(٣٢) من كبار فقهاء الكنيسة المسيحية (١٦٠ – ٢٤٠ م) ٠

(٣٣) هى التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ٠٠٠ » (ايتى ١١ ، ١٢ من سورة القصص) ٠

فوجمت الأسد أمامها ورقدت تحت قدميها بدون أن تمسها بسوء (٣٤) . وقد فتح السيد المسيح للخصيان أبواب السماء ، لأن حالتهم قد باعدت بينهم وبين قربان النساء ... ولو أن آدم لم يعص ربه لعاش طهورا حصورا ولتكاثر النوع الانسانى بطرق أخرى غير هذه الطرق البهيمية ولعمرت الجنة بفصيلة من الطاهرين الخالدين » (٣٥) .

وينظر كثير من فقهاء الكنيسة المسيحية الى هذه الحقائق على أنها من الأمور المسلمة فى الدين بالضرورة ، أى التى لا يجوز انكارها ولا الشك فيها ، وأنها مستمدة من روح الأناجيل نفسها ، ان لم يكن من نصوصها ، حتى ان مجمع مديولاننس Médiolanense المسيحى قد حكم على الراهب جوفينيان Jovenien بالطرد من الكنيسة لأنه عارض المبدأ المسيحى الذى يقرر أن التبتل خير من الزواج (٣٦) . وينظر هؤلاء الفقهاء كذلك الى الزواج على أنه مجرد ضرورة لصيانة المرء من الفاحشة . ومن ثم لا ينبغى فى نظرهم للمسيحى المتزوج أن يطلق لنفسه العنان فى اشباع شهواته ، بل ينبغى أن يفيد من ذلك بقصد واعتدال وفى الحدود التى تحقق الذرية والنسل « فيكون شأنه شأن الزارع الذى اذا بذر البذرة انتظر الحصاد بدون أن يلقى فى الأرض بذورا أخرى » (٣٧).

وقد ذهبت فرقة المارسينيين Marcionites (وهى فرقة مسيحية اعتنقت مذهب مرسيون Marcion) (٣٨) الى ما هو أبعد من ذلك ، فحرمت الزواج

---

(٣٤) تذكر القصص المسيحية أن الشهيدة تكلا Thècle كانت من السابقات الأوليات الى اعتناق المسيحية فى القرن الأول الميلادى على يد الرسول بولس ، وأن الله نجاها بمعجزة من كثير من أنواع العذاب الذى امتحنها به الوثنيون ليثنوها عن عقيدتها . ويحتفل المسيحيون بذكراها فى الثالث والعشرين من شهر سبتمبر .

(٣٥) Tertullien, De Monogamia 3, cité par Westermarck, "Idées Morales, T. II. 395, 396.

وقد وافق ترتوليان على ما تضمنته الفقرة الأخيرة الخاصة بآدم ونسله جريجوار النيسى ويوحنا الدمشقى Grégoire de Nysse et Jean de Damas وخالفه فى ذلك توماس الاكوينى St. Tomas d'Aquin الذى يرى أنه منذ بدء الخليقة قد جعل الله بقاء النوع وانتشاره متوقفين على الاتصال الجنسى . ولكن هذا الاتصال لم يكن فى بدء الخليقة منطويا على اللذة الجنسية التى امتزجت به بعد أن هبط آدم من الجنة Westermarck, op. cit., 396

(٣٦) Westermarck, op. cit., 396.

(٣٧) المرجع السابق نفسه .

(٣٨) سيأتى الكلام على مرسيون ومذهبه فى الفقرة التاسعة من هذا الفصل .

تحريما باتا على جميع أفراد نحلتها كما فعلت فرقة الحسديين (٣٩) من اليهود، وأوجبت على كل متزوج يرغب فى اعتناق مذهبها من الذكور والاناث أن يفترق عن زوجه ، وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده •

هذا ، وقد أدت نظرة المسيحية الى التبتل على أنه الحالة المثلى والى الزواج على أنه مجرد ضرورة ، أدت هذه النظرة بالتدريج الى نظام العزوبة المفروض على القسيسين والرهبان فى المذهب الكاثوليكى •

وغنى عن البيان أن هذه المبادىء المسيحية ، بحثها على العزوبة ونظرتها اليها على أنها الوضع الأمثل للرجل والمرأة ، تعمل على انقراض النوع الانسانى وتعجل بفناء الكون من عالمنا الأرضى •

*
**

هذا ، وتتفق الأناجيل الأربعة جميعا فى جوهر القصص والعقيدة والتشريع والأخلاق والزواج على النحو السابق بيانه . ويمتاز الانجيل الرابع ، وهو انجيل يوحنا ، عن الأناجيل الثلاثة ، السابقة له فى تاريخ تأليفها بنحو ربع قرن ، بمزيد من التفصيل فى العقائد والشرائع ، وبالتصدى للرد على البدع التى استحدثت فى المجتمعات المسيحية فى عصره ، وبمزيد من الصراحة فى اثبات ألوهية المسيح وبنوته للآب •

*
**

ومع اتفاقها فى الجوهر فانها تختلف فيما بينها فى كثير من التفاصيل • ويبدو خلافها هذا حتى فى القصص نفسه •

فمن ذلك خلافها فى نسب المسيح من جهة يوسف النجار زوج أمه مريم• فانجيل متى يذكر فى نسبه هذا آباء غير الآباء الذين يذكرهم انجيل لوقا ، وبينما يعد لوقا فى سلسلة نسبه الى ابراهيم الخليل ستة وخمسين أبا يهبط بهم متى الى اثنين وأربعين فحسب ، وبينما يعد لوقا فى سلسلة نسبه الى داود واحدا وأربعين أبا يهبط بهم متى الى سبع وعشرين ، وبينما يستفاد من متى أن جميع أباء المسيح من داود الى جلاء بابل (٤٠) ملوك مشهورون يظهر

---

(٣٩) انظر آخر ص ٦٠ •

(٤٠) انظر الفقرة الأولى من الفصل الأول من هذا الكتاب •

مما ذكر لوقا أن ليس منهم من يعد من الملوك المشهورين غير داود وناثان(٤١) ٠

ومن الغريب أن صاحبى هذين الانجيلين يعتبران هذه السلسلة نسب المسيح من جهة آبائه ٠ مع أنها سلسلة ليوسف النجار ، والمسيح ليس ابنا ليوسف النجار ٠ ولو أنهما ذكرا نسبه من جهة أمه لكان لقولهما مخرج ومبرر ٠

ومن ذلك اختلافها فى حادث القبض على المسيح ٠ فقد قص انجيل متى خبر القبض عليه فى هذه العبارة : « وبينما كان المسيح يحدث أنصاره ، قدم يهوذا وهو واحد من حوارييه الاثنى عشر ، ومعه جمع كبير بسيوفهم وعصيهم وقد جاءوا من عند كبار الكهنة ورؤساء الشعب ٠ وكان يهوذا قد أعطاهم علامة ترشدهم الى المسيح ، وذلك بأن يتقدم اليه فيقبله ٠ ولما تقدم اليه سلم عليه وقبله ٠ فحينئذ عرفوا المسيح فتقدموا اليه وقبضوا عليه » (٤٢) ٠ ولكن انجيل يوحنا يقص قصة القبض عليه على وجه آخر اذ يقول : « فأخذ يهوذا الجند وخداما من كبار الكهنة والفريسيين وجاءوا الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج يسوع ، وهو عالم بكل ما سيحدث ، وقال لهم من تطلبون ؟ فأجابوه نطلب يسوع الناصرى ، فقال لهم أنا يسوع الناصرى ٠ وكان يهوذا الذى أسلمه واقفا معهم ٠ فلما قال لهم أنا يسوع الناصرى رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض ٠ فأعاد عليهم السؤال قائلا من تطلبون ٠ فقالوا نطلب يسوع الناصرى ، فأجاب يسوع قد قلت لكم انى أنا هو ... » (٤٣) ٠

---

(٤١) وازن بين فقرات ١ – ١٧ من الاصحاح الأول من انجيل متى ، وفقرات ٢٣ ، ٣٨ من الاصحاح الثالث من انجيل لوقا ٠

(٤٢) فقرات ٤٧ – ٥٠ من اصحاح ٢٦ من انجيل متى ٠

(٤٣) انجيل يوحنا ، اصحاح ١٨ ، فقرات ١ – ٩ ٠ – هذا وقد وقف العلامة ابن حزم قسما كبيرا من الجزء الثانى من كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » على بيان وجوه الخلاف بين هذه الأناجيل وما تشتمل عليه من «أكاذيب ومتناقضات ودلائل دامغة على التحريف» (انظر صفحات ١ – ٧٠ من الجزء الثانى طبعة صبيح سنة ١٣٤٧ هـ) ٠ ووقف كذلك العلامة رحمه الله الهندى فى كتابه « اظهار الحق » نحو ستين صفحة لضرب أمثلة كثيرة لهذه الاختلافات والمتناقضات (صفحات ٩٦ – ١٢٣ ، ١٣٩ – ١٧٢ طبعة مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء) ٠

— ٦ —

نظرة فى موقف الاسلام من هذه الأناجيل

ومن هذا يظهر مبلغ الخلاف بين هذه الأناجيل ومحتوياتها من جهة وما يذكره القرآن عن انجيل عيسى وعن عيسى نفسه ورسالته وتاريخه من جهة أخرى ٠

فالقرآن يحدثنا عن كتاب سماوى أنزله الله على عيسى ٠ وهذه أسفار كتبها اناس من البشر بأقلامهم بعد رفع المسيح بنحو ثلاثين سنة ، بل ان آخر انجيل منها وهو انجيل يوحنا قد كتبه صاحبه بعد رفع المسيح بنحو خمس وخمسين سنة ، وهى أسفار غير متفقة كل الاتفاق فى محتوياتها ، حتى فيما ترويه عن قصة المسيح نفسه ٠

والمسيح الذى يحدثنا عنه القرآن غير المسيح الذى تحدثنا عنه هذه الأناجيل ٠ فالمسيح فى القرآن انسان من البشر اصطفاه الله كما اصطفى غيره من الرسل ، وكل ما بينه وبين غيره من البشر من خلاف هو أنه قد ولد بدون أب ، وليس ذلك بعزيز على الله ، فقد خلق الله تعالى آدم من قبل بدون أب ولا أم : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » (٤٤) ٠ أما مسيح هذه الأناجيل فهو كائن غريب : هو الاه وابن الله وأقنوم من الأقانيم الثلاثة المكونة لله أو متلبس بهذا الأقنوم !

والقرآن يذكر أن المسيح قد أرسل الى بنى اسرائيل ، كما أرسل اليهم من قبله رسل آخرون لينقذهم مما انحدروا اليه من كفر وضلال ويأتيهم بشريعة جديدة تلائم عصرهم ويهديهم صراطا مستقيما ، وأنه لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم ، وأن آدم قد أناب الى الله واستغفر من خطيئته التى ارتكبها اذ أكل من الشجرة فغفرها الله له ، وأن الخطيئة لا يحمل وزرها غير مقترفها ، فلا تزر وازرة وزر أخرى ٠ وفى هذا يقول القرآن الكريم : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (٤٥) ويقول : « ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل » (٤٦) ، ويقول : « اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى

---

(٤٤) آية ٥٩ من سورة آل عمران ٠

(٤٥) آية ٨٧ من سورة البقرة ٠

(٤٦) آية ٧٥ من سورة المائدة ٠

ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ··· ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ··· ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ··· » (٤٧) ، ويقول : « ··· وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما » (٤٨) · ويقول فى صدد آدم : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » (٤٩) ، ويقول : « وعصى آدم ربه فغوى · ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » (٥٠) ، ويقول مقررا أن الوزر لا يحتمل اثمه وتبعته الا من اقترفه : « ··· ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للانسان الا ما سعى » (٥١) · ـ بينما تذكر هذه الأناجيل أن من أهم الأغراض التى ظهر من أجلها المسيح ابن الله أن يكفر بدمه الخطيئة التى أرتكبها آدم والتى انتقلت بطريق الوراثة الى جميع نسله، وأنه قد صلب بالفعل ، فحقق بذلك أهم غرض ظهر من أجله ·

والقرآن يذكر أن الديانة التى جاء بها المسيح ديانة توحيد تدعو الى عبادة الله وحده ، وفى ذلك يقول الله تعالى على لسان المسيح مجيبا على سؤال من ربه : « ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد » (٥٢) ، بينما نرى أن الديانة التى تقررها هذه الأناجيل هى ديانة شرك تقوم على الاعتقاد بالتثليث ، أى أن الله ثالث ثلاثة : الآب والابن وروح القدس ، وعلى الاعتقاد بألوهية المسيح وبنوته لله وأنه أحد الأقانيم الثلاثة · ـ وقد نعى القرآن الكريم فى أكثر من آية على المسيحيين تحريفهم لكتاب الله فى أسفارهم المزعومة وتغييرهم لطبيعة المسيح ، وزعمهم أنه ابن الله ، واستبدالهم بعقيدة التوحيد التى أمروا بها عقيدة الشرك والتثليث · ومن ذلك قوله تعالى: « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون · اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم » (أى واتخذوا المسيح بن مريم كذلك الاها من دون الله) « وما أمروا الا ليعبدوا الاها واحدا،

---

(٤٧) آيات ٤٥ ـ ٥٠ من سورة آل عمران ·
(٤٨) آيتى ١٥٧ ، ١٥٨ من سورة النساء ·
(٤٩) آية ٣٧ من سورة البقرة ·
(٥٠) آيتى ١٢١ ، ١٢٢ من سورة طه ·
(٥١) آيتى ٣٨ ، ٣٩ من سورة النجم ·
(٥٢) آية ١١٧ من سورة المائدة ·

لا اله الا هو سبحانه عما يشركون » (٥٣) ، وقوله : « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، وقال المسيح يا بنى اسرائيل أعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وماللظالمين من أنصار • لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من الاه الا الاه واحد، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذا أليم ••• ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ••• » (٥٤) ، وقوله : « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم، وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، انما الله الاه واحد ، سبحانه أنى يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا » (٥٥) ، وقوله : « وقالوا اتخذ الله ولدا ، سبحانه ، بل له ما فى السموات والأرض ، كل له قانتون » (٥٦) ، وقوله : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا ادا ، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ، ان كل من فى السماوات والأرض الا آتى الرحمن عبدا » (٥٧) ، وقوله : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مماكتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون»(٥٨).

والقرآن يذكر أن الشريعة التى جاء بها عيسى شريعة سماوية سمحة تحقق صلاح الناس فى الدنيا والآخرة، وتعدل من الشرائع السابقة ما تقتضى الشئون الاجتماعية تعديله ، وترفع عن الناس اصرهم ، وتزيل جميع مظاهر العنت والحرج ، وتقيم وزنا لضرورات الحياة ، وتكفل للمجتمع الانسانى الاستقرار ، وتحيط نظم العمران وحدوده ووسائل أمنه بسياج من الحماية ، على حين أن الشريعة التى تذكرها هذه الأناجيل يبدو فى كثير من أحكامها مظاهر العنت والحرج والتضييق على الناس وعدم اقامة وزن لضرورات الحياة ولا لشئون الاجتماع ، كأحكامها الخاصة بتحريم الطلاق وتحريم الزواج على الزوجين اذا

(٥٣) آيتى ٣٠ ، ٣١ من سورة التوبة •
(٥٤) آيات ٧١ — ٧٥ من سورة المائدة •
(٥٥) آية ٧١ من سورة النساء •
(٥٦) آية ١١٦ من سورة البقرة •
(٥٧) آيات ٨٨ — ٩٣ من سورة مريم •
(٥٨) آية ٧٩ من سورة البقرة •

فرق بينهما عقب ارتكاب أحدهما لجريمة الزنا (٥٩) . بل ان بعض أحكامها ليترتب على العمل به اشاعة الفوضى واضطراب الأمن فى المجتمع وانتشار الفسق والفجور ، كاتجاهها الى الغاء حد الزنا والغاء العقوبات . بل ان بعض أحكامها ليؤدى الى انقراض النوع الانسانى ويعجل بفناء الكون من عالمنا الأرضى كنظرتها الى العزوبة على أنها الوضع الأمثل للرجل والمرأة على النحو الذى سبق بيانه ، وشريعة كهذه لا يمكن أن تصدر عن عاقل ، بله صدورها عن الله الحكيم العليم .

والقرآن يحث على التسامح والعفو عن الأذى ويجعل ذلك مثلا أعلى ، ويعظم من أجر فاعله ، ولكن لا يوجبه على الناس ، لأن هذه المنزلة لا تتاح الا لصفوة من الخلق وهم الذين وصلت نفوسهم الى درجة كبيرة من الصفاء ، وروضوها على الخير والايثار . ولذلك يقرر مسئولية البادىء ، ويقيم جزاءه على أساس القصاص والمقابلة بالمثل ، حتى لا يرهق الناس عسرا من أمرهم ، وحتى يحيط أرواحهم وأموالهم بسياج من القدسية والحماية ، وحتى لايستهين الفرد بانتهاك حقوق الآخرين وتعدى حدود الله . وفى هذا يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » (٦٠) ، ويقول : « وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، انه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور » (٦١) ويقول : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » (٦٢) . ويقول : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » (٦٣) ، ويقول : « وان طلقتم النساء من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف

---

(٥٩) انظر تعليقى على هذه الأحكام والموازنة بينها وبين أحكام الشريعة الاسلامية فى كتابى عن « حقوق الانسان فى الاسلام » وفى كتابى عن « بيت الطاعة والطلاق وتعدد الزوجات فى الاسلام » .

(٦٠) آية ١٢٦ من سورة النحل .

(٦١) آيات ٤٠ — ٤٣ من سورة الشورى .

(٦٢) آيتى ٣٤ ، ٣٥ من سورة فصلت .

(٦٣) آيات ٢٧٧ — ٢٧٩ من سورة البقرة .

ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح ، وان تعفو أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم » (٦٤) • ويقول : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله ، الا أن يصدقوا » (٦٥) •

على حين أن هذه الأناجيل تحاول أن توجب على جميع الناس التسامح ، وتكاد تفرض على الفرد العفو عما يلحقه من غيره من ضرر وأذى : « فاذا صفعه أحد على خده الأيمن وجب عليه أن يدير له الخد الآخر ليصفعه عليه كذلك ، واذا نازعه أحد فى ازاره وادعى ظلما أنه له وجب عليه أن يتنازل له عن ازاره وردائه معا » • — وهذا ، ولا شك ، مثل أعلى للأخلاق الكريمة قد يفعله صفوة من خيار الناس ممن سماهم القرآن « ذوى الحظ العظيم » ، ولكن لايعقل أن شريعة سماوية تجعله واجبا على جميع الناس كما تفعل هذه الأناجيل •

والقرآن يذكر أن الحواريين كانوا من أنصار الله ومن الداعين الى عقيدة التوحيد : « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله » (٦٦) ، على حين أن هذه الأناجيل ينسب تدوينها لبعض حواريى المسيح وتلاميذه وتابعيهم مع اشتمالها على تقرير عقيدة الشرك والتثليث وألوهية المسيح ونسبة الولد لله • فاما أن يكون الأشخاص الذين تنسب اليهم هذه الأناجيل هم غير الحواريين والأنصار الذين يحدثنا عنهم القرآن ، واما أن يكونوا هم الذين يحدثنا عنهم القرآن ويذكر أنهم أنصار الله والدعاة الى توحيده ، وتكون هذه الكتب من تأليف أناس آخرين ونسبت اليهم بهتانا وزورا • وقد رأينا فيما سبق أن أئمة الباحثين فى هذه الأمور فى الوقت الحاضر يقطعون بأن مؤلف انجيل يوحنا شخص آخر غير يوحنا الحوارى • وما حدث فى انجيل يوحنا يمكن أن يكون قد حدث مثله فى غيره من الأناجيل • بل ان جماعة العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل المسيحية فى دائرة المعارف الفرنسية المعروفة باسم « لاروس القرن العشرين » ليذهبون الى أن التحقيق العلمى والتاريخى يؤيد أن هذه الأناجيل قد كتبها أناس غير الحواريين والتلاميذ والتابعين الذين تنسب اليهم •

---

(٦٤) آية ٢٣٥ من سورة البقرة •
(٦٥) آية ٩١ من سورة النساء •
(٦٦) آخر آية من سورة الصف •

بل ان مظاهر الشك والريبة التى أحاطت بأسفار المسيحيين ومؤلفيها قد حملت بعض الباحثين من الفرنجة على الشك فى شخصية المسيح نفسه . بل لقد أنكر بعضهم وجوده انكارا تاما ، وزعم أنه شخصية أسطورية نسجت حولها هذه العقائد والعبادات والشرائع . ومن أهم ما يستدل به أصحاب هذا الرأى أن يوسف المؤرخ اليهودى الشهير (٣٧ ـ ٩٥ ميلادية) لم يشر فى تاريخه الى ظهور شخص فى عصره اسمه المسيح ، مع أنه كان معاصرا للأحداث الأولى للمسيحية . ولكن المتأخرين من النصارى دسوا فى كتابه جملة عن المسيح ثبتت فى بعض نسخ هذا الكتاب وبدت حاملة فى مظهرها دليل اقحامها كأنها الرقعة الجديدة فى الثوب الخلق . ولا أدل على ذلك من أن العلامة ابن حزم وهو من رجال القرن الخامس الهجرى (٣٨٣ ـ ٤٥٧) قد ذكر فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » أن يوسف لم يذكر فى كتابه شيئا صريحا عن المسيح . وفى ذلك يقول : « قرأت فى تاريخ لهم جمعه رجل هارونى كان قديما فيهم ومن كبارهم وأئمتهم قد أدرك المسيح واسمه يوسف بن هارون ، قد ذكر ملوكهم وحروبهم الى أن وصل الى قتل يحيى بن زكريا عليه السلام ، فذكره أجمل الذكر ، وعظم شأنه ، وأنه قتل ظلما لقولة الحق . وذكر أمر المعمودية ذكرا حسنا ولم ينكرها ولا أبطلها . ثم قال فى ذكره لذلك الملك هردوس بن هردوس : وقتل هذا الملك من حكماء بنى اسرائيل وخيارهم وعلمائهم جماعة ، ولم يذكر من شأن المسيح بن مريم أكثر من هذا » (٦٧) . وهذا يدل على أن كتاب يوسف المؤرخ اليهودى كان الى عهد ابن حزم خاليا من اشارة صريحة الى المسيح .

والحق أن مسيحهم هذا الذى يصورونه على أنه الاه لم يكن له وجود الا فى مخيلاتهم ، ولم يوجد الا المسيح الذى يحدثنا عنه القرآن ، وهو انسان من البشر أرسله الله الى بنى اسرائيل كما أرسل اليهم غيره من الرسل من قبله . واغفال يوسف المؤرخ اليهودى لذكره يرجع الى عداوة اليهود لهذا الدين الجديد ومحاولتهم طمس معالمه ، أو لعل ظهور المسيح الحقيقى كان فى عصر لاحق لعصر المؤرخ يوسف وهو العصر الذى يقرر المسيحيون أن المسيح قد ظهر قبيله .

---

(٦٧) صفحتى ٨٢ ، ٨٣ من الجزء الثانى من كتاب « الفصل ... » لابن حزم

— ٧ —
الأناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين

كان لدى المسيحيين فى القرنين الأول والثانى الميلاديين أناجيل كثيرة غير الأناجيل الأربعة السابق ذكرها، وكان لكل فرقة منفرقهم انجيلها أو أناجيلها الخاصة التي تعتمد عليها وتغفل ما عداهـا من الأناجيل أو تحـكم بزيفهـا وبطلانها • فكان ثم انجيل ينسب لمتى غير انجيله السابق ذكره فى الأناجيل الأربعة، وانجيل ينسب لبرنابا، وانجيل ينسب للحوارى يعقوب Saint Jacques وانجيـل ينسب للحوارى توماس Saint Thomas (ويقص هذان الانجيلان أمورا أغفلتهما الأناجيل الأربعة عن تاريخ مريم وطفولة المسيح) ، وانجيل ينسب للقديس نيكوديم Saint Nicodème (أحد رؤساء اليهود فى عهد المسيح • وقد لقى المسيح وجرت له معه مناقشات فى الشئون الدينية ، فآمن برسالته ، واظهر ايمانه بعد رفع المسـيح • ـ وقد كتب انجيله باليونانية ، ويقص فيه بعض تفاصيل لم تذكرها الأناجيل الأربعة عن موت المسيح ونزوله الى «المطهر» أو البرزخ أو الأعراف les limbes ، وهو عند المسيحيين مقر الأرواح الطيبة التى مات أصحابها قبل بعث المسيح ، ومقر أرواح الأطفال الذين ماتوا من قبل أن يعمدوا ، ومقر مرتكبى الخطايا من المسيحيين ؛ ويجتاز هؤلاء جميعا فى المطهر مرحلة ألم وعذاب قبل أن يدخلوا الجنة) ، وانجيل يقال له « انجيل السبعين » وينسب الى تلامس ، وانجيل يقال له انجيل الاثنى عشر l'Evangile des Douze وانجيل اشتهر باسم « التذكرة » ، وانجيل كان يسمى « انجيل العبريين أو الناصريين l'Evangile des Hébreux ou des Nazaréens وانجيـل كان يسمى « انجيـل المصريين » l'Evangile des Egyptiens ، وكان لكل من أتبـاع ديصان وأتباع مانى وأتباع مرقيون أو مرسيون Maçions (٦٨) وأتباع ابيون les Ebionites انجيل خاص يختلف عن انجيل من عداهم •

ثم رأت الكنيسة المسيحية فى أواخر القرن الثانى الميلادى أو أوائل القرن الثالث أن تستبعد الأناجيل غير المعتمدة فى نظرها وتحكم ببطلانها ، وتحافظ على ما تعتقد صدق حقائقه وصحة نسبته الى صاحبه ؛ فاختارت الأناجيل الأربعة السابق ذكرها من بين الأناجيل الكثيرة التى كانت رائجة حينئذ ؛ وقررت أنها هى وحدها الأناجيل الصادقة فى حقائقها وفى صحة نسبتها الى أصحابها ، وأن ما عداها من الأناجيل أناجيل موضوعة مزيفة غير صحيحة فى حقائقها ، ومعظمها غير صحيح فى نسبته الى من ينسب اليه ؛ وأرادت المسيحيين على

---

(٦٨) سنتكلم على مرسيون وفرقته فى الفقرة التاسعة من هذا الفصل •

قبولها ورفض ما عداها ؛ وتم لها ما أرادت ؛ فصارت هذه الأناجيل الأربعة هي المعتمدة دون سواها ؛ مع أن هذه الأناجيل كانت قبل ذلك العهد أقل ذيوعا وشهرة من بعض الأناجيل الأخرى ، بل كانت مجهولة لكثير من المسيحيين ؛ وأول من أذاع ذكر هذه الأناجيل القديس ارينيه Saint Irénée اذ قرر في سنة ٢٠٩ أن هذه الأناجيل هي مجرد صور لانجيل واحد l'Evangile tetramophe.. ثم جاء من بعده القديس كليمان الاسكندري Saint Clément d'Alexandrie. (من كبار رجال الكنيسة وفقهائها توفي سنة ٢٢٠) وقرر في سنة ٢١٦ أن من واجب المسيحي التسليم بصحة هذه الأناجيل الأربعة ٠

هذا ، وسنلقي فيما يلي نظرة على ثلاثة من الأناجيل غير المعتمدة ، وهي انجيل متى غير المعتمد وانجيل الابيونيين وانجيل برنابا ، لاختلافها اختلافا جوهريا عن الأناجيل الأربعة في بعض نواحي العقيدة وشخصية المسيح وتاريخه وتاريخ مريم ، ولاتفاقها في بعض هذه الأمور مع ما قرره القرآن ، مفصلين القول بعض التفصيل في انجيل برنابا لكثرة وجوه الخلاف بينه وبين الأناجيل الأربعة وكثرة وجوه الاتفاق بينه وبين القرآن وعقائد المسلمين ، ومجملين القول في الانجيلين الآخرين لأنهما لا يبلغان مبلغ انجيل برنابا في هذه الوجوه ٠

امـا انجيل متى غير المعتمد عند المسيحيين l'Evangile de Pseudo Mathieu فمن أهم ما يختلف فيه عن الأناجيل الأربعة ما يذهب اليه في تاريخ مريم أم المسيح ٠ وذلك أن الأناجيل الأربعة ، كما تقدمت الاشارة الى ذلك ، تذكر أن مريم كانت مخطوبة أو زوجة ليوسف النجار ، وأنها جاءت بالمســيح بدون أن يمسها يوسف ٠ وأما انجيل متى غير المعتمد عندهم فيقرر أنها لم تكن زوجة ولا مخطوبة وانما كانت من العذارى اللائى نذرن أنفسهن ونذرهن أهلهن لخدمة المعبد ، أي كانت من الراهبات اللائى كن يتوفرن على العبادة وخدمة المعابد التي يعتكفن فيها (٦٩) ٠ وهذه الطائفة كان يحرم على أفرادها الزواج والاتصال بالرجال ، كشأن الراهبات المسيحيات في الوقت الحاضر ٠ ويتفق هذا من بعض نواحيه مع ما ورد في القرآن الـكريم في هذا الصدد اذ يقول : « اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما في بطني محررا ، فتقبل مني انك أنت السميع العليم ٠ فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، وانى سميتها مريم ، وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا ، كلما

---

(٦٩) V. Westermarck : Origine et Dévelopment des Idées Morales (tra. fran.) T. II, p. 398.

دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، وقال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » (٧٠) ٠

وأمـا انجيل الأبيونيين l'Evangile des ébionites فهو انجيل مدون باللغة الآرامية كانت تتمسك به فرقة مسيحية تسمى فرقة الابيونيين نسبة الى زعيمها ابيون Ebion. ٠ وقد ظل لهذه الفرقة أشياع حتى أواخر القرن الرابع الميلادى ثم انقرضت بعد ذلك ٠ ويقر هذا الانجيل جميع شرائع موسى ، ويعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذى تحدثت عنه أسفار العهد القديم وينكر ألوهيته ، ويعتبره مجرد بشر رسول ٠ وهو فيما يتعلق بشخصية المسيح يتفق مع العقائد الاسلامية المستمدة من نصوص القرآن الـكريم ٠

وأمـا انجيل برنابا فهو منسوب للقديس برنابا الذى ترجمنا له فى الفقرة الثانية من هذا الفصل ٠ وكان معروفا لدى المسيحيين منذ أقدم عصورهم أن لبرنابا انجيلا ، وورد ذكر هذا الانجيل فيما ينسب لقدامى رجال الكنيسة من بحوث وقرارات ، ومن ذلك القرار الذى أصدره البابا جلاسيوس الأول Saint Gélase 1er (الذى تولى بابوية الكنيسة الكاثوليكية بروما من سنة ٤٩٢ الى سنة ٤٩٦) وعدد فيه الكتب المنهى عن قراءتها ، وذكر من بين هذه الكتب انجيل برنابا ٠ وهذا يدل على أن انجيل برنابا كان معروفا فى القرن الخامس الميلادى ، أى قبل بعثة رسولنا عليه السلام بنحو قرنين ٠

غير أنه يظهر أنه قد اختفت من بعد ذلك جميع نسخ هذا الانجيل ولم يعد الناس يعرفون شيئا عن محتوياته ٠ ولعل تحريم قراءته هو الذى انتهى به الى ذلك ٠ وظل الأمر على هذه الحال حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى ٠ وفى سنة ١٧٠٩ عثر كريمر أحد مستشارى ملك بروسيا على نسخة من هذا الانجيل مكتوبة باللغة الايطالية وعلى هامشها تعليقات باللغة العربية ٠ وانتقلت هذه النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار فى سنة ١٧٣٨ الى البلاط الملكى بفينا ٠

وغنى عن البيان أن هذه النسخة مترجمة عن اللغة التى كتب بها فى الأصل هذا الانجيل ٠ فاذا صح أن مؤلفه هو برنابا فان من الراجح أن يكون قد كتبه باحدى اللغات الثلاث التى كانت المؤلفات الدينية وغيرها تدون بها فى عصره وفى بيئته وهى اللغات العبرية والآرامية واليونانية ٠ ولا يمكن أن يكون قد كتب فى الأصل باللغة الايطالية ؛ لأن اللغة الايطالية لغة حديثة لم يتم

(٧٠) آيات ٣٥ ـ ٣٧ من سورة آل عمران ٠

تكونها وانشعابها عن أمها اللاتينية الا حوالى القرن السادس عشر الميلادى ٠

هذا ، ويختلف هذا الأنجيل اختلافا جوهريا على الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين فى كثير من نواحى العقيدة وشخصية المسيح وتاريخه ، ويتفق كل الاتفاق فيما يقرره فى هذه الشئون مع العقيدة الاسـلامية المستمدة من القرآن ٠ ويرجع أهم ما خالف فيه الأناجيل الأربعة المعتمدة ووافق فيه العقيدة الاسـلامية الى الأمور الثلاثة الآتية :

١ ــ أنه يقرر أن المسـيح ليس الا بشرا رسولا وأنه ليس الاها ولا ابنا لله ٠ فهو يقول فى مقدمة انجيله : « أيها الأعزاء ان الله العظيم قد اختصنا بنبيه يسوع المسيح رحمة عظيمة للعاملين ، وخصه بمعجزات اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين ، فأخذوا يبشرون بتعاليم ممعنة فى الكفر ، داعين أن المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذى أمر الله به ومجوزين كل لحم نجس (٧١). وقد ضل مع هؤلاء بولس الذى لا أتكلم عنه الا مع الأسف والأسى ٠ وهذا هو ما دعانى الأن أسطر الحق فى هذه الشئون » ٠ ويروى فى آخر الفصل الثالث والتسعين أنه قد « قدم على المسيح كبير الكهنة مع الوالى الرومانى هيرودس ملك اليهود ، فذكر له كبير الكهنة أن فريقا من الناس يقولون انه الاه وأن فريقا آخر يقولون انه ابن الله ، وطلب اليه أن يعمل على ازالة هذه الفتنة التى ثارت من أجله ٠ فقال له يسوع وأنت يا رئيس الكهنة لماذا لم تخمد الفتنة ؟! وهل جننت أنت أيضا ؟! وهل أمست النبوات وشريعة الله نسيا منسيا ؟! ٠ ثم قال : انى أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنى برىء من كل ما قاله الناس عنى من أنى أعظم من البشر ، لأنى بشر مولود من امرأة ، وعرضة لحكم الله ، أعيش كسائر البشر ٠٠٠ » ٠ ــ ويقول فى آخر الفصل السبعين ان يسوع قد نظر الى الحواريين عندما بلغه افتتان الناس به وادعاؤهم أنه الاه أو أنه ابن الله ، وطلب اليهم أن يبدوا رأيهم فى ذلك ٠ فأجاب بطرس : انك المسيح ابن الله ٠ فغضب حينئذ يسوع وانتهره قائلا : « اذهب وانصرف عنى ، لأنك أنت الشيطان ٠٠٠ » ٠

٢ ــ أنه يقرر أن المسـيح لم يصلب ولكنه شـبه لهم ، فيتفق هذا مع ظاهر ما يقرره القرآن الكريم اذ يقول : « ٠٠٠ وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ٠٠٠ » (٧٢) ٠

---

(٧١) انظر ترجمة الحوارى يعقوب الصغير وما أدخله من تعديل فى موضوع الختان واحلال لحم الخنزير فى الفقرة الأولى من هذا الفصل ٠
(٧٢) آية ١٥٧ من سورة النساء ٠

فيقرر هذا الانجيل أن الله القى شبه المسيح على يهوذا الاسخريوطى فأخذوه وصلبوه ظانين أنه المسيح • وفى هذا يقول ما نصه : « ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جم غفير ، فانسحب الى البيت خائفا • وكان الأحد عشر نياما (يقصد الحواريين الأحد عشر) • فلما رأى الله الخطر على عبده أمر سفراءه جبريل وميخائيل ورفائيل وأدريل (أى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل) أن يأخذوا يسوع من العالم • فأخذوه من النافذة المشرفة على الجنوب ووضعوه فى السماء الثالثة مع الملائكة الذين يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون ••• ودخل يهوذا بعنف الى الحجرة التى عرج منها بالمسيح ؛ وكان التلاميذ كلهم نياما • فأتى الله بأمر عجيب ، فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه ، وأصبح شبيها بيسوع فى كل شىء ، حتى اننا اعتقدنا أنه يسوع • أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين هو المعلم (يقصد المسيح) • لذلك تعجبنا وأجبنا أنت يا سيدى معلمنا ، أنسيتنا الآن ••• » •

ويذكر فى موطن آخر : « الحق أقول : ان صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع ، لذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع ، معتقدين أنه كان نبيا كاذبا ، وأن الخوارق التى ظهرت على يديه انما ظهرت بصناعة السحر ، لأن يسوع قال انه لا يموت ••• » • ثم يذكر أن يسوع طلب الله أن ينزل الى الأرض بعد رفعه ليرى أمه وتلاميذه وليزيل ما علق بنفوس الناس من شك فى أمره ومن اعتقاد بأنه هو الذى صلب ، وأنه نزل بعد ثلاثة أيام • ثم يقول : « ووبخ كثيرين ممن اعتقدوا أنه مات ، وقال لهم : ان الله قد وهبنى أن أعيش ؛ أتحسبوننى أنا والله كاذبين ••• الحق أقول لكم اننى لم أمت ، بل الذى صلب هو يهوذا الخائن • احذروا لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ، وكونى شهودى فى كل اسرائيل وفى العالم أجمع على جميع الأشياء التى رأيتموها وسمعتموها » •

٣ — أنه يقرر أن مسيا أو المسيح المنتظر الذى ورد ذكره فى العهد القديم ليس يسوع بل محمدا عليه السلام • وقد ذكر محمدا ، أى لفظا يفيد مدلوله شخصا كثر حمد الناس له وثناؤهم عليه ، فى كثير من فصوله (« فار قليط » تعريب لكلمة « بركلتوس » اليونانية • ومعناها الذى يحمد حمدا كثيرا) ، وقال انه رسول الله وان آدم لما طرد من الجنة رأى سطورا كتبت فوق بابها بأحرف من نور : لا الاه الا الله ؛ محمد رسول الله • ويروى عن المسيح أنه قال : « ان الآيات التى يظهرها الله على يدى تدل على انى أتكلم بما يوحى الى به ؛ ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه (يقصد المسيح

المنتظر الذى يتحدث عنه العهد القديم) لاننى لست أهلا لأن أحل رباطات أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسـيا الذى خلق قبلى ، وسيأتى بعدى بكلام الحق ، ولا يكون لدينه نهاية » • ـ ويذكر فى الفصلين الثالث والأربعين والرابع والأربعين كلاما وافيا فى تبشير المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لأن التلاميذ طلبوا من المسيح أن يصرح لهم به ، فصرح بما يعلن حقيقته ويبين ما له من شأن •

وهذا يتفق فى جملته مع ما يذكره القـرآن عن عيسى اذ يقول : « واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لمـا بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » (٧٣) •

ويخالف هذا الانجيل كذلك العقيدة المسيحية والعقيدة اليهودية ويتفق مع أرجح الآراء عند المسلمين فيما ينقله عن المسيح بشأن الذبيح الذى تقدم به ابراهيم عليه السـلام للفداء ، فيقرر أن المسـيح قد بين أن هذا الذبيح هو اسماعيل وليس اسحاق كما هو مذكور فى توراة اليهـود • وهذا هو نص ما جاء فى انجيل برنابا على لسان المسيح عليه السلام • « الحق أقول لكم ، انكم اذا أمعنتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا • لأن الملاك قال يا ابراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟ حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله • فأجاب ابراهيم ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله • فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا خذ ابنك بكرك واصعد الى الجبل لتقدمه ذبيحة • فكيف يكون اسحاق البكر وهو لمـا ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين » •

هذا ، ويقدم فقهاء المسيحيين وباحثوهم شواهد كثيرة تدل على أن هذا الانجيل موضوع بقلم بعض المسـلمين ، وأن مؤلفه قد نسبه زورا الى برنابا لترويج ما يتضمنه • وكثير مما يقدمه هؤلاء من شواهد لا يقطع بصحة ما يذهبون اليه ؛ وان كان بعض ما يشتمل عليه هذا الكتاب نفسه يحمل على الظن بأنه موضوع ، وخاصة مـا يقرره من أمور تمثل روايات ذكرها بعض مؤلفى المسلمين ولا يطمئن الى مثلها المحققون منهم ، كما يقرره عن آدم وأنه لمـا طرد من الجنة رأى سطورا كتبت فوق بابها بأحرف من نور : لا الاه الا الله محمد رسول الله ، ومـا ينسبه الى المسيح من أقوال تمثل تحقيقات الفقهاء والمؤرخين لا كلام

---

(٧٣) آية ٦ من سورة الصف •

الأنبياء كالأقوال التى ينسبها الى المسيح بشأن الذبيح وما يذكر أن المسيح قد قدمه من أدلة على أنه هو اسماعيل لا اسحاق ٠

والاســلام ليس فى حاجة الى كتاب كهذا تحوم حوله شكوك كثيرة لتأييد مـا يذكره القـرآن عن المسيح وحقيقة ديانته وتبشيره بالرسول ٠ فالقـرآن ، وهو الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هو الذى نتخذه دليلا فى الحكم على أناجيلهم المزعومة ومبلغ تحريفها للانجيل الذى أنزله الله على عيسى ؛ ولا ينبغى أن نتخذ سفرا مشكوكا فى صحة نسبته الى صاحبه دليلا على ذلك ولا أن نعتمد عليه لاقناع المسيحيين ببطلان ما أقروه من أناجيل ٠

— ٨ —

بقية أسفار العهد الجديد

تمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة المجموعة الأولى من أسفار العهد الجديد ٠ وهى فى نظرهم أهم مجموعاته ٠ أمـا بقية أسفار هذا العهد فعددها ثلاث وعشرون سفرا منها سفران منفردان ، وهما سفر « أعمال الرسل » للوقا وسفر « رؤيا يوحنا » ، ومجموعتان من الأسفار : تضم احداهما أربعة عشر سفرا وهى رســائل بولس ؛ وتضم الأخرى سبعة أسفار وهى الرســائل الكاثوليكية ٠ وقد فرغنا فيما سبق من الكلام على مجموعة الأناجيل ، وسنتكلم فيما يلى على الأسفار الثلاثة والعشرين الباقية من أسفار العهد الجديد ، ونذكرها حسب ترتيبها التقليدى فى هذا العهد ٠

١ — سفر « أعمال الرسل » Astes des Apôtres (أو سفر بركسيس Praxis مأخوذة من كلمة يونانية معناها الأعمال) ٠ وينسب هذا الســفر للقديس لوقا صاحب الانجيل الثالث الذى تحدثنا عنه وعن انجيله فى الفقرتين الثانية والرابعة من هذا الفصل ٠ وقد كتبه باللغة اليونانية حوالى سنة ٦٣ ميلادية على أرجح الأقوال ، أى فى العصر نفسه الذى كتب فيه انجيله ٠ ولا يستأثر هذا الكتاب الا بحيز يسير من العهد الجديد لا يزيد كثيرا على عشره (يستغرق نحو ثلاثين صفحة من صفحات العهد الجديد البالغة نحو ٢٥٠ صفحة فى احدى ترجماته بالفرنسية) ٠ وموضوعه تاريخ حياة الحواريين وتاريخ طائفة ممن كان لهم أثر كبير فى المسيحية من التلاميذ والتابعين ٠ فالكلمة الأولى من عنوان هذا الكتاب ، وهى كلمة « أعمال » ، معناها تاريخ حياتهم أو ما عملوه وما أثر عنهم . والكلمة الثانية من عنوانه ، وهى «الرسل» ،

معناها فى اصطلاح المسيحيين الحواريون ، لأنهم يعتقدون أن هؤلاء قد أرسلهم الرب وهو عيسى الى مختلف شعوب العالم لنشر المسيحية بين الناس وهدايتهم الى الصراط المستقيم ؛ وعددهم كما تقدم اثنا عشر حواريا ؛ وقد ضم اليهم فيما بعد الرسول بولس الذى ظهر له المسيح بعد رفعه — على حد ما يعتقده المسيحيون — وأرسله الى الأمم الضالة • غير أن هذا الكتاب لا يقتصر على تاريخ الحواريين الأصليين وتاريخ بولس ، بل يعرض كذلك ، كما قلنا ، لتاريخ طائفة ممن كان لهم أثر كبير فى المسيحية من التلاميذ والتابعين كبرنابا ومرقص • وهو يتناول شخصياته بتفصيل فى مختلف شئون حياتهم ، وخاصة ما تعلق منها بالناحية الدينية ، كجهادهم وتقلبهم فى البلاد لنشر المسيحية ، وما أحرزوه من نجاح فى هذا السبيل ، وما ظهر على أيديهم من معجزات ، وما لاقوه من عنت وعذاب واستشهاد • وفى ثنايا هذا العرض التاريخى يتحدث عن كثير من العقائد والشرائع التى كان ينشرها هؤلاء بين الناس • وقد عنى لوقا بوجه خاص فى كتابه هذا بتاريخ حياة بولس وجهاده فى سبيل نشر المسيحية وما ظهر على يديه من معجزات ، حتى لقد وقف عليه وحده ما يزيد على نصف صفحات كتابه • وتدل العبارة التى افتتح بها لوقا كتابه هذا أنه قد كتبه للشخص نفسه الذى كتب له انجيله ، وهو ثيوفيلوس • فهو يفتتح كتابه بهذه العبارة : « ثيوفيلوس ، قد تكلمت فى كتابى الأول (يقصد انجيله الذى كتبه لهذا العظيم نفسه) على جميع ما فعله المسيح وما قرره من تعاليم منذ نشأته الى أن رفع الى السماء ، بعد أن أعطى أوامره ، عن طريق روح القدس ، الى الحواريين الذين اصطفاهم » • ثم يأخذ بعد ذلك فى سرد تاريخ الحواريين بعد حادث الصلب فيقول : « وقد ظهر المسيح حيا للحواريين بعد صلبه ، وقدم لهم عدة أدلة على صدقه ، وظل بينهم أربعين يوما متحدثا اليهم بأمور كثيرة عن ملكوت الله ... » •

ولما كان هذا الكتاب يتفق مع الأناجيل فى أن موضوعه الأساسى موضوع تاريخى ، لأن الموضوع الأساسى للأناجيل هو تاريخ المسيح ، والموضوع الأساسى لهذا الكتاب هو تاريخ أنصاره من بعده ، لذلك جرت العادة بأن تطلق كلمة « الأسفار التاريخية » على الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل • صحيح أن كل سفر من هذه الأسفار يعرض فى ثنايا ما يذكر من تاريخ لكثير من شئون العقيدة والشريعة ؛ ولكنه يتناول هذه الأمور عرضا وبمقدار اتصالها بموضوعه الأساسى وهو التاريخ •

هذا ، ويذكر التاريخ المسيحى أسفارا أخرى قديمة عرضت للموضوع نفسه الذى عرض له هذا الكتاب وسميت باسمه ، من أشهرها سفر « أعمال الرسل » لبرنابا • ولكن الكنيسة المسيحية اعتمدت هذا الكتاب وحده ، وهو سفر « أعمال الرسل » للوقا ؛ ورفضت ما عداه من الأسفار القديمة التى عرضت لموضوعه نفسه وحكمت بزيفها وعدم صحة نسبتها الى من تنسب اليهم من الحواريين والتلاميذ ، أى اعتبرتها من الأسفار الخفية Apocryphes حسب الاصطلاح المسيحى (٧٤) ، كما حكمت الحكم نفسه على ما عدا الأناجيل الأربعة من الأناجيل التى كانت معروفة لدى المسيحيين فى عهودهم الأولى • ومن أجل ذلك بقى سفر « أعمال الرسل » للوقا وانقرض ما عداه من الأسفار القديمة التى عرضت لما عرض له ، فلا يحدثنا التاريخ المسيحى الا عن أسمائها ، ولا نكاد نعلم شيئا يعتد به عن مبلغ الخلاف بينها وبين سفر لوقا ؛ وان كان من الممكن أن نستنتج ، فى ضوء ما ذكرناه عن انجيل برنابا ومبلغ الخلاف بينه وبين الأناجيل الأربعة ، أن سفر « أعمال الرسل » الذى ينسب الى برنابا لابد أن يكون كذلك مختلفا فى قصصه التاريخى اختلافا كبيرا عن سفر « أعمال الرسل » للوقا •

(٢ ــ ١٥) رسائل بولس Epitres de Sant Paul وعددها أربع عشرة رسالة كتبها كلها فى الأصل باللغة اليونانية فى عصور مختلفة تبدأ من نحو سنة ٤٥ وتنتهى حوالى سنة ٦٥ ، منها عشر رسائل الى بعض البلاد وبعض الشعوب وأربع رسائل الى بعض تلاميذه •

أما الرسائل العشر التى أرسلها الى بعض البلاد وبعض الشعوب فهى : رسالة الى الرومان ؛ ورسالتان الى أهل قورنثوس Corinthiens ؛ ورسالة الى أهل غلاطيا Galates ؛ ورسالة الى أهل افسوس Ephésiens ؛ ورسالة الى أهل فيلبى Philippiens ؛ ورسالة الى أهل كولوس Colossiens ؛ ورسالتان الى أهل تسالونيكى Thessalonisiens ؛ ورسالة الى العبريين •

وأما الرسائل الأربع التى أرسلها الى بعض تلاميذه فهى : رسالتان الى تلميذه تيموثاوس Timothée ؛ ورسالة الى تلميذه تيطس Tite ؛ ورسالة الى تلميذه فيليمون Philémon.

---

(٧٤) انظر معنى هذه الكلمة فى الفقرة السابعة من الفصل الأول من هذا الكتاب صفحتى ٢٠ ، ٢١ •

وترتب رسائل بولس فى العهد الجديد حسب ترتيبها السابق ما عدا رسالة بولس الى العبريين فتوضع فى آخر هذه الرسائل جميعا ٠

وتستأثر هذه الرسائل بأكبر حيز من العهد الجديد ، حتى انها لتستغرق وحدها نحو ثلث صفحاته (تستغرق نحو ٧٥ صفحة من صفحات العهد الجديد البالغ عددها نحو ٢٥٠ فى احدى ترجماته الى الفرنسية) ٠

وهى تعرض فى صورة مفصلة لكثير من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها ، وتوجه قسطا كبيرا من عنايتها الى توضيح العقيدة وتقرير ألوهية المسيح وبنوته لله ومبدأ التثليث :

La Trinité : les trois hypostases : le père, le Fils ; et le Saint Esprit.

ومن أجل ذلك تعتمد المسيحية الحاضرة على رسائل بولس أكثر من اعتمادها على ما عداها من أسفار العهد الجديد ، وتنسب هذه المسيحية الى بولس أكثر مما تنسب الى سواه ، حتى ان كلمة « الرسول » اذا أطلقت تنصرف عندهم اليه وحده ٠

صحيح أن الأناجيل نفسها وسفر أعمال الرسل قد عرضت كذلك للعقائد والشرائع والأخلاق ، ولكنها عرضت لهذه الأمور فى صورة مجملة وفى ثنايا قصصها التاريخى عن المسيح وأنصاره ٠ وبعض ما ذكرته عن هذه الأمور قد أوردته فى عبارات غامضة يعوزها الشرح والتوضيح ٠ على حين أن رسائل بولس قد جعلت هذه الأمور موضوعها الأصيل ، وعالجتها فى صورة مفصلة واضحة ، وكانت صريحة كل الصراحة فى اثبات الوهية المسيح وبنوته لله وعقيدة التثليث ٠

هذا ، ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعها الا فى سنة ٣٦٤ ٠ أما قبل ذلك فكان بعض هذه الرسائل موضع شك فى صحة نسبته الى بولس عند كثير من المسيحيين ، حتى ان مجمع نيقية Concile de Nicée المنعقد سنة ٣٢٥ وهو من أكبر مجامعهم «المسكونية» œucuméniques (أى التى اجتمع فيها ممثلون لجميع بلاد العالم المسيحى) لم يعترف برسالة بولس الى العبرانيين واعتبرها مزيفة مدسوسة عليه ٠

وقد ظهر للمحدثين من علماء المسيحيين المشتغلين فى الوقت الحاضر بشئون ديانتهم وأسفارها أن من هذه الرسائل ثلاث رسائل موثوق بصحتها وصحة

نسبتها الى بولس وهى رسالته الى الرومان ورسالتاه الى أهل كورنثوس ، وأربع رسائل مقطوع بعدم صحة نسبتها اليه وهى رسالته الى أهل افسوس ورسالتاه الى تيموثاوس ورسالته الى تيطس ، وأن ما بقى من هذه الرسائل مشكوك فى صحة نسبتها اليه ٠

(١٦ — ٢٢) الرسائل الكاثوليكية les Epitres Catholiques وهى سبع رسائل كتبت كلها فى الأصل باللغة اليونانية ، وكتبت فى عهود مختلفة ، يرجع أقدمها الى حوالى سنة ٥٠ وأحدثها الى حوالى سنة ٩٠ بعد الميلاد ، منها رسالة للحوارى يعقوب الصغير ورسالتان لبطرس كبير الحواريين وثلاث رسائل للحوارى يوحنا صاحب الانجيل الرابع ورسالة للحوارى يهوذا أخى يعقوب الصغير ٠ — وهى مرتبة فى العهد الجديد حسب ترتيبها السابق ٠

ولا تستأثر هذه الرسائل كلها فى العهد الجديد الا بحيز يسير لا تزيد نسبته كثيرا على نسبة خمسة فى المائة (تستغرق نحو ١٥ صفحة فقط من صفحات العهد الجديد البالغ عددها ٢٥٠ صفحة فى احدى التراجم الفرنسية) . والرسائل الثلاث الأخيرة من هذه الرسائل وهى الرسالتان الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا ، لا تتجاوز كل رسالة منها صفحة واحدة ٠

وتعرض هذه الرسائل لبعض نواح من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها ، وتعنى بوجه خاص بالرد على البدع المستحدثة ٠ فهى تتفق اذن فى موضوعها مع رسائل بولس ، وان كانت تقل عنها كثيرا والرسائل واستيعابها لهذا الموضوع ٠ ومن أجل ذلك يطلق على رسائل بولس والرسائل الكاثوليكية اسم « الأسفار التعليمية » للعهد الجديد ، وذلك فى مقابل أسفار الأناجيل وسفر أعمال الرسل التى يطلق عليها اسم « الأسفار التاريخية » كما تقدم بيان ذلك ٠

هذا ، ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعها الا فى سنة ٣٦٤ ٠ أما قبل ذلك فكان كثير منها موضع شك فى صحة حقائقها وصحة نسبتها الى أصحابها عند كثير من المسيحيين ، حتى ان مجمع نيقية نفسه ، وهو من أكبر مجامعهم «المسكونية» (٧٥) كما تقدمت الاشارة الى ذلك ، لم يعتمد الا رسالتين اثنتين من هذه الرسائل وهى رسالة بطرس الأولى ورسالة يوحنا الأولى ورفض ما عداهما ٠

---

(٧٥) انظر معنى هذه الكلمة فى صفحة ١٠٢ ٠

٢٣ — « رؤيا يوحنا » أو « السفر النبوى » أو التنبئى ، أو « الأبوكاليبس » Apokalupsis (وهى كلمة يونانيــة الأصل معناها الوحى أو الرؤيا ومنهــا الكلمة لفرنسية Apocalypse).

وقد كتبها يوحنا صاحب الانجيل الرابع باللغة اليونانية ، وكان تأليفها على أرجح الآراء فى عهد الامبراطور دوميسيان Domitien (امبراطور الدولة الرومانية الغربية من سنة ٨١ الى سنة ٩٦ م) • وتستأثر فى العهد الجديد بمثل الحيز الذى تستأثر به الرسائل الكاثوليكية (نحو ١٥ صفحة من ٢٥٠ صفحة) •

وهى رؤيا منامية رآها الرسول يوحنا وأوحى اليه فيها بكثير من حقائق الديانة المسيحية وأحداث المستقبل • ويرجع أهم ما تشتمل عليه هذه الرؤيا الى الأمور الآتية :

١ — تقرير ألوهية المسيح • وهى تصوره فى عليائه تارة فى صورة شيخ أشيب متمنطق عند ثدييه بمنطقة من ذهب ، وتقدح عيناه بالشرر ، ويحمل فى يده سبعة كواكب ، ويخرج من فيه سيف ماض ذو حدين (٧٦) ، وتارة تصوره فى صورة خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبعة أعين (٧٧) •

٢ — تقرر سلطان المسيح فى السماء واشرافه فى عليائه على شئون الكنيسة وعلمــه بجميع أحوالها والقوامين عليهما ، وتبين أعمــال الملائكة فى السمــاء وخضوعهم للمسيح •

٣ — تقرر أن الناس سيبعثون يوم القيامة ويعرضون على المسيح ، وأنه هو الذى سيتولى حسابهم على أعمالهم فيجزى المحسن باحسانه والمسىء باساءته•

٤ — تذكر طائفة من الأحداث التى ستحصل فى العالم الانسانى على العموم وفى العالم المسيحى بوجه خاص ، وتذكر هذه الأحداث فى صور رمزية مبهمة• ومن ذلك خبر الدابتين الغريبتين اللتين ستخرجان قبيل قيام الساعة ، تخرج احداهما من الأرض والأخرى من الماء ، وتكلمان الناس (٧٨) •

---

(٧٦) انظر فقرات ١٢ — ١٦ من الاصحاح الأول من رؤيا يوحنا •

(٧٧) انظر فقرات ١ — ٧ من الاصحاح الأول من رؤيا يوحنا •

(٧٨) أشار القرآن الكريم الى خبر هذه الدابة اذ يقول : « واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » (آية ٨٢ من سورة النمل) •

هذا ولم تعتمد الكنيسة المسيحية هذه الرسالة الا فى سنة ٣٦٣ ، أما قبل ذلك فكانت هذه الرسالة موضع شك كبير فى حقائقها وفى صحة نسبتها الى يوحنا الحوارى عند كثير من المسيحيين ، حتى ان مجمع نيقية نفسه المنعقد سنة ٣٢٥ وهو من أكبر مجامعهم «المسكونية(٧٩)» رفض الاعتراف بصحتها • وقد تقدم أن عددا كبيرا من ثقات الباحثين فى الوقت الحاضر يقطع بأن جميع ما ينسب الى يوحنا من أسفار العهد الجديد بما فى ذلك انجيل يوحنا نفسه هى أسفار موضوعة ومنسوبة زورا الى يوحنا الحوارى (٨٠)•

— ٩ —

تطور العقيدة المسيحية
واستقرارها أخيرا على التثليث

اجتازت العقيدة المسيحية مرحلتين أساسيتين : المرحلة الأولى من بعثة المسيح الى مجمع نيقية سنة ٤٢٥ م ؛ والمرحلة الثانية من مجمع نيقية الى الوقت الحاضر • وسنتكلم على كل مرحلة منهما على حدة :

المرحلة الأولى : من بعثة المسيح الى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م :

كانت المسيحية فى فاتحة هذه المرحلة — كما ينبئنا القرآن — ديانة توحيد تدعو الى عبادة الاه واحد ، وتقرر أن المسيح انسان من البشر أرسله الله تعالى بدين جديد وشريعة جديدة كما أرسل رسلا من قبله ، وأن الارهاصات التى سبقت بعثته والمعجزات التى ظهرت على يديه بعد رسالته هى من نوع الارهاصات والمعجزات التى يؤيد الله تعالى بها رسله ، وأن خلقه بدون أب ليس الا ارهاصا من هذه الارهاصات ، وأن أمه صديقة من البشر قد كرمها الله فنفخ فيها من روحه فحملت بالمسيح •

ولكن لم تمض بضع سنين على رفع المسيح حتى أخذت مظاهر الشرك والزيغ والانحراف تتسرب الى معتقدات بعض الفرق المسيحية ، وافدة اليها

---

(٧٩) انظر معنى هذه الكلمة فى صفحة ١٠٢ •

(٨٠) انظر آخر الفقرة الرابعة من هذا الفصل صفحتى ٧٨ ، ٧٩ • — هذا وقد وقف العلامة ابن حزم فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » فصلا كبيرا على بيان ما تشتمل عليه رسائل بولس ، والرسائل الكاثوليكية ، وأعمال الرسل ، ورؤيا يوحنا ، من كذب وتناقض وتحريف ؛ وجعل عنوانه « ذكر ما فى كتبهم غير الأناجيل من الكذب والكفر والهوس » •

أحيانا من فلسفات قديمة ، وأحيانا من رواسب ديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية والتى احتك بأهلها المسيحيون ·

فانقسم حينئذ المسيحيون الى طائفتين : طائفة جنحت عقائدها الى الشرك بالله ؛ وطائفة ظلت عقائدها محافظة على التوحيد · وضمت كل طائفة من هاتين الطائفتين تحت لوائها فرقا كثيرة :

(أ) فمن أهم الفرق التى انحرفت عقائدها فى هذه المرحلة فرقة المرقيونيين وفرقة البربرانية وفرقة الاليانية وفرقة التثليث ·

١ — أما فرقة المرقيونيين فانها تنسب الى مرقيون أو مرسيون Marcion وهو من رجال القرن الثانى الميلادى · وكان قسيسا ، ثم حكم عليه بالطرد والحرمان · ويقوم مذهبه على الاعتقاد بوجود الاهين : أحدهما الاله العادل Dieu Juste أو الاله ديميورج Démiurge أى الخالق والمهندس ، وهو الاله الذى اتخذ من بنى اسرائيل شعبا مختارا وأنزل عليهم التوراة ؛ والآخر الاله الخير Dieu Bon الذى ظهر متمثلا فى المسيح وخلص الانسانية من خطاياها · وقد كان للاله الأول السلطان على العالم حتى ظهر الاله الثانى فبطلت جميع أعمال الاله الأول وزال سلطانه · ومن ثم يقوم هذا المذهب على اطراح العهد القديم (كتب اليهود المقدسة) فى جملته وتفاصيله ، ولايعترف كذلك بمعظم أسفار العهد الجديد ، والأسفار القليلة التى يعترف بها من أسفار هذا العهد وهى انجيل لوقا ورسائل بولس لا يعترف بها الا بعد أن يدخل على نصوصها تغييرات كثيرة تخرجها عن أوضاعها ومدلولاتها الأولى · ويقال انه كان لهذه الفرقة انجيل خاص كما سبقت الاشارة الى ذلك (٨١)·

ولعل هذا المذهب متأثر بالديانة الزرادشتية الفارسية فى مراحلها الأخيرة . فقد انتهى الأمر بالزرادشتيين الى الاعتقاد بوجود الاهين ، اله للخير وكانوا يسمونه أهورا مزدا ، واله للشر وكانوا يسمونه أهريمان ، كما سيأتى بيان ذلك فى الفصل الثالث من هذا الكتاب ·

ومن أهم ما تختص به هذه الفرقة فى شئون الشريعة أنها حرمت الزواج تحريما باتا على جميع أفراد نحلتها ، كما فعلت فرقة الحسديين من اليهود من قبل . فكانت فرقة المرقونيين توجب على كل متزوج يرغب فى اعتناق مذهبها

(٨١) انظر الفقرة السابعة من هذا الفصل ·

من الذكور والاناث أن يفترق عن زوجه ، وبدون ذلك ما كان يمكن قبوله ولا تعميده ٠

وعلى الرغم من الحرب الشعواء التي شنتها الكنيسة على هذا المذهب فانه قد انتشر وتبعه خلق كثير في ايطاليا وأفريقيا ومصر ، وظل كذلك حتى منتصف القرن الثالث ، أي حتى انتهاء المرحلة التي نتحدث عنها ، ثم أخذ يضمحل ويتناقص أتباعه تناقصا كبيرا ، ولكنه لم ينقرض انقراضا تاما الا حوالى القرن العاشر الميلادي ٠

٢ ـ وأما فرقة «البربرانية» فكانت تذهب الى القول بألوهية المسيح وأمه معا ٠ ويقرر ابن البطريق مذهب هذه الفرقة فيقول : « ومنهم من كان يقول ان المسيح وأمه الاهان من دون الله وهم البربرانية ، ويسمون الريميتيين » ٠ ولعل هؤلاء هم الذين يشير اليهم القرآن الكريم فيما يخاطب به الله تعالى عيسى بن مريم اذ يقول : « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الاهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق » (٨٢) ، واذ يرد عليهم في قوله : « ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » (٨٣) ٠

هذا ، وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض كذلك في نهاية المرحلة التي نتحدث عنها ، وان كان يبدو من ذكرها في القرآن أنه كان لايزال لمذهبها أتباع في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام (القرن السابع الميلادي) ٠

ومهما يكن من شيء فان الاتجاه الى تقديس مريم قد ترك آثارا ورواسب كثيرة في معظم الفرق المسيحية الباقية ، وتتمثل هذه الآثار والرواسب في عدة معتقدات وطقوس وأعياد خاصة بالسيدة مريم تعتنقها وتقيمها جميع فرق المسيحيين في الوقت الحاضر باستثناء فرقة البروتستانت ٠

٣ ـ وأما فرقة اليان فيؤخذ مما ذكره في صددها ابن البطريق والشهرستاني في الملل والنحل أنها كانت تؤله المسيح وتقرر أنه ابن الله وتصور حقيقته وحمل أمه به وقصة صلبه في صورة خاصة ، فتذهب الى أن مريم لم تحمل به كما تحمل النساء بالأجنة وانما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب ، لأن الكلمة (الابن) دخلت من أذنها ، وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد ، وأن

---

(٨٢) آية ١١٦ من سورة المائدة ٠
(٨٣) آية ٧٥ من سورة المائدة ٠

ما ظهر من شخص المسيح فى الأعين انما هو خيال شبيه بالصورة التى تظهر فى المرآة ، فلم يكن المسيح جسما متجسما كثيفا فى الحقيقة . وكذلك القتل والصلب ، فانهما وقعا على الخيال والظن لا على الحقيقة .

وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض فى نهاية المرحلة التى نتحدث عنها، وان كان يبدو مما ذكره الشهرستانى فى صددها اذ يقول : « وهؤلاء يقال لهم الاليانية ، وهم قوم بالشام واليمن وأرمينية » (٨٤) ، أنه كان لايزال لهذه الفرقة أتباع فى عصره (القرن السادس الهجرى والثالث عشر الميلادى) .

٤ - وأما فرقة التثليث وألوهية المسيح فهى الفرقة التى تذهب الى أن الاله ثلاثة أقانيم وهى الآب والابن وروح القدس ، وأن الابن أو الكلمة هو المسيح . وكانت كنيسة الاسكندرية من أشد الكنائس تعصبا لهذا المذهب الذى أصبح المذهب الرسمى المقرر لجميع الفرق المسيحية بعد مجمع نيقيـة سنة ٣٢٥ م ، ومجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ . ولذلك سنرجىء الكلام على تفاصيله الى أن يحين الكلام على المرحـلة الثانيـة التى اجتازتهـا الديانة المسيحية .

(ب) ومن أهم الفرق التى ظلت عقائدها محافظة على التوحيد فرقة ابيون وفرقة بولس الشمشاطى وفرقة أريوس .

١ - أما فرقة ابيون أو الابيونيين Ebionites (أتباع ابيون Ebion) فكانت تقر جميع شرائع موسى ، وتعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذى تحدثت عنه أسفار العهد القديم ، وتنكر ألوهية المسيح وتعتبره مجرد بشر رسول . وكان لهذه الفرقة فى تفاصيل عقائدها هذه انجيل خاص مدون باللغة الآرامية. وقد عرضنا له فى الفقرة السابعة من هذا الفصل . - وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض فى أواخر المرحلة التى نتحدث عنها ، وتم انقراضها فى أواخر القرن الرابع الميلادى .

٢ - وأما فرقة الشمشاطى فهم أتباع بولس الشمشاطى Paul de Somosate وكان بولس الشمشاطى هذا أسقفا لأنطاكية Antioche سنة ٢٦٠ م . وأنكر ألوهية المسيح وقرر أنه مجرد بشر رسول . وقد عقد بأنطاكية من سنة ٢٦٤

(٨٤) الشهرستانى ، الملل والنحل ، ص ٢٢٧ الجزء الأول ، طبعة مصطفى الحلبى ١٩٦١ .

الى سنة ٢٦٩ ثلاث مجامع للنظر في شأنه ، وانتهى الأمر بحرمانه وطرده ٠ وقد بقى لمذهبه أتباع على الرغم من ذلك حتى القرن السابع الميلادى ٠ ويذكر ابن حزم فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » عن بولس هذا « أنه كان بطريركا بأنطاكية، وكانقوله التوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله فى بطن مريم من غير ذكر ، وأنه انسان لا الاهية فيه ٠ وكان يقول لا أدرى ما الكلمة (أى الابن) ولا روح القدس » ٠ ويقول ابن البطريق فى بيان مذهبه : « ان المسيح انسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره ، وان ابتداء الابن من مريم (أى انهمحدث وليس قديما) ٠٠٠ ويقولون ان الله جوهر واحـد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة (أى الابن) ولا بروح القدس ، وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريرك أنطاكية وهم البوليقانيون » ٠

٣ ـ وأما الأريوسيون فهم أتباع أريوسArius ٠وكان أريوس هذا قسيسا فى كنيسة الاسكندرية ، وكان داعيا قوى التأثير ، واضح الحجة ، جريئا فى المجاهرة برأيه ٠ وقد أخذ على نفسه فى أوائل القرن الرابع الميلادى مقاومة كنيسة الاسكندرية فيما كانت تذهب اليه من القول بألوهية المسيح وبنوته للآب.فقام يقرر أن المسيح ليس الاها ولا ابناللهانما هوبشرمخلوق L'Arianisme وأنكر جميع ما جاء فى الأناجيل من العبارات التى توهم ألوهية المسـيح ٠ ويلخص ابن البطريق مذهبه فيقول : « كان يقول ان الآب وحده الله والابن مخلوق مصنوع وقد كان الآب حيثما لم يكن الابن » ٠ وقد تبعه مشايعون كثيرون ٠ فقد كانت كنيسة أسيوط على هذا الرأى ، وعلى رأسها ميليتوس ، وكان أنصاره فى الاسكندرية نفسها كثيرين فى العدد أقوياء فى المجاهرة بما يعتقدون ، كما تبعه خلق كثير فى فلسطين ومقدونية والقسطنطينية ، وذلك على الرغم من أن كنيسة الاسكندرية لم تأل جهدا فى محاربته ومحاربة آرائه، وعلى الرغم من حكمها عليه بالطرد من الكنيسة ٠

ثم أخذ هذا المذهب يضمحل ويتناقص عدد أتباعه بعد أن حكم مجمعنيقية سنة ٣٢٥ بطرد أريوس وكفره وأصدر قراره بألوهية المسيح كما سيأتىبيان ذلك ٠ ومازال يضمحل ويتناقص عدد أتباعه حتى انقرض كل الانقراض فى أواخر القرن الخامس الميلادى ٠

المرحلة الثانية : من مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م الى الوقت الحاضر :

فى سنة ٣٢٥ م أمر قسطنطين امبراطور الرومان بأن يعقد مجمع دينى مسكونى Œucuménique أى يضم ممثلين لجميع الكنائس فى العالم المسيحى للفصل فى أمر الخلاف بين أريوس ومعارضيه ، ولبيان أى الرأيين يتفق مع الحق ، ولتقرير مبدأ صحيح يعتنقه المسيحيون فيما يتعلق بألوهية المسيح ، ولاتخاذ ما ينبغى اتخاذه من قرارات أخرى فى شئون العقيدة والشريعة . فاجتمع فى نيقية Concile de Nicée ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة ، ولكنهم اختلفوا اختلافا كبيرا ولم يستطيعوا الاجماع على رأى . ويظهر أن قسطنطين كان يجنح للرأى القائل بألوهية المسيح ، فاختار من بين المجتمعين ثمانية عشرة وثلثمائة من أشد أنصار هذا المذهب ، وألف منهم مجلسا خاصا وعهد اليهم أمر الفصل فى هذا الخلاف واتخاذ ما يرون اتخاذه من قرارات أخرى فى شئون العقيدة والشريعة ، على أن تصبح قراراتهم مذهبا رسميا يجب أن يعتنقه جميع المسيحيين . فانتهوا الى عدة قرارات كان من أهمها القرار الخاص باثبات الوهية المسيح وتكفير أريوس وحرمانه وطرده وتكفير كل من يذهب الى أن المسيح انسان ، وتحريق جميع الكتب التى لا تقول بألوهية المسيح وتحريم قراءتها . وكان من أشد أنصار هذا القرار والداعين اليه بطريرك الاسكندرية . ويذكر ابن البطريق نص هذا القرار فى العبارة الآتية: « ان الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم (أى تحكم بالحرمان والطرد) كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لاشىء ، أو من يقول ان الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الله الآب ، وكل من يقر أنه خلق أو من يقول انه قابل للتغير » .

ولم يعرض مجمع نيقية للعنصر الثالث من عناصر الألوهية فى العقيدة المسيحية الحاضرة وهو «روح القدس» ولم يبين حقيقة طبيعته أهو اله أم مخلوق . ومن ثم نشب خلاف كبير بين المسيحيين حول هذا الموضوع . وظهرت فرق تقول بأن روح القدس ليس باله وانما هو محدث مخلوق . وكان من أشهر هذه الفرق أتباع مقدونيوس Macedonius الذى كان بطريرك القسطنطينية فى القرن الرابع الميلادى . فاجتمع من أجل ذلك فى القسطنطينية سنة ٣٨١ م مجمع آخر اشتهر باسم المجمع القسطنطينى الأول . وكان عدد أعضائه مائة وخمسين أسقفا . وانتهى المجمع باقرار الرأى القائل بألوهية روح القدس . وكانت كنيسة الاسكندرية من أشد الكنائس تعصبا لهذا الرأى، كما كانت من أشدها تعصبا للرأى القائل بألوهية المسيح . ولذلك كان لأقوال بطريرك الاسكندرية والحجج التى أدلى بها فى هذا المجمع أثر كبير فى توجيهه

الى هذا القرار . ويصف ذلك ابن البطريق فيقول : « قال تيموثاوس بطريرك الاسكندرية فى هذا المجمع : ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله ، وليس روح الله شيئا غير حياته ، فاذا قلنا ان روح القدس مخلوق فقد قلنا ان روح الله مخلوق ، واذا قلنا ان روح الله مخلوق فقد قلنا ان حياته مخلوقة ، واذا قلنا ان حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حى ، واذا زعمنا أنه غير حى فقد كفرنا ، ومن كفر به وجب عليه اللعن ... واتفقوا على لعن مكدونيوس ، فلعنوه هو وأشياعه ، ولعنوا البطاركة الذين يكونون بعده ويقولون بمقالته».
ويوضح ابن البطريق نص القرار الذى اتخذه هذا المجمع بشأن ألوهية روح القدس فى العبارة الآتية : « زادوا فى الأمانة التى وضعها الثلثمائة والثمانية عشر أسقفا الذين اجتمعوا فى نيقية (يشير الى ما قرره مجمع نيقية الأول بشأن ألوهية المسيح) الايمان بروح القدس الرب المحيى .. وأثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاث خواص ، وحدية فى تثليث ، وتثليث فى وحدية ، كيان واحد فى ثلاثة أقانيم » .

وقد لخص عقيدة التثليث التى انتهت اليهـا قرارات المجمعين السـابقين وما يتصل بها من الاعتقاد بصلب المسيح لتكفير الخطيئة الأزلية وبعثه ورفعه الى السماء ومحاسبته الخلق يوم القيامة نوفل بن نعمة الله بن جرجس فى كتابه سوسنة سليمان اذ يقول : « ان عقيدة النصارى التى لا تختلف بالنسبة لها الكنائس وهى أصل الدستور الذى بينه المجمع النيقاوى (٨٥) ، هى الايمان:

١ ـ بالاه واحد ، آب واحد ، ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ، صانع ما يرى وما لا يرى ؛

٢ ـ وبرب واحد يسوع ، الابن الوحيد المولود من الآب قبل الدهور من نور الله ، الاه حق من الاه حق ، مولود غير مخلوق ، مسـاو للآب فى الجوهر الذى به كان كل شىء ، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السـماء ، وتجسد من روح القدس ، ومن مريم العذراء ، وصلب حيا على عهد بيلاطس Pilate (٨٦) وتألم وقبر ، وقام من الأموات فى اليوم الثالث على ما فى الكتب . وصـعد الى السـماء وجلس على يمين الرب ، وسيأتى بمجد ليدين الأحياء والأموات ، ولا فناء لملكه ؛

---

(٨٥) كان ينبغى أن يقول : « والمجمع القسطنطينى الأول » ؛ لأن ألوهية روح القدس لم تتقرر الا فى هذا المجمع .
(٨٦) الوالى من قبل الدولة الرومانية على فلسطين حينئذ .

٣ ـ والايمان بروح القدس الرب المحيى ... » .

ولخصه الشهرستاني فى العبارة الآتية ، وهى لا تختلف كثيرا عن العبارة السابقة :

« نؤمن بالله الواحد الآب مالك كل شيء ، وصانع ما يرى وما لا يرى ؛ وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، الاه حق من الاه حق ، من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم ، وخلق كل شيء من أجلنا ، ومن أجل معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار انسانا ، وحبل به ، وولد من مريم البتول ، وقتل وصلب أيام فيلاطوس ودفن، ثم قام فى اليوم الثالث وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ؛ ونؤمن بروح القدس الواحد ... وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية (كاثوليكية) وبقيام أبداننا ، وبالحياة الدائمة أبد الآبدين » .

***

وبذلك تقرر التثليث فى الديانة المسيحية ، وأصبح هو العقيدة الرسمية التى يجب أن يعتنقها كل مسيحى ، ويحكم بكفر من يقول بغيرها . وأخذت المذاهب المسيحية الأخرى التى كانت منتشرة عند بعض الفرق المسيحية فى المرحلة الأولى ، والتى أشرنا اليها فيما سبق ، تتلاشى شيئا فشيئا ، ويتضاءل عدد أتباعها ، حتى انقرضت كل الانقراض ، سواء فى ذلك مذاهب الفرق التى كانت محافظة على التوحيد ، أم مذاهب الفرق التى انحرفت عن التوحيد الى عقائد أخرى غير عقيدة التثليث . ولا نجد الآن أية كنيسة مسيحية ولا أية فرقة من المسيحيين لا تقول بالتثليث .ـ ولكنهم ، جميعا ، مع ذلك يتسترون وراء كلمات التوحيد ، فيقولون « تثليث فى وحدية » أو «وحدية فى تثليث »، مع أنه لا يمكن أن يكون التثليث وحدانية ولا الوحدانية تثليثا : « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من الاه الا الاه واحد » .

- ١٠ -

المصادر الأولى لعقيدة التثليث

ويظهر أن هذه العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة Philosophie néo-platonicienne. وذلك أن أفلوطين Plotin زعيم مدرسة الاسكندرية ، وهى المدرسة التى تنسب اليها الفلسفة الأفلاطونية الحديثة (وهو من رجال القرن الثالث الميلادى ـ ولد سنة ٢٠٥ وتوفى ٢٧٠م) كان يرى ، فيما يتعلق بالكون ومنشئه ، أن الله هو منشىء الأشياء لا يتصف بوصف من أوصاف الحوادث ، فليس بجوهر ولا عرض ، وليس فكرا كفكرنا ولا ارادة كارادتنا ، يتصف بكل كمال يليق به ، ويفيض على كل الأشياء نعمة الوجود ، ولا يحتاج هو الى موجد ، وأن أول شىء صدر عن هذا المنشىء هو العقل ، وقد صدر عنه كأنه يتولد منه ، ولهذا العقل قوة الانتاج ، ولكن ليس كمن يولد عنه ، ومن العقل تنبثق الروح التى هى وحدة الأرواح ، وعن هذا الثالوث يصدر كل شىء ومنه يتولد كل شىء ٠

فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذا المذهب من جهة وعقيدة التثليث التى استقرت عليها المسيحية من جهة أخرى ٠ واذا لاحظنا أن هذا المذهب كان منتشرا ومعروفا قبل مجمع نيقية بأمد طويل ، وأنه كان المذهب الفلسفى لمدرسة الاسكندرية ، وأن بطريرك الاسكندرية الذى نشأ فى البيئة التى ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث فى مجمع نيقية وفى المجمع القسطنطينى الأول كما تقدم بيان ذلك ، اذا لاحظنا هذا كله ترجح الاحتمال الذى ذكرناه وهو أنه يظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة ٠

ومن الممكن كذلك أن تكون قد تأثرت بالديانة البرهمية فى أوضاعها الأخيرة ٠ وذلك أن الديانة البرهمية قد استقرت أوضاعها فى آخر الأمر على الاعتقاد بتثليث الآلهة ، وان كان ثالوثها يختلف عن ثالوث المسيحيين فى نشأة كل أقنوم من أقانيمه وعمله وصفاته ٠ وذلك أنها تقرر أن الاله براهما كان قبل الوجود ، وأنه خلق العالم وسمى نفسه الخالق ٠ ثم انبثق منه الاله سيفا Civa وهو الاله المدمر الموكل بالخراب والفناء ، ولو ترك هذا الاله وشأنه لفنيت السماوات والأرض ومن فيهن ٠ ولهذا انبثق من براهما اله ثالث حافظ مجدد هو الاله فيشنو Vichnou ٠ وسنعرض لهذه الديانة بشىء من التفصيل عندما يحين موعد الكلام عليها فى الفصل الرابع من هذا الكتاب ٠

ويظهر أن فكرة الخلاص بتقديم الاله نفسه فداء لتكفير خطيئة أزليةمتلبسة بها الانسانية قد انتقلت الى المسيحية من الديانات الهندية كذلك٠فالبرهميون يعتقدون أن «كريشنا» وهو الاله «فيشنو» قد خلص الانسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه ، ويصورون «فيشنو» مصلوبا متقوب اليدين والرجلين وعلىقميصه صورة قلب الانسان معلقا ٠ـ ويعتقد البوذيون مثل ذلك فى بوذا ، حتى انهم ليسمونه المسيح ، والمولود الوحيد ، ومخلص العالم ٠ ويقولون انه اله كامل تجسد بالناسوت ، وانه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ٠

- ١١ -

نشأة اختلافات فرعية بين طوائف المسيحيين فى مسائل العقيدة

تقرر التثليث اذن فى الديانة المسيحية على الوجه الذى سبق بيانه ، وأجمع على اعتناقه المسيحيون جميعا ٠ غير أنهم مع اجماعهم على هذه العقيدة ، قد اختلفوا فيما بينهم فى أمور فرعية أخرى من عقائدهم وانقسموا الى طوائف كثيرة ، وأعطت كل طائفة لنفسها ، نتيجة لهذا الاختلاف ، لقبا خاصا بها ٠ ولكنها ما كانت تخرج فى ذلك عن أحد لقبين وهما الكاثوليكية والأرثوذكسية (٨٧).

فاختلفوا فى طبيعة المسيح : هل طبيعته طبيعة واحدة لأنه اله ، أم ان له طبيعتين طبيعة الاهية وطبيعة انسية لأنه ابن الله وابن الانسان معا (فقد جاء من مريم ، ومريم من البشر) فيكون بذلك قد اجتمع فيه اللاهوتبالناسوت على حد تعبيرهم ٠

وقد أخذت بالمذهب الأول ، وهو أن للمسيح طبيعة واحدة ، وهى الطبيعة الالاهية ، ثلاث كنائس صغيرة من الكنائس التى سمت نفسها الأرثوذكسية :

(٨٧) كلمة كاثوليك Catholique مأخوذة من كلمة يونانية Katholikos بمعنى العام أو العالمى أى أنها الديانة العامة العالمية . وكلمة أرتودكس Ortodoxe مأخوذة من كلمتين يونانيتين وهما orthos بمعنى الحق أو المستقيم و doxa بمعنى الرأى أو المذهب ، فمعناها المذهب الحق أو المستقيم ٠ وقد جاء انشعاب المسيحيين الى هاتين الطائفتين نتيجة لاختلافهم فى الأمور الفرعية المتصلة بالعقيدة وفى أمور أخرى تتصل بالشرائع والعبادات ٠ وسنعرض فى هذه الفقرة لأهم وجوه الخلاف بينهم فى فروع العقيدة ، وفى الفقرة التالية لأهم وجوه الخلاف بينهم فى الشرائع والعبادات ٠

احداها الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة (وتسمى نفسها كذلك الارثوذكسية المرقسية نسبة الى الرسول مرقس صاحب الانجيل ، لأن بطاركتها يعتبرون أنفسهم خلفاء لهذا الرسول ، ورئيسها الراحل هو البابا كيرلس السادس ، رئيس الكرازة المرقسية وبطريرك مصر واثيوبيا ومعظم مناطق أفريقيا - ومع أن مسيحيي الحبشة خاضعون لرياسة الكنيسة المصرية المرقسية فانهم قد استقلوا أخيرا بعض الاستقلال فى شئونهم الدينية) ؛ وثانيها الكنيسة الأرثوذكسية السريانية التى يرأسها بطريرك السريان ويتبعها كثير من مسيحيي آسيا ؛ وثالثتها الكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية . ومع أن الأرمن يتفقون مع الكنيستين السابقتين فى القول بالطبيعة الواحدة للمسيح فانهم يختلفون عنهما فى بعض التقاليد والطقوس ، ولهم بطاركة يرأسونهم ، ولا يندمجون مع الكنيسة السريانية ولا مع الكنيسة المصرية . وبذلك انفصلت هذه الكنائس الثلاث عن بقية كنائس المسيحيين . وقد لخص هذا المذهب صاحب كتاب « خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر » فى العبارة الآتية : « ان كنيستنا المستقيمة الرأى (هذه ترجمة لكلمة الأرثوذكسية) ، ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية والسريانية الأرثوذكسية تعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم ، أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس ، وأن الأقنوم الثانى أقنوم الابن تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء ، مصيرا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال . وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة » .

وقد أقر هذا المذهب معظم المجتمعين فى مجمع افسوس الثانى Ephèse الذى انعقد فى منتصف القرن الخامس الميلادى ، واكتسب قوة بعد أن انتصر له فى القرن السادس الميلادى داعية قوى الحجة ، بليغ الأثر ، جرىء فى الجهر برأيه ، اسمه يعقوب البرادعى Jacob Barados ، حتى لقد أطلق على هذا المذهب اسم اليعاقبة أو اليعقوبيين ، وان كان هذا المذهب قد نشأ قبل ظهور يعقوب البرادعى بأمد طويل ، ولا أدل على ذلك من أنه قد أخذ بهذا الرأى معظم المجتمعين فى مجمع افسوس الثانى الذى انعقد فى منتصف القرن الخامس الميلادى كما تقدم .

وأخذت بالمذهب الآخر ، وهو أن للمسيح طبيعتين طبيعة الاهية وطبيعة انسية ، أى اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت ، جميع الكنائس الأخرى . وقرر هذا المذهب فى صورة حاسمة فى مجمع خليكدونية Calcédoine المنعقد سنة ٤٥١ ، فقد انتهى هذا المجمع بعد خلاف كبير بين أعضائه الى القول بأن للمسيح

طبيعتين لا طبيعة واحدة ، وأن الألوهية طبيعة وحدها والناسوت طبيعة وحده التقتا فى المسيح . ويلخص ابن البطريق قرار مجمع خليكدونية اذ يقول : « قالوا ان مريم العذراء ولدت الاها ربنا يسوع المسيح الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الالاهية ومع الناس فى الطبيعة الانسانية وشهدوا أن المسيح طبيعتان وأقنوم واحد ووجه واحد ... ولعنوا المجمع الثانى الذى كان بافسوس » (أى مجمع افسوس الثانى الذى قرر معظم أعضائه أن المسيح طبيعة واحدة كما سبق بيان ذلك ، وتسميه الكنيسة الكاثوليكية « مجمع اللصوص ») .

وقد انتصر لمذهب ازدواج الطبيعتين الامبراطور الرومانى ، بل انه هو الذى عمل على اجتماع مجمع خليكدونية لينتهى الى تقرير هذا الرأى فى صورة حاسمة . ومن ثم يطلق على هـذا المذهب اسم المذهب الملكى أو الملكانى نسبة الى الملك أى امبراطور روما . وقد أخطأ الشهرستانى اذ قرر أن هذا المذهب ينسب الى شخص اسمه «ملكا» (٨٨) .

ومن قبل مجمع خليكدونية كان هذا المذهب قـد تقرر ، وان لم يكن فى صورة حاسمة ، فى مجمع آخر هو مجمع افسوس الأول الذى انعقد سنة ٤٣١م للفصـل فى أمر نستور وبدعتـه (وكان نستور هـذا Nestorius بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨ م ومكث فى هذا المنصب أربع سنين وشهرين) . فقد ذهب نستور الى القول بأن مريم العذراء لم تلد الالاه ، بل ولدت الانسان فقط ، ثم اتحد ذلك الانسان بعد ولادته بالأقنوم الثانى اتحادا مجازيا لأن الالاه وهبه المحبة والنعمة فصار بمنزلة الابن . فللقضاء على هذا المذهب الذى ينكر ألوهية المسيح من أصلها وان كان يقول بالأقانيم الثلاثة انعقـد مجمع افسوس الأول سنة ٤٣١ وقرر لعن نسـتور وطرده ، وكتب معظم أعضـائه صحيفة قرروا فيها أن « مريم العذراء ولدت الاهنا وربنا يسوع المسيح ، وأن المسيح الاه حق وانسان ذو طبيعتين » .

غير أن النسطوريين قد انحازوا فى عصورهم الأخيرة الى الرأى القائل بامتزاج اللاهوت فى الناسوت ، أى الى القول بالطبيعتين ، فانحرفوا بذلك عن المذهب الأصلى لزعيمهم ، وأصبحوا متفقين فى ذلك مع الكنيسة الكاثوليكية . ويقيم معظمهم الآن فى بلاد العراق والموصل .

---

(٨٨) انظر ص ٢٢٢ من الجزء الأول من الشهرستانى « الملل والنحل » طبعة مصطفى الحلبى سنة ١٩٦١ ، وانظر تعليقنا بصفحة ٧٥٢ من الجزء الثانى من مقدمة ابن خلدون طبعة لجنة البيان العربى .

وقد ظلت الكنائس التى تقول بالطبيعتين متحدة فى جمع آرائها المتعلقة بشخص المسيح الى أن ظهر فى القرن السابع الميلادى (سنة ٦٦٧) يوحنا مارون ، فذهب الى أن المســيح ، مع أنه ذو طبيعتين ، له مشيئة واحدة وارادة واحدة. وهى المشيئة الالاهية والارادة الالاهية ، لالتقاء الطبيعتين فى أقنوم واحد الاهى وهو الابن أو الكلمة • وقد شايعه فى هذا الرأى بعض مسيحيى آسيا • ولم ترق هذه المقالة فى نظار بابوات روما ورؤساء الكنيسة الكاثوليكية ، فأوعزوا الى الأمبراطور أن يجمع مجمعا ليقرر أن المسيح ذو طبيعتين وذو مشيئتين بعد أن استوثقوا من أن الأمبراطور يشـاركهم هـذا الرأى ، فاجتمع لذلك مجمع القسطنطينية السادس سـنة ٦٨٠ م وكان مؤلفا من ٢٨٩ أسـقفا وانتهى الى اصدار قرار بكفر يوحنا مارون ولعنة وطرده وكفر كل من يقول بالمشيئة الواحدة ، وقرر « أننا نؤمن بأن الواحد من الثالوث الابن الوحيد هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الآب الالاه فى أقنوم واحد ووجه واحد ، يعرف تاما بناسوته تاما بلاهوته فى الجوهر الذى هو ربنا يسوع المسيح ، بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين فى أقنوم واحد ••• فهو ما يشبه الانسان أن يعمله فى طبيعته وما يشبه الالاه أن يعمله فى طبيعته ••• وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها بمشيئتين غير متضادتين » •

وقد نزلت بعد ذلك بأصحاب المذهب المارونى القائل بالمشيئة الواحدة اضطهادات شـــديدة ، فأخذوا يفرون بدينهم من بلد الى بلد الى أن انتهى بهم المطاف فى جبل لبنان ، واشتهروا بلقب المارون • وظلوا مستقلين فى شئونهم الدينية الى أن قربتهم اليها كنيسة روما فأعلنوا فى سنة ١١٨٢ الطاعة لها مع بقائهم على مذهبهم القائل بالمشيئة الواحدة • ولا تزال هذه الطائفة متوطنة فى جبل لبنان ، وان كان قد هاجر منها عدد كبير الى قارة أمريكا وغيرها ، ولها بطريرك خاص ، وان كان يقر بالرياسة لبابا الكنيسة الكاثوليكية بروما •

وقد ظلت الطوائف القائلة بالطبيعتين والمشيئتين متفقة فى آرائها الى أن نشب بينها فى منتصف القرن التاسع خلاف بشأن الأقنوم الذى انبثق منه روح القدس • فذهب بعض الطوائف الى أن انبثاق روح القدس كان من الآب وحده ، وذهب بعضها الآخر الى أن انبثاقه كان من الآب والابن معا •

وكان على رأس المنادين بالرأى الأخير ، وهو أن روح القدس منبثق من الآب والابن معا ، رئيس كنيسة روما • وقد عقد لذلك فى سنة ٨٦٩ مجمعا

فى القسطنطينية ، وأصدر هذا المجمع قرارا بأن روح القدس مبثق من الآب والابن معا · واشتهر هذا المجمع باسم « المجمع الغربى اللاتينى » ·

وكان على رأس المنادين بالرأى الأول ، وهو أن روح القدس منبثق من الآب وحده ، بطريرك القسطنطينية ، وقد عقد بدوره مجمعا آخر فى القسطنطينية سنة ٨٧٩ ، وأصدر هذا المجمع قرارا بأن روح القدس منبثق من الآب وحده · واشتهر هذا المجمع باسم « المجمع الشرقى اليونانى » ·

وكان ذلك سببا فى انقسام الكنائس القائلة بالطبيعتين والمشيئتين الى كنيستين رئيسيتين :

(احداهما) الكنيسة الشرقية اليونانية ويقال لها كذلك الكنيسة الشرقية فقط وكنيسة الروم الأرتودكسية ، وهى التى يذهب أتباعها الى أن روح القدس منبثق عن الآب وحده · والمشايعون لها أكثرهم فى الشرق وبلاد اليونان وتركيا وروسيا والصرب وغيرها ، ولهم بطاركة أربعة : أولهم بطريرك القسطنطينية وهو كبيرهم ؛ ويليه بطريرك الاسكندرية للروم الأرتودكس ؛ ثم بطريرك أنطاكية ؛ ثم بطريرك أورشليم · وثم مناطق تخضع للكنيسة الشرقية وتخضع لمجامع وأسقفيات مستقلة كالمجمع الروسى ، وأسقفية أثينا وأسقفية قبرص (التى يتولى رياستها الآن الأسقف مكاريوس ، وهو فى الوقت نفسه رئيس الدولة) ·

(وثانيهما) الكنيسة الغربية اللاتينية ، ويقال لها كذلك الكنيسة الغربية فقط ، وكنيسة روما ، والكنيسة الكاثوليكية ، وقد تسمى كذلك الكنيسة البطرسية أو كنيسة بطرس لأن مشايعيها يعتقدون أن مؤسسها هو الرسول بطرس كبير الحواريين ، وأن باباواتها خلفاؤه من بعده (ورئيسها فى الوقت نفسه رئيس دولة الفاتيكان) ، وهى التى تذهب الى أن روح الدس منبثق عن الآب والابن معا · والمشايعون لهذه الكنيسة أكثرهم فى الغرب فى بلاد ايطاليا وفرنسا وبلجيكا واسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية وبلاد أخرى كثيرة · وحتى فى البلاد التى يتبع معظم أهلها كنيسة الروم الأرتودكسية يوجد مسيحيون كاثوليك يتبعون كنيسة روما ويرأسهم بطاركة كاثوليك خاضعون لرياسة بابا روما · وحتى فى مصر نفسها يوجد مسيحيون كاثوليك يتبعون هذه الكنيسة ويرأسهم بطريرك (ورئيسهم الحالى الكردينال أسطفانوس الأول سيداروس بطريرك الأقباط الكاثوليك) · — ويبلغ عدد الكاثوليك التابعين لهذه الكنيسة الآن زهاء ستمائة مليون ·

ولما أحيط به رئيس كنيسة روما من تقديس بين مشايعيه وعند الملوك ورؤساء الدول ، ولكثرة معتنقى مذهبه ، تتساهل الكنيسة الشرقية فتعترف له بالتقدم لا بالسلطان . - وتتابع كنيسة روما فى عهد رئيسها الحالى ما سار عليه رئيسها السابق من العمل على التقريب بين الكنائس المسيحية جميعا وخاصة بينها وبين الكنيسة الشرقية التى تعتبر أكبر كنيسة بعد كنيسة روما . وقد عقد بابا روما الحالى سنة ١٩٦٣ مجمعا مسكونيا كان من أهم أغراضه تحقيق الوحدة المسيحية والتقريب بين كنائس المسيحيين ، وخاصة بين الكنيستين الكبيرتين الغربية والشرقية .

وخلاصة ذلك أن الكنيسة الأرتودكسية فى مصر والحبشة والكنيستان الأرتودكسيتان الأرمنية والسريانية قد انفصلت عن بقية الكنائس لقولها بالطبيعة الواحدة للمسيح (طبيعة واحدة الاهية) وأن كنيسة المارونيين بلبنان قد انفصلت كذلك عن بقية الكنائس لقولها بالمشيئة الواحدة أى ان المسيح وان كان له طبيعتان ليست له الا مشيئة واحدة هى المشيئة الالهية ، وأن من عدا هؤلاء وأولئك من طوائف المسيحيين يقولون بالطبيعتين والمشيئتين ، وهم القسم الأكبر من المسيحيين .

غير أنهم مع اتفاقهم فى القول بالطبيعتين والمشيئتين قد اختلفوا فيما يتعلق بالأقنوم الذى انبثق منه روح القدس أهو الآب وحده أم الآب والابن معا . وانقسموا لذلك الى كنيستين : الكنيسة الشرقية اليونانية أو كنيسة الروم الأرتودكس التى يقول أتباعها بانبثاق روح القدس عن الآب وحده ؛ والكنيسة الغربية اللاتينية التى يقول أتباعها بانبثاق روح القدس عن الآب والابن معا .

- ١٢ -

اختلاف فرق المسيحيين

فى مسائل الشرائع والعبادات

هذا ، وكان كل خلاف يحدث بين فرق المسيحيين فى هذه الأمور الفرعية المتصلة بالعقائد يصحبه وينضم اليه بمرور الزمن خلاف فى بعض الأمور المتصلة بالشرائع والعبادات .

فمن ذلك مثلا أن الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية قد تجاوز شئون العقيدة السابق ذكرها الى أحكام العبادة والتشريع ، وشمل اختلافهما فى هذه الأحكام أمورا كثيرة نذكر من أمثلتها ما يلى :

١ — حافظت الكنيسة الشرقية فيما يتعلق بالمحرمات من المأكولات على الرأى الذى استقر عليه مجمع أورشليم الأول المنعقد بعد رفع المسيح بنحو اثنتين وعشرين سنة والذى أشرنا اليه فيما سبق(٨٩) فحرمت الدم ولحم المنخنقة ، بينما أجازتهما الكنيسة الغربية .

٢ — من عبادات المسيحيين ما يسمونه العشاء الربانى ، وهو الذى ورد ذكره فى الاصحاح السادس والعشرين من انجيل متى اذ يقول « وبينما هم يأكلون أخذ يسوع قطعة خبز ، وبعد أن باركها كسرها وأعطاها لتلاميذه وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدى ، ثم أخذ كأسا (من الخمر) وبعد أن باركها أعطاها لهم وقال اشربوا جميعا من هذه الكأس ، فهذا هو دمى دم العهد الذى يسفك من أجل كثير لمحو الخطايا (٩٠) » . وقد جرى المسيحيون على محاكاة هذا العشاء فى بعض أعيادهم على الأخص ، ويعتبرون ذلك من أهم عباداتهم .. وجرت العادة أن تعد الكنائس خبزا وخمرا بطقوس خاصة ليتناولهما المصلون . ويعتقدون أن الخبز والخمر قد أصبحا بعد اعدادهما على هذه الصورة أجزاء من جسد المسيح ودمه . فالخبز أصبح قطعة من جسده والخمر أصبح قطرات من دمه . وبذلك يمتزج لحم المسيح ودمه بلحم من يتناولهما وبدمه ، ويدعو تناولهما الى تذكر الرب وما حدث له لتخليص الانسانية من خطاياها واستحضار مجيئه يوم القيامة ومحاسبته للناس . فهو فى نظرهم امتزاج بالعنصر الالاهى من جهة وتذكر للماضى وتخيل واستحضار للمستقبل من جهة أخرى(٩١) . وبذلك يصرح القرار الذى صدر من مجمعى ترنت المنعقدين سنتى ١٥٤٥ و ١٥٦٣ Concile de Trente اذ يقول : « قد اعتقدت كنيسة الله دائما بأنه بعد

---

(٨٩) انظر ص ٧١ .

(٩٠) فقرات ٢٦ — ٢٨ من اصحاح ٢٦ من انجيل متى .

(٩١) يظهر أن قصة هذا العشاء محرفة عن قصة المائدة التى ذكرها القرآن الكريم اذ يقول : « اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » . — هذا وقد ورد فى انجيل متى (فقرات ١٥ — ٢١ من اصحاح ١٤) ذكر لمائدة أخرى كانت معجزة لعيسى . فقد بارك خمسة أرغفة وسمكتين فأكل منها خمسة آلاف رجل غير النساء والأطفال حتى شبعوا جميعا ، وملأ ما بقى من فضلات طعامهم اثنتى عشرة سلة . فلعل هذه المائدة الأخيرة هى التحريف لما ورد فى القرآن .

التقديس يوجد ربنا الحقيقى مع نفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر ٠٠٠ لأن يسوع المسيح هو بكماله تحت شكل الخبز وتحت أصغر أجزاء هذا الشكل ، كما أنه هو أيضا تحت شكل الخمر وجميع أجزائه ٠ وقد اعتقدت الكنيسة أيضا اعتقادا ثابتا بأنه تقديس الخبز والخمر يستحيل كامل جوهر الخبز الى جوهر جسد ربنا وكامل جوهر الخمر الى جوهر دمه ٠٠٠ » ٠

فالكنيسة الشرقية تحافظ على حرفية النص السابق فى انجيل متى فتوجب استخدام الخبز فى العشاء الربانى ؛ بينما تبيح الكنيسة الغربية استبدال الفطائر بالخبز ٠

٣ — ويحرم المذهب الكاثوليكى الطلاق تحريما باتا ، ولا يبيح فصم الزواج لأى سبب مهما عظم شأنه ٠ وحتى الخيانة الزوجية نفسها لا تعد فى نظره مبررا للطلاق . وكل ما يبيحه فى حالة الخيانة الزوجية هو التفرقة الجسمية — بحسب تعبيرهم — بين شخصى الزوجين séparation des corps مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية ، فلا يجوز لواحد منهما فى أثناء هذه الفرقة أن يعقد زواجه على شخص آخر ٠ ويعتمد المذهب الكاثوليكى فى ذلك على ما ورد فى انجيل متى على لسان المسيح اذ يقول : « لا يصح أن يفرق الانسان ما جمعه الله » ، على حين أن المذهب الأرثوذكسى يبيح الطلاق فى حالة الخيانة الزوجية من الزوج أو الزوجة مع تحريمه الزواج على المطلق والمطلقة بعد ذلك ٠ ويعتمد المذهب الأرتودكسى فى ذلك على ما ورد فى انجيل متى على لسان المسيح اذ يقول : « من طلق امرأته الا بسبب الزنا يجعلها تزنى » (٩٢)٠

— ١٣ —

المذهب البروتستانتى

فى أوائل القرن السادس عشر ظهر فى العالم المسيحى ، بجانب النحل السابق ذكرها ، نحلة جديدة أطلق عليها اسم البروتستانتية Protestantisme أى نحلة الاحتجاج أو الاعتراض وأطلق على معتنقيها اسم البروتستانت Protestants أى المحتجين أو المعترضين ٠ وقد دعا الى ظهور هذه النحلة أمور

---

(٩٢) عرضنا فيما سبق لهذا الموضوع وأوضحنا مبلغ مجافاة هذه الأحكام لشئون العمران ، انظر صفحتى ٨٩ ، ٩٠ . وقد درسنا هذا الموضوع بشىء من التفصيل مع الموازنة بين موقف المسيحية فى هذا الصدد وموقف الاسلام فى كتابنا « حقوق الانسان فى الاسلام » وفى كتابنا « بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق فى الاسلام » وفى كتابنا « المرأة فى الاسلام » ٠

كثيرة يرجع أهمها الى مظاهر الفســـاد التى بدت فى كثير من شئون الكنيسة الكاثوليكية ومناهجها وطقوسها ، وما أحدثته من بدع ، ومسلك قسيسيها والقوامين عليها ، والى تحكمها فى تفسير كل شىء ، ومحاولة فرض آرائها على جميع أتباعها حتى الآراء التى لا علاقة لها بالدين كالآراء المتعلقة بظواهر الفلك والطبيعة وشئون السياسة ونظم الحكم وما الى ذلك .

فمن ذلك ما اتخذه مجمع لاتيران الرابع المنعقد سنة ١٢١٥ Coincile de Latiran بشأن الهراطقة اذ أباح للكنيسة استئصالهم . وكانوا يعنون بالهراطقة كل من يرى رأيا يخالف رأى الكنيسة ولو كان فى أمور تتعلق بشئون السياسة ونظم الحكم أو بمسائل العلوم كظواهر الفلك والطبيعة والأحياء . وقد نفذ ذلك القرار بالفعل فى كثير من دعاة الاصلاح فى الدين وممن خالفوا آراء الكنيسة فى شئون السياسة ومسائل العلوم . فكان يحكم عليهم بالاعدام رجما أو حرقا ويحرق معهم ماعسى أن يكون لهم من بحوث ومؤلفات . وأنشىء لمحاكمة الهراطقة والمخالفين لآراء الكنيسة فى الشئون الدينية وغيرها وللمزاولين لأعمال السحر محــاكم خاصة اشتهر معظمها باسم « محاكم التفتيش » وراح ضحية تفتيشها وتحقيقاتها الغريبة آلاف من الأنفس أخذ معظمهم بالظنة والوشاية والكيد . وحتى الملوك أنفسهم لم يكونوا بمنجاة من هذا العسف . فقد حكمت الكنيسة على بعضهم بالطرد والحرمان لجنوحهم لمخالفتها والخروج على طاعتها فى بعض الشئون .

ومن ذلك ما سارت عليه كنيسة روما من فرض اتاوات وضرائب باهظة على التابعين لها . وما كان ينفق الا القليل من حصيلة هذه الاتاوات والضرائب على الشئون المســيحية العامة ، ومعظمه كان يتوزعه رجال الــكنيسة بينهم وينفقونه فى شئون ترفهم وشهواتهم .

ومن ذلك تحريم الكنيسة الكاثوليكية على القسس والرهبان والراهبات الزواج ، وما أدى اليه ذلك التحريم من انتشـــار الفسق والفجور بين رجالها ونسائها . حتى لقد كان القسس والرهبان يتصلون بالراهبات أنفسهن ويبررن ذلك بأنه ضرب من « المساكنة الروحية » .

ومن ذلك ما كانت تذهب اليه الكنيسة فى صدد « العشاء الربانى » من تفسيرات غريبة لا يسيغها عقل سليم ، اذ تزعم أن الخبز والخمر اللذين تعدهما ليتناولهما المصلون فى بعض الأعياد على الأخص يستحيلان الى أجزاء من جسم المسيح ودمه كما سبق بيان ذلك (٩٣) .

---

(٩٣) انظر صفحتى ١٢٠ ، ١٢١ .

ومن ذلك ما اتخذه أحد مجامعهم بشأن غفران الذنوب • فقد قرر أن من حق رجال الكنيسة الكاثوليكية أن يغفروا للمسيء ذنوبه فى حالة احتضاره وفى حالة صحته ، وأن يغفروا ما تقدم منها وما تأخر • وقد أفرط رجال الكنيسة الكاثوليكية افراطا كبيرا فى استخدام هذا الحق ، حتى لقد أنشئوا صكوكا للغفران تباع وتشترى ، واتخذتها الكنيسة موردا هاما لكسب المال ، فلم يستكثر الناس بذل الأموال فى الحصول عليها ما دامت تكفل لهم غفران ما ارتكبوه وما يرتكبونه من معاص وآثام • وفيما يلى نص هذا الصك الغريب :

« ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة • وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ، وكذلك من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة وان كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى ، وأمحو جميع أقذار المذنب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر (٩٤) ، وأردك حديثا الى الشركة فى أسرار الكنيسة ، وأقرنك فى شركة القديسين ، أردك ثانية الى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك (٩٥) ، حتى انه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة الى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى الى فردوس الفرح ، وان لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الأخيرة ، باسم الآب والابن وروح القدس » •

لهذه الأسباب وأسباب أخرى كثيرة من هذا القبيل ظهر فى القرن السادس عشر دعاة للاصلاح الدينى وتخليص المسيحية من هذه الأدران ، وتكونت من اصلاحاتهم نحلة جديدة هى النحلة البروتستانتية • وكان على رأس هؤلاء المصلحين مارتن لوثر الألمانى Martin Luther وزونجلى السويسرى Zwingli وكلفن الفرنسى Calvin •

أما مارتن لوثر (١٤٨٣ — ١٥٤٦) فهو أسبقهم جميعا واليه تنسب النحلة البروتستانتية أكثر مما تنسب الى غيره • وقد ثار فى أول الأمر ضد صكوك الغفران وأعلن بطلانها وكتب فى ذلك احتجاجا علقه على باب الكنيسة (ومن ثم سميت نحلته بالبروتستانتية أى نحلة الاحتجاج أو الاعتراض) • فأصدر

(٩٤) انظر شرح هذه الكلمة بصفحة ٩٣ •
(٩٥) انظر شرح هذه الكلمة فى آخر ص ٧٩ •

البابا قرارا بحرمانه واعتباره كافرا زائغ العقيدة . فلم يأبه لوثر لهذا القرار بل عمد الى الانذار الذى أرسل اليه فى هذا الصدد فحرقه فى ميدان من أكبر ميادين المدينة فى جمع حاشد من الناس . فجمع البابا سنة ١٥٢٠ مجمعا قرر محاكمته . فلم يذعن مارتن لوثر لهذا القرار . ولما حاول الامبراطور فى سنة ١٥٢٩ أن ينفذ هذا القرار ثار أنصار لوثر واحتجوا على ذلك (ومن ثم سمى أتباع هذه النحلة بالبروتستانت أى المحتجين) . وأخذ لوثر من ذلك الحين ينشر مبادئه المعارضة للكنيسة الكاثوليكية ، والتى تكونت منها النحلة البروتستانتية ، وأخذ الناس يدخلون فى نحلته أفواجا .

وأما زونجلى السويسرى (١٤٨٤ ـ ١٥٣١) فقد ظهر فى العصر نفسه الذى ظهر فيه لوثر ودعا الى كثير مما دعا اليه لوثر فى شئون الدين وثار على صكوك الغفران وغيرها من مفاسد الكنيسة الكاثوليكية وتبعه كذلك خلق كثير . ولكنه مات قتيلا فى أثناء صراع وقع بين أنصاره وأنصار الكنيسة الكاثوليكية . وكانت دعوته منفصلة عن دعوة لوثر وان التقت معها فى مبادئها .

وأما كلفن الفرنسى (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤) فقد قام بعد لوثر بالدعوة الى البروتستانتية ونشر مبادئها وألف فى ذلك بحوثا ورسائل كثيرة نشر معظمها بعد فراره الى جنيف بسويسرا . فاليه يرجع الفضل الأكبر فى تنظيم البروتستانتيه وتحرير مبادئها .

وقد انتشرت البروتستانتية فى كثير من بلاد العالم ويعتنقها الآن معظم أهل ألمانيا والدانمرك وسويسرا وهولندا والسويد والنرويج وانجلترا واسكتلنده وايرلنده الشمالية والولايات المتحدة الأمريكية ؛ وأخذت الآن ، بفضل جمعيات التبشير البروتستانتية وعظيم نشاطها وواسع امكانياتها المالية واخلاص رجالها لمبادئها ، تغزو كثيرا من معاقل الكاثوليكية والأرثوذكسية ، وتنتشر فى السودان الجنوبى وأواسط أفريقيا والصين واليابان .

هذا ، ولا تختلف البروتستانتية عن النحل السابقة فيما يتعلق بجوهر العقيدة . فهى مثلها تؤمن بالتثليث وألوهية المسيح وبنوته لله وصلبه وقيامته ورفعه وحسابه للعالم يوم القيامة وبأنه صلب لتكفير الخطيئة الأزلية التى ارتكبها آدم وعلقت بجميع نسله .. وما الى ذلك من الأمور التى استقرت عليها العقيدة المسيحية والتى أشرنا اليها فيما سبق . وانما تختلف البروتستانتية عن غيرها من النحل المسيحية بوجه عام وعن الكاثوليكية بوجه خاص فى أمور فرعية من أهمها ما يلى :

١ - تستمد البروتستانتية جميع الأحكام المتعلقة بالعقائد والعبادات والشرائع من الكتاب المقدس وحده ، ولاتقيم لغيره وزنا فى هذا الصدد الا اذا كان تفسيرا معقولا لما ورد فى هذا الكتاب ؛ على حين أن الكنائس الأخرى تستمد أحكامها من الكتاب المقدس ومن قرارات المجامع وآراء البابوات ورؤساء الكنائس • ومن ثم سميت الكنائس البروتستانتية الكنائس الانجيلية لاعتمادها على الانجيل خاصة وعلى سائر أسفار الكتاب المقدس بوجه عام ، بينما سميت الكنائس الأخرى الكنائس التقليدية لاعتمادها على التقاليد المستمدة من المجامع ومن آراء رؤساء الكنيسة وجعلها لهؤلاء الرؤساء سلطانا فى تقرير حقائق العقائد والعبادات والشرائع •

٢ - لا تقر البروتستانتية البابوية أو الرياسة العامة فى شئون الدين• ولذلك ليس لكنائسهم رئيس عام كما هو الشأن فى الكنائس الأخرى ، وانما تجعل لكل كنيسة بروتستانتية رياسة خاصة بها ، وليس لها الا سلطان الوعظ والارشاد والقيام على شئون العبادات والواجبات الدينية الأخرى وعلى تعليم مسائل الدين • ولا يسمون رجال الدين قسسا كما هو الشأن فى الكنائس الأخرى ، وانما يسمونهم « رعاة » Pasteurs لأنهم يرعون تابعى كنيستهم ويؤدون لهم ما يجب على الراعى أن يؤديه نحو رعيته من واجبات •

٣ - ليس فى البروتستانتية نظام الرهبنة ، وهى لا تحرم الزواج على رجال الدين كما تحرمه الكاثوليكية على جميع الرهبان والقسس بمختلف درجاتهم(٩٦)•

٤ - تنكر البروتستانتية كل الانكار أن يكون لرجل الدين الحق فى غفران الذنوب فى حالة الاحتضار وغيرها ، وانما تجعل ذلك الحق لله وحده ، فيقبل ان شاء توبة العاصى ويغفر له ما تقدم من ذنبه ، بل ان أهم ما اتجهت البروتستانتية فى نشأتها الى القضاء عليه هو ما كانت تزعمه الكنيسة الكاثوليكية لرجالها من السلطان فى محو الذنوب ، وما تبع هذا الزعم من نظام صكوك الغفران كما تقدم بيان ذلك (٩٧) •

٥ - تقرر البروتستانتية أن الغرض من أكل الخبز وشرب الخمر فى العشاء الربانى هو أن يكون وسيلة رمزية لتذكر ما قام به المسيح فى الماضى اذ قدم جسمه للصلب ودمه للاراقة لتخليص الانسانية من الخطيئة الأزلية ولتذكر

---

(٩٦) انظر فى ذلك كتابنا « قصة الزواج والعزوبة فى العالم » •
(٩٧) انظر فى أول هذه الفقرة الأسباب التى دعت الى قيام البروتستانتية•

ما سيقوم به يوم القيامة اذ يدين النـاس ويحاسبهم على ما كسبت أيديهم • وبذلك تنكر البروتستانتية كل الانكار ما تذهب اليه الكنائس الأخرى اذ تزعم أن ما تجريه على الخبز والخمر من طقوس يحولهما الى أجزاء من جسم المسيح ومن دمه كما تقدم بيان ذلك (٩٨) •

٦ ـ تنكر البروتستانتية انكارا باتا جميع ما تقيـمه الكنائس الأخرى للسيدة مريم أم المسيح من طقوس واحتفالات وعبادات وأعياد (٩٩) ، وتعتبر ذلك خروجا على أصول الدين •

٧ ـ تحرم البروتستانتية ما تسير عليه الكنائس الأخرى من وضع الصور والتماثيل فى أماكن العبادة واتجاه المصلين لها بالسجود ، معتمدة على تحريم التوراة لذلك وعلى أن شريعة موسى شريعة للمسيحيين الا ما ورد نص صريح من المسيح بنسخه أو تعديله • فقد جاء فى الاصحاح الخامس من سفر التثنية ، وهو من أهم الأسفار التشريعية فى التوراة المزعومة : « لا تجعل لك تمثالا منحوتا يمثل شيئا ما من ظواهر السماء من فوق أو مما فى الأرض من أسفل أو مما فى الماء من تحت الأرض ، ولا تسجد لهن ولا تعبدهن ، فاننى أنا الاهك الباقى الاه غيور أعاقب الأولاد بظلم الآباء حتى الجيل الثالث والرابع وأسبغ نعمتى على من يخلصون لى ويتبعون أوامرى وعلى ذريتهم من بعدهم الى ألف جيل» (١٠٠)

٨ ـ تحرم البروتستانتية أن تقام الصلاة بلغة غير اللغة المفهومة للمتعبد، كما تفعل الكنائس الأخرى اذ تقيمها بلغة ميتة كاللاتينية والقبطية (١٠١) •

---

(٩٨) انظر صفحتى ١٢٠ ، ١٢١ •
(٩٩) انظر صفحة ١٠٧ •
(١٠٠) فقرات ٨ ـ ١٠ من الاصحاح الخامس من سفر التثنية •
(١٠١) من أهم المراجع فى الموضوعات التى درسناها فى الفقرات الخمس الأخيرة من هذا الفصل (فقرات ٩ ـ ١٣) البحث القيم الذى نشره صديقنا العلامة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة تحت عنوان « محاضرات فى النصرانية » •

الفصل الثالث

أسفار الديانة الزرادشتية

سنمهد لهذا الفصل بفقرتين : نعرض فى أولاهما لشخصية زرادشت واختلاف الآراء بشأنها ، وفى الأخرى لتاريخ حياته ورسالته وانتشار دينه ٠

ثم نقف بقية فقرات هذا الفصل على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية (أسفار الأبستاق) وشروحها وما تقرره من عقائد وعبادات وشرائع وأخلاق ٠

- ١ -

شخصية زرادشت

يطلق العرب عليه اسم « زرادشت » ، وهو اسمه فى الفارسية الحديثة ٠ وكان اسمه في الفارسية القديمة (لغة الأسفار المقدسة المسماة «الأبستاق») زراتسترا Zarathoustra أو سبيتاما زراتسترا Spitama Zarathoustra (والراجح أن سبيتاما هو اسم أحد أجداده) ٠ ويسمى فى الفهلوية (الفارسية فى مراحلها المتوسطة) زراتشت ٠ ويسميه المسعودى فى كتابه «مروج الذهب» وابن النديم فى كتابه « الفهرست » زرادشت بن سبتمان ٠ ويسميه الفرنجة زوروآستر Zoroastre أخذا من اسمه في اللاتينية ٠- ويذكر « الأبستاق » (مجموعة الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية التى سنتكلم عليها فى الفقرة الثالثة) أن أباه كان يسمى بوراشاسب Pourashaspe وأن أمه كانت تسمى دغدهوا Doughd—Huova وتسمى فى الفهلوية دغدافو Doghdavo وفى الفارسية الحديثة دغدويه ٠

وقد اختلف الباحثون فى شخصية زرادشت ، وانقسموا فى صددها الى ثلاث فرق :

١ ـ ففريق ينكر وجوده ، ويقرر أنه شخصية أسطورية خيالية ، قد نسجت حولها طائفة من العقائد والتقاليد والشرائع والعبادات التى كان يسير عليها الايرانيون ٠ ولا يقدم هذا الفريق بين يدى مذهبه دليلا يعتد به ، بل

لقد دلت الكشوف الحديثة على بطلان هذا الرأى ، ولم يعد له وزن ما بين المحدثين من الباحثين ·

٢ - وفريق يرى أنه شخصية حقيقية ، وأنه هو ابراهيم الخليل الذى ورد ذكره فى التوراة والقرآن ، وأن أسفار « الأبستاق » هى صحف ابراهيم التى تحدث عنها القرآن الكريم (١) ·

وقد ساد هذا الرأى لدى كثير من الزرادشتين خاصتهم وعامتهم · فالأسدى فى كتابه «لغت فرس» يقول « الأبستاق تفسير الزند وكان الزند صحف ابراهيم » (٢) · ويقول صاحب « برهان قاطع » : « كان ابراهيم زرادشت يدعى أن الزند نزل عليه من السماء ، ويقول بعضهم أنه صحف ابراهيم»(٣)

ولعل التشابه بين ما تذكره الكتب المقدسة عن حياة ابراهيم وما تذكره التراجم والأساطير الفارسية عن حياة زرادشت ، وخاصة ما يتعلق باتجاه كليهما الى التأمل فى كواكب السماء وملاحظة بزوغها وأفولها والانتهاء من هذا التأمل وهذه الملاحظة الى أن كائنات هذا شأنها لا يمكن أن تكون آلهة (٤) ، وما يتعلق بمحاربة كليهما لما كان يعكف عليه قومه من عبادة الكواكب وما يمثلها

---

(١) « ان هذا لفى الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى » آخر آية من سورة الأعلى ·

(٢) يجعل الأسدى الأبستاق تفسيرا للزند ، مع أن الأمر على العكس من ذلك ، فالزند هو شرح الأبستاق كما سيأتى بيان ذلك فى الفقرتين الثالثة والرابعة من هذا الفصل ·

(٣) يخلط صاحب هذا الكتاب بين «الأبستاق» و «الزند» · فالكتاب الأصلى الذى يزعم الزرادشتيون أنه نزل من السماء هو «الأبستاق» وأما الزند فهو شرح للأبستاق كما سيأتى بيان ذلك · انظر الدكتور أمين عبد المجيد : « القصة فى الأدب الفارسى » ٣٦ ، ٣٧ ·

(٤) أشار القرآن الكريم الى هذه التأملات والملاحظات اذ يقول : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين · فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين · فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون » (الأنعام ٧٥ - ٧٨) ·

ويرمز اليها من أصنام (٥) ، وما يتعلق بالقاء كليهما فى النار وجعلها بردا وسلاما عليه (٦) ، لعل التشابه بينهما فى هذه الأمور وما اليها هو الذى دعا هذا الفريق الى القول بأن زرادشت هو ابراهيم الخليل وأن الأبستاق هو صحف ابراهيم ٠

وليس لهذا الرأى أى سند يعتد به ، بل ان أدلة كثيرة تتضافر على القطع ببطلانه ٠ فمن ذلك أن زرادشت قد ظهر فى أصح الروايات فى القرن السابع قبل الميلاد ، على حين أن ابراهيم الخليل كان ظهوره حوالى القرن السابع عشر قبل الميلاد أى قبل زرادشت بنحو عشرة قرون ٠ ومن ذلك أن ابراهيم الخليل قد نشأ فى بلدة أور ببلاد الكلدان وأنه سامى الجنس ، على حين أن زرادشت قد نشأ بأذربيجان احدى مقاطعات ميديا فى بلاد ايران وأنه آرى الجنس ٠ ومن ذلك أن القرآن يحدثنا عن رحلة ابراهيم الى مكة واسكانه فيها ابنه اسماعيل وأمه هاجر وبنائه للكعبة ، بينما يدل تاريخ زرادشت على أنه لم يرحل الى بلاد الحجاز ولم تكن له صلة ما بمكة ولا بالبيت الحرام ٠

٣ ـ والرأى الصحيح هو ما يذهب اليه الفريق الثالث الذى يقرر أن زرادشت شخصية حقيقية وأنه غير ابراهيم الخليل ٠ وقد اختلف هؤلاء فى تحديد جنسيته وتحديد الزمن والمكان اللذين ظهر فيهما ٠ وأرجح الآراء فى هذا الصدد أنه ايرانى الجنس ، وأنه ولد فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد

---

(٥) أشار القرآن الكريم الى محاربة ابراهيم لعبادة الأصنام فى عدة سور منها قوله تعالى فى سورة الأنبياء : «ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ٠ اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ٠ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ٠ قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين ٠٠٠ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » (الأنبياء ٥١ ـ ٦٧) ٠ ومنها قوله تعالى فى سورة الصافات فى قصة ابراهيم : « اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ؟ أئفكا آلهة دون الله تريدون ؟ ٠٠٠ قال أتعبدون ما تنحتون ؟! والله خلقكم وما تعملون »(الصافات ٨٥ ـ ٩٦) . ومنها قوله تعالى فى سورة الأنعام : « واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة !! اننى أراك وقومك فى ضلال مبين » (الأنعام ٧٤) ٠

(٦) ذكر القرآن الكريم قصة القاء ابراهيم فى النار وجعلها بردا وسلاما عليه فى سورة الأنبياء اذ يقول : « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ٠ قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم ٠ وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين » (الأنبياء ٦٨ ـ ٧٠) ٠ وفى سورة الصافات اذ يقول : « قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم ٠ فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين » (الصافات ٩٧ ، ٩٨) ٠

حوالى سنة ٦٦٠ قبل الميلاد بأذربيجان احدى مقاطعات ميديا على مقربة من بحيرة أورميا ، وأنه قد هاجر منها الى بختر فى شرقى ايران فى مرحلة شبابه ، وأنه مات قتيلا فى بيت من بيوت النار فى بلخ حوالى سنة ٥٨٣ عندما أغار عليها الطورانيون • وقد اعتمد أصحاب هذا الرأى على أدلة تاريخية كثيرة يكاد بعضها يصل الى درجة اليقين • وفى مقدمة المنتصرين لهذا الرأى من العلماء المحدثين دارمستيتر وهوارت من الفرنسيين وويست الانجليزى وجاكسون الأمريكى(٧)
Darmesteter, Huart. West, Jackson.

ولا يعتد أحد من العلماء الباحثين فى الوقت الحاضر بما كان يزعمه اليهود — حسب ما يروى عنهم الطبرى وابن الأثير وغيرهما من مؤرخى العرب — من أن زرادشت كان من أهل فلسطين ، وكان من خاصة الخدم لبعض تلاميذ أرمياء النبى ، فخانه وكذب عليه ، فأصيب بالبرص ، وفر من فلسطين ، ولحق ببلاد أذربيجان ، وشرع بها دينه •

— ٢ —

حياته ورسالته وانتشار دينه

الراجح أن زرادشت ولد حوالى سنة ٦٦٠ قبل الميلاد بأذربيجان احدى مقاطعات ميديا على مقربة من بحيرة أورميا فى القسم الغربى من بلاد فارس كما سبقت الاشارة الى ذلك •

ويروى عن مولده وعن الفترة السابقة لمولده قصص وأساطير كثيرة يشبه بعضها ما يقوله المسيحيون عن المسيح وأن روح الله قد حلت فيه أو أنه أحد الأقانيم المكونة للالاه ، ويشبه بعضها ما حدث لابراهيم الخليل من القائه فى النار بدون أن يمسه منها ضرر ، ويقص بعضها نبأ حوادث كونية وفلكية وحيوانية غريبة كانت ارهاصا لبعثته وبشيرا بقرب ظهوره • فمن ذلك ما ترويه أساطير الايرانيين من أن ثورا قد ظهر قبل مولده وتكلم منبئا بقرب ظهور منقذ للعالم من سيطرة قوى الشر ، وتنسب أساطير أخرى هذه البشارة الى ثورين اثنين لا الى ثور واحد • ومن ذلك ما شاع اعتقاده عند قدامى الايرانيين من أن الله قد نفخ فى رحم أمه من روحه • فتقمصت روح الله جسد زرادشت ، فنشأ جامعا بين اللاهوت والناسوت ، على نحو ما يعتقده المسيحيون فى المسيح ، وأنه لما ولد أحاط بالدار التى ولد بها نور قدسى وهاج ، وهبط من السماء نجم

---

(٧) انظر حامد عبد القادر : « زرادشت الحكيم » ٢٨ — ٣١ •

عظيم ودنا من الأرض وأعلن النبأ السار ، وظهر في عرض الأفق في السماء كوكب عظيم ملأ ضياؤه جميع أنحاء الفضاء ، وأنه قد ضحك عقب ولادته بصوت مرتفع سمعه جميع الحاضرين ، وكان المنجمون قد أخبروا حاكم أذربيجان أن نبيا سيظهر قريبا وأنه سيتم على يديه الغاء دين الفرس وابطال السحر وأنه ستبدو منه أمور خارقة للعادة عقب ولادته ، ولما سمع الحاكم بولادة زرادشت وأنه ضحك عقب ولادته ذهب في طلبه الى دار أبيه بوراشاسب وهم بقتله بخنجره ، ولكن يده قد جمدت ولم تستطع تحريك الخنجر ، فأشار عليه السحرة بأن يبني بنيانا كبيرا ويملأه وقودا ويشعل فيه النار ويلقي فيه زرادشت ، فانفذ ما أشاروا به ، ولكن النار لم تحرق الطفل ، بل كانت بردا وسلاما عليه ، وأخذته سنة من النوم فنام في وسط الرماد ، وما برح نائما حتى جاءت أمه مستخفية على حين غفلة من الناس فحملته الى دارها سليما (٨) .

ولما بلغ زرادشت العشرين من عمره أحس رغبة شديدة في الوقوف على حقيقة الكون وخالقه ومحتويات الطبيعة وما وراءها ، فآثر العزلة والرياضة الروحية والتأمل العميق في ملكوت السماوات والأرض ، لتصفو روحه ، ويوقن بقدرة الاله ، وتتطهر نفسه من جميع عقائد الشرك والسحر ونسبة الأفعال للكواكب والمخلوقات ، وتتهيأ لتلقي الاشراق والاهتداء الى معرفة الحق ، وأخذ يطوف بمختلف بلاد ايران لتزداد تجاربه وتزداد معرفته بالمجتمعات وشئون حياتها . وقد استغرقت هذه المرحلة عشر سنين ، فبلغ في نهايتها الثلاثين من عمره ، وكان حينئذ قد وصل الى أرقى درجات الصفاء الروحي .

وتروي أسفار الديانة الزرادشتية أنه حينما بلغ هذه المرحله نزل عليه الوحي من السماء . فبينما هو واقف على شاطيء نهر ديتي Daiti في مقاطعة أذربيجان اذا به يرى كائنا مضيئا يهبط من السماء ، وكأنه عمود من نور ، حجمه تسعة أمثال حجم الانسان ، ويحمل في يده عصا من اللهب ، ولما دنا منه أنبأه أنه فاهومانا Vahumana كبير الملائكة أرسله الله اليه ليعرج به الى الملأ الأعلى ليحظى بشرف المثول أمام رب العالمين « أهورا مزدا » . وهنالك أشرقت عليه معرفة الحق ، وتكشفت له أسرار الكون ، ورفعت عن بصره الحجب ، ووقف على ما كان يسعى للوقوف عليه وأصبح نبيا مرسلا ، وأوحى الله اليه بتفاصيل دين كامل يبلغه الخلق ، وبكتاب مقدس هو « الأبستاق » الذي سنتكلم عليه في الفقرة الثالثة من هذا الفصل .

---

(٨) حامد عبد القادر ، زاردشت الحكيم ٣٦ ـ ٣٩ .

وقضى زرادشت عشر سنين يطوف فيها ببلاد ايران ، ويبلغ الناس رسالته، بدون أن يجد مستجيبا لما يدعو اليه • وقد قاسى فى أثنـاء ذلك من المتاعب والأهوال ما لا يصبر على احتمال مثله الا أولو العزم من الرسل • ولما لم يظفر فى بلاده بأتباع يدخلون فى دينه رحل الى بلاد الطورانيين ، فلم يجد منهم خيرا مما وجده من أهله ، بل لقد كانوا شرا عليه من أهله ، فقد لقى منهم عنتا وأذى شديدين ، بل لقد تعرض للهلاك أكثر من مرة •

ولم يودعه أهورا مزدا ولم يحرمه عنايته فى هذه المـدة ، بل ظل يؤيده ويقوى عزيمته ويربط على قلبه ، ويثبت عقيدته بالوحى المتوالى ، ويعده بأن الآخرة ستكون خيرا له من الأولى وأن ربه سوف يعطيه حتى يرضى • وقد نزل عليه الوحى فى أثناء هذه السنين العشر سبع مرات ظهر له فيها الملائكة الستة كبار الملائكة •

وفى السنة الحادية عشرة بعد نبوته أى حينما جاوز الأربعين من عمره بدت فى أفقه طلائع النجاح، فآمن به ابن عمه متيوماه Metyomah ، وانتصر لدينه، فشد الله به أزره ، وقوى به دعوته •

ومضت سنتان بعد ذلك لم يؤمن به فى أثنائهما أحد ، وان كانت محتويات رسالته قد انتشرت وأصبحت معروفة لكثير من الناس •

وبعد أن بلغ الثانيـة والأربعين أوحى الله اليـه أن يذهب الى كشتاسب (أو يوشتاسف أو يستاسف كما يسميه العرب) ملك ايران حينئـذ ليبلغه رسالة ربه لعله يتذكر أو يخشى • فصدع بما أمر به ، وشخص الى عاصـمة الملك ببلخ ، ودعا الملك الى الدخول فى دينه ، بعد أن وقفه على أصوله ، وتلا عليه آيات من كتابه المقدس الذى أوحى اليه به • فتأثر الملك بما سمع ورق قلبه لهذا الدين وان كان لم يدخل فيه ، وأنزل زرادشت منزلا كريما ، وأحاطه بحفاوة عظيمة ، وأعد لاقامته جناحا خاصـا فى قصره زوده بفـاخر الأثاث والرياش والخدم والأتبـاع • ويروى الطبرى وابن الأثير وغيرهما من مؤرخى العرب أن المجوس يزعمون أنه نزل على الملك كشتاسب من سقف ايوانه وبيده كبة من نار يلعب بها ولا تحرقه •

وقد أثارت حفاوة الملك بزرادشت حسد كثير من رجال الحاشية والمقربين للملك ، فأخذوا يأتمرون بزرادشت ، ويسعون ضده بالوشاية ، ويدبرون له المكايد ، ويتربصون به الدوائر • ولكن انتهى الأمر بعد محن كثيرة أصابت زرادشت

بانتصاره على أعدائه واقامة الحجة عليهم واثبات نبوته بظهور معجزات كثيرة على يديه وابرائه الأمراض وعاهات يعجز الطب العادى عن شفائها . فمن ذلك شفاؤه لجواد الملك كشتاسب • فقد كان لهذا الملك جواد أسود يحبه ويعتز به ، وأصابه مرض تقلصت من جرائه قوائمه الأربع جميعا ودخلت فى بطنه ولم يظهر منها الا أطرافها ؛ وعجز جميع بياطرة الدولة عن علاجه ، فأشير على الملك أن يعرضه على زرادشت ، وكان حينئذ سجينا ، فأخرجه من السجن وطلب اليه أن يدعو ربه أن يبرىء الجواد من مرضه ، فاشترط زرادشت لذلك أربعة شروط، وهى : أن يؤمن الملك والملكة برسالته ؛ وأن يعلن الملك الحرب على الطورانيين ؛ ويكون ولى العهد على رأس جيشه ؛ وأن يعاقب من تسببوا فى سجن زرادشت عقابا صارما • فقبل الملك شروطه ، وكان كلما حقق شرطا منها توجه زرادشت بالدعاء الى ربه فتخرج احدى قوائم الجواد من بطنه ، وهكذا حتى خرجت قوائمه كلها ، وعاد كأن لم يكن قد أصابه شىء من قبل • ومن ذلك أيضا أنه أعاد البصر الى أعمى من بلدة الدينور بأن وصف له حشيشة وطلب أن يعصر ماؤها فى عينيه فأبصر (٩) •

فآمن الملك والملكة وولى العهد وتبعهم رجال الحاشية والجيش والخاصة • « وكان فى مقدمة من اعتنقوا الدين الجديد من حاشية الملك رجلان قدر لهما أن يكونا الحواريين العظيمين المخلصين للزرادشتية ، المجاهدين فى سبيل نشرها والدفاع عنها ، وهما « جاماسب » وزير الملك ونجيه « وفراشا أوسترا » وزير الملك الثانى • وقد رأى زرادشت أن يوثق الصلة بينه وبين حاشية الملك بايجاد رابطة نسب بينه وبين هذين الحواريين • فزوج أخته من « جاماسب » ، وتزوج هو من أخت « فراشا أوسترا » • فحين انضمت رابطة النسب الى رابطة الدين توثقت العلاقة بين درادشت ووزيرى الملك • ولا ريب أن هذا كان من أسباب سرعة انتشار الزرادشتية » (١٠) •

وأخذ الناس بعد ذلك يدخلون فى هذا الدين أفواجا ، ولم تمض بضع سنين

---

(٩) من الطريف أن الشهرستانى لا يسلم بأن هذه معجزة ، بل يرى أنها خاصة من خواص الحشائش التى عصر ماؤها ، فيقول : « وهذا من جملة معرفته بخاصة الحشيش وليس من المعجزات فى شىء » !! مع أنه من الواضح أن الرابطة بين الحشيش والابصار فى هذا الحادث — ان صحت هذه القصة — ليست على ما يظهر رابطة سبب بمسبب ، بل مجرد مصاحبة اتفاقية ، كضرب قتيل بنى اسرائيل بجزء من البقرة المذبوحة وبعثه الى الحياة بعد هذه الضربة • ولو أن شخصا آخر غير زرادشت وصف هذا الاجراء ما أدى الى هذه النتيجة •

(١٠) حامد عبد القادر ، زرادشت الحكيم ، ص ٥٧ •

حتى اعتنق الزرادشتية معظم أهل ايران ، بل يقال أنه قد دخل فى هذا الدين كثير من أهل البلاد المجاورة لايران ، وخاصة بعض بلاد من الهند ، بل يقال انه انتشر كذلك فى بعض بلاد اليونان نفسها .

وشن كشتاسب ورجال دولته حربا دينية لا هوادة فيها على مخالفيهم فى العقيدة . فاضطر فريق ممن لم يؤمنوا بزرادشت ودعوته الى الهجرة عبر جبال هندوكوش ونزلوا أرض البنجاب ، وبقى الفريق الآخر بايران نفسها محتملين آثار الاضطهاد (١١) . ولم تصبح الزرادشتية ديانة رسمية للدولة الا أيام الساسانيين فى القرن الثالث الميلادى . ولكنها على الرغم من ذلك لم تكن عقيدة الايرانيين عامة ؛ بل كانت تقوم الى جانبها وتتصارع معها عقائد شتى تعتنقها أقليات من الايرانيين ؛ ومن أهم هذه العقائد اليهودية والبوذية والنصرانية والمانوية والمزدكية . ثم جاء الاسلام فدخل فيه معظم أهل ايران ولم يبق على الزرادشتية الا نفر قليل هاجر بعضهم الى بلاد الهند ولا تزال منهم فى الوقت الحاضر طائفة فى بومباى تعرف بالفرسيين وتتمسك بهذا الدين الى يومنا هذا ، وبقيت فئة منهم فى فارس تقيم شعائر دينها وتوقد النار فى المعابد فى كثير من الولايات الفارسية . وعاشت هذه الفئة مع الأقليات الدينية الأخرى فى أمان واطمئنان فى ظل المسلمين . ثم أخذ أتباع الزرادشتية فى ايران يتناقص عددهم شيئا فشيئا منذ القرن الثالث الهجرى حتى أوشكوا على الانقراض ولم يبق منهم فى العصر الحاضر الا عدد قليل .

***

هذا ، وقد قضى زرادشت نحبه حوالى سنة ٨٥٣ قبل الميلاد على أرجح الأقوال وهو فى نحو السابعة والسبعين فى أحد الهياكل المقدسة فى بلخ . ومات قتيلا وهو يقوم على خدمة النار فى أثناء غارة الطورانيين على بلاد ايران . فقد وصلوا الى بلخ بينما كان زرادشت وثمانون من كبار الكهنة يقدمون الوقود للنار فى هيكل هذه المدينة ، فهجم عليهم الأعداء وطعنوهم بسيوفهم ، فخر الجميع صرعى ، وسالت دماؤهم فلطخت جدران موقد النار، وامتدت الى النار المقدسة نفسها فأخمدتها .

---

(١١) أمين عبد المجيد ، القصة فى الأدب الفارسى ص ١٦ .

— ٣ —

الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية

« الأبستاق »

يطلق على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية اسم « الأبستاق » وهو تعريب لكلمة « الأفستا » Avesta (ومعناها الأساس أو الأصل أو المتن أو السند) • والمقررة في هذه الديانة أن الأبستاق موحى به من الاله المسمى عندهم « أهورا مزدا » وليس من وضع زرادشت •

وكان الأبستاق يشتمل على واحد وعشرين سفرا ، ، وكان مجموع الفصول التى تشتمل عليها هذه الأسفار ألف فصل • ويحوى تفصيلا لعقائد الديانة الزرادشتية وعباداتها وشرائعها وتاريخها وما اجتازته من مراحل وتاريخ نبيها زرادشت من قبل رسالته ومن بعدها •

ويقال انه سجل على اثنى عشر ألف جلد من جلود البقر أو النيران أو المعز (١٢) ، وأنه قد كتب حفراً فى الجلد ونقشا بالذهب • وفى هذا يقول المسعودى فى « مروج الذهب » : ان الأبستاق كتب فى اثنى عشر ألف مجلد بالذهب ، فيه وعد ووعيد وأمر ونهى وغير ذلك من الشرائع والعبادات » (١٣)•

وقد فقدت جميع نسخ الأبستاق بعد غزو الاسكندر لفارس سنة ٣٣٠ قبل الميلاد وفقدت معها تفاسيره والمؤلفات التى كانت تشتمل على شيء من أجزائه • والراجح أن اليونانيون قد تعمدوا اعدامها لما عرف عنهم من الاعتزاز بحضارتهم وعدائهم لحضارة الفرس وثقافتهم ، ولما طبعوا عليه من ميل للانتقام من الايرانيين، ومجازاتهم على ما فعلوا بالآثار اليونانية ابان انتصارهم على اليونان قبل ظهور الاسكندر • ومن ثم يوصف الاسكندر فى الأساطير الزرادشتية بانه « الرومى الملعون الذى يستهويه الشيطان فيخرب البلاد ويسفك دماء الأبرياء ويحرق برسبوليس عاصمة فارس ويقضى على كتب الزرادشتية المقدسة المدونة على اثنتى

---

(١٢) يرى صديقنا المرحوم الأستاذ العلامة حامد عبد القادر فى كتابه القيم « زرادشت الحكيم » ان رواية كتابته على جلود المعز هى أصح الروايات وأكثرها اتفاقا مع العبارة الفارسية ، (انظر « زرادشت الحكيم » ص ٦٦) •

(١٣) أمين عبد المجيد ، المرجع السابق ص ٣١ •

عشرة ألف قطعة من جلود المعز ؛ وأنه لذلك سيذهب الى الجحيم بعد أن يقضى على نفسه بنفسه » (١٤) ٠

وظلت بعد ذلك نصوص الأبستاق أو بعضها فى حوافظ الموابذة (كبار رجال الدين عند الفرس) والفقهاء يتناقلونها ويتناقلها الناس عنهم مشافهة ٠ فلابد أن يكون قد دخلها من جراء ذلك كثير من التحريف والتغيير والزيادة ، وأن يكون حظ كبير منها قد عدت عليه عادية النسيان ٠

وفى النصف الأخير من القرن الأول الميلادى (٥١ — ٨٧) شرع فولوجيسيس الأول Yologeses (بلاش الأول) ملك فارس من الأسرة البارثية فى تدوين ما بقى من حوافظ الناس من الأبستاق ٠ وأكمل عمله هذا فى القرن الثالث الميلادى الملك أردشير مؤسس الدولة الساسانية ٠ وبلغ ما تم تدوينه فى هذين العهدين واحدا وعشرين سفرا تشتمل على ٣٤٨ ثلثمائة وأربعين وثمانية فصول من فصول الأبستاق التى كانت تبلغ ألف فصل كما قدمنا ، أى انه قد فقد منه نحو الثلثين ، هذا الى ما اعتور الفصول المدونة من نقص وزيادة وتحريف وتغيير عن أصولها نتيجة لتقادم العهد بها وتناقلها مدة طويلة عن طريق المشافهة كما سبقت الاشارة الى ذلك ٠

وكما فقد الأبستاق القديم الأصلى ، فقد كذلك هذا الأبستاق الذى دون من حوافظ الناس فى عهد البارثيين والساسانيين ٠ وجاء فى أثناء ذلك الاســـلام واعتنقه معظم الايرانيين ، ولم يبق على الزرادشتية الا أقليات ضئيلة لا يؤبه لها . وكان من جراء ذلك أن نسى الايرانيون معظم ما يتصل بالأبستاق ، ولم يبق منه فى ذكرياتهم الا رواسب قليلة يتناقلها الخلف عن السلف ٠ ومن هذه الرواسب دون المؤرخون فى هذه العصور ، ومنهم القدامى من مؤرخى العرب ، جميع ما كتبوه عن الديانة الزرادشتية :

وفى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى عثر أحد علماء الآثار الفرنسيين وهو العلامة دوبرون Duperron ، فى أثناء بحثه فى مكتبه بودليان بمدينة أكسفورد Bodlienne (١٥) ، على قسم من الأبستاق الذى دون فى عهد البارثيين والساسانيين ، فقام بنشره وترجمته ؛ وترجم بعد ذلك الى كثير من اللغات

---

(١٤) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ص ٦٧ ٠

(١٥) هى مكتبة من أشهر مكتبات العالم ، تشتمل على أكثر من نصف مليون مجلد وعلى ثلاثين ألف مخطوط ؛ وقد أنشأها توماس بودلى Thomas Bodley من رجال السياسة الانجليز فنسبت اليه ٠

الحية . وهذا القسم هو كل ما وصل الينا وما نعرفه عن الأبستاق . وهو يشتمل عن خمسة أسفار لا تكاد تتجاوز في مجموع فصولها ربع الأبستاق الذى دون فى عهد البارثيين والساسانيين .

وهذه الأسفار هى :

١ ـ سفر اليسنا Yasan (ومعناها العبادة أو التسبيح) . ويشتمل على أدعية وصلوات كان يتجه بها الى الله والى الملائكة والكائنات المقدسة واشارات الى تاريخ الدعوة الزرادشتية فى مراحلها الأولى .

ومن بين فصول اليسنا سبعة عشر فصلا تعرف باسم «الحاتها» (١٦) وهى أقدم أجزاء الأبستاق وأكثرها قداسة . ويسوق الباحثون عدة أدلة على أنها أقدم ما ألف من فصول الأبستاق جميعا . ومن هذه الأدلة أنها هى وحدها التى كتبت فى الأصل باللهجة الميدية ، وهى لهجة المنطقة التى ولد فيها زرادشت ، فكانت اذن أول لغة استخدمها فى حديثه وتأليفه ، قبل أن يهاجر الى بختر فى شرق ايران ويأخذ عن أهلها لغتهم ، وهى اللغة التى كتب بها فى الأصل ما عدا الحاتها من أسفار الأبستاق .

وفيما يلى بعض نصوص من اليسنا ترجمها بشىء من التصرف المرحوم الأستاذ حامد عبد القادر فى كتابه عن « زرادشت الحكيم » :

« النجدة لهذا الانسان ، النجدة له مهما يكن أمره . ليتفضل على الخالق الأكبر ، والحاكم الأعظم ، الرب الحى ...

انى أتوسل اليك يا أهورا أن تحمى حمى الهداية ، وعسى أن تتفضل على بها . أنت يا من يبعث فى النفوس التقوى التى لها من العظمة ما لها ، فهى النعمة المقدسة ، وهى حياة العقول الطيبة الصالحة . انى أتصورك أيها المعطى الأكبر فردا جميلا حينما أشاهد أنك القوة العليا (ذات الأثر الفعال) فى تطور الحياة ، وحينما أرى أنك تكافىء الناس على الأعمال والأقوال . لقد كتبت الشر عقابا على الشر ، وجعلت السعادة جزاء وفاقا لمن يفعل الخير ، وذلك بفضلك العظيم الذى يظهر أثره حينما تتبدل الخليقة التبدل النهائى » .

ويتحدث زرادشت فى هذا السفر عن تاريخ الدعوة الزاردشتية فى مراحلها الأولى فيقول :

---

(١٦) « هـا » علامة الجمع ، فهى جمع « حات » ، وهى القطعة التى تتخلل النصوص المنثورة .

« مزدا أهورا انى أتوسل الى بركاتك وكرمك وعدلك أن تكافىء من كانوا السابقين الأولين المسارعين الى الدخول فى دين أهورا ... وأن تجزيهم الجزاء الذى وعد به زرادشت من يدخل فى دينه ويحفظ عهده . ان الملك كشتاسب قد قبل العقيدة التى أوجدها مزدا أهورا . انه قبل العهد (الكتاب المقدس) وأقر بحجته ، كما تقبل الدعوة الى طريق الكرم والاحسان ، فليتم هذا وفق مشيئتك ... لقد وعدنى فراشا أوسترا أن يهب لى أخته الجميلة المحببة الى (هى أخت فراشا أوسترا وزير الملك كشتاسب التى تزوجها زرادشت كما تقدمت الاشـارة الى ذلك) . فتفضل أيها الملك العظيم أن تهديها الصراط المستقيم ، حتى تدرك تمام الادراك معنى السلوك القويم فتصلح به نفسها . وقد تقبل جامسب (الوزير الأول للملك كشتاسب وقد تزوج بروخست أخت زرادشت كما تقدم) فى تقوى وطهارة هذه العقيدة الكريمة العنصر . وكل من اشترك فى اسداء الاحسان والاتصاف بالكرم فهو مخلص لهذه العقيدة خاضع لسلطانها، فتفضل بالانعام عليهم حتى يجدوا فيك حصنا منيعا يحميهم . وهذا الرجل متيوماه (هو ابن عم زرادشت الذى كان أسبق الناس الى اعتناق الزرادشية والذى شد الله به أزر زرادشت كما سبقت الاشارة الى ذلك) قد وضع هذه الطريقة الدينية نصب عينيه بعد أن أدركت روحه أسرارها . وكل من يدرك حقيقة الحياة وتتجلى له أسرار هذه الطريقة فسوف يوهب له العلم بمشيئة مزدا التى ترشد المؤمن الى (اصلاح) شئون حياته . — تفضل بالوفاء بما وعدت ، فانشر لواء بركاتك على كل من يقرون بأن الاستقامة فى السلوك واسداء المعروف ومزدا شىء واحد . وكذلك كل من يعبدك أنت يا أهورا ويسبحك ويوقرك » (١٧) .

٢ — سفر « الوسبرد » أو « الفسبرد » Visperd . ويشتمل على أدعية وصلوات مكملة لما فى اليسنا وترتل فى مناسبات خاصة . ويبلغ عدد فصوله ثلاثة وعشرين أو سبعة وعشرين فصلا .

٣ — اليشتات أى الترنيمات أو المزامير Yashts وهى احدى وعشرون ترنيمة تتلى فى مدح الملائكة المشرفين على أيام الشهر . فقد كان يعتقد أن لكل يوم من أيام الشهر الثلاثين حاميا وحارسا من الملائكة . وكان يسمى اليوم باسم حاميه وحارسه . وكان لكل ملك ترنيمة دينية خاصة تتلى باسمه . فلابد أن يكون عدد هذه اليشتات فى الأصل ثلاثين وأن يكون قد فقد منها تسع يشتات .

---

(١٧) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ، ص ٧١ — ٧٣ .

ويذكر البيرونى فى كتابه « الجماهر فى معرفة الجواهر » فى صدد هذه اليشتات أنه كان للملوك الساسانيين سبحة من الدر الثمين عدد حباتها واحد وعشرون بعدد اليشتات ، وكانوا يسمونها « نسك شمارة » أى عدد الأسفار ، لأنها بعدد كتبهم المعروفة بالأبستاق (١٨) • – فبحسب هذه الرواية يكون عدد اليشتات فى الأصـل واحدا وعشرين فقط ، وتكون الحكمة فى الوقوف عند هذا العدد هو مطابقته لعدد أسفار الأبستاق •

وقد كانت اليشتات نظما ، ثم شرحت نثرا ، وتداخلت شروحها فى المتن الأصلى ، فاختلط نظمها بالنثر ، فاضطربت أوزانها •

٤ – الخوردة أفستا أى الأبستاق الصغير • وهو سفر جامع للأدعية وصلوات خاصة بكل وقت من اليوم وبالأيام المباركة من الشهر والأعياد الدينية فى العام وأوقات الصحة والمرض التى تعرض فى الحياة • ويشتمل كذلك على بعض أحكام العبادات والزواج والزفاف •

٥ – الوانديداد أو الفانديداد Vendidad أى القانون المضاد للشياطين • ويتألف من اثنين وعشرين فصلا يعرض أولها للأمور نفسها التى تعرض لها الاصحاحات الأولى من سفر التكوين ، وهى خلق العالم والسماوات والأرض ، فيتحدث عما خلقه الله من الأراضى الطيبة المباركة واحدة بعد أخرى ، وعما أوجدته قوى الشر (أنكره مينو) من الأرواح الخبيثة • وتعرض بقية فصوله للنظم التى يخضع لها رجال الكهنوت من الزارادشتيين (وهو فى هذه الفصول يشبه سفر اللاويين فى العهد القديم) ولبيان العقائد والشرائع الزرادشتية المتعلقة بالموت والحياة والزواج وما اليه من نظم الأسرة ومشكلات الحياة الاجتماعية والنجاسة والغسل والطهارة وغسل الموتى وتطهير الملابس والبدن والصحة والمرض ، والقسم وحفظ العهود ونقضها ••• وما الى ذلك • ومن ثم يعد أهم مرجع للوقوف على محتويات الديانة الزرادشتية وتفاصيل شرائعها •

---

(١٨) يتكلم البيرونى فى هذا الكتاب على المعادن الثمينة والأحجار الكريمة • وقد عرض لليشتات بمناسبة الكلام على هذه السبحة المؤلفة من حبات من الدر الثمين • انظر أمين عبد المجيد المرجع السابق ص ٣٥ والتعليق الأول •

- ٤ -
شروح الأبستاق

ترجع شروح الأبستاق وشروح شروحه الى ثلاث مجموعات يطلق عليها اسم « الزند » Zend و « البازند » Pa-Zend و « الايارده » · ــ وقد فقد معظم الشروح ولم يصل الينا منها الا القليل :

١ ــ أما « الزند » فهو الشرح المباشر للأبستاق ، وقد دون باللغة الفهلوية، وهى اللغة الفارسية فى مراحلها الوسطى (وتختلف عن اللغة التى دون بها الأبستاق ، وهى الفارسية فى مراحلها القديمة) · وهذا دليل على أنه قد ألف فى عصر متأخر بأمد طويل عن العصر الذى ألف فيه الأبستاق لأول مرة · والراجح أنه بدىء فى تدوينه فى عصر فلوجيسس الأول (بلاش الأول ٥١ ــ ٨٧ م) حينما بدىء فى جمع الأبستاق وتدوينه للمرة الثانية (١٩) ، والراجح كذلك أنه لم يتم تدوينه الا فى أواخر عهد بنى ساسان ، أى حوالى منتصف القرن السادس الميلادى ·

هذا ، وكان كثير من قدامى الزرادشتيين يعتقدون أن الأبستاق والزند كليهما نزل من السماء ، بل لقد كان بعضهم يخلط بين الكتابين فيزعم أن الزند هو الكتاب الأصلى لزرادشت ، ومن هؤلاء صاحب كتاب « برهان قاطع » اذ يقول : « الزند كتاب كان ابراهيم زرادشت يدعى أنه نزل عليه من السماء، ويقول بعضهم انه صحف ابراهيم » ، ومنهم كذلك الأسدى فى كتابه « لغت فرس » اذ يقول : «الأبستاق تفسير الزند وكان الزند صحف ابراهيم» (٢٠) · وكان كثير ممن يعرفون حقيقة الزند ، وهو أنه شرح للأبستاق ، يذهبون الى أنه من عمل زرادشت نفسه · وقد جارى المسعودى أصحاب هذا الرأى اذ يقول « ··· ثم عمل زرادشت للأبستاق تفسيرا عند عجزهم عن فهمه وسموا التفسير زندا » ·

وبعض المتزمتين من الزرادشتيين كانوا يتمسكون بالأبستاق وحده ولا يعترفون بالزند ويعتبرون من يعول على هذا الشرح خارجا على أصول الشريعة ويسمونه « زنديا » · ولعل كلمة زنديق المستعملة فى لغتنا العربية معربة عن هذا الأصل الفارسى · والى هذا الرأى ذهب المسعودى فى كتابه «مروج الذهب»

---

(١٩) انظر صفحتى ١٣٦ ، ١٣٧ ·
(٢٠) أمين عبد المجيد ، المرجع السابق ص ٣٦ ــ ٧٢ ·

اذ يقول : « وذلك أن الفرس حين أتاهم زرادشت بن سبتمان بكتابهم المعروف بالنستا (الأفستا) باللغة الأولى (القديمة) من الفارسية ، وعمل له التفسير وهو الزند ... وكان الزند بالتأويل غير المقدم المنزل ، وكان من أورد فى شريعتهم شيئا غير المنزل الذى هو النستا (الأفستا) وعدل الى التأويل الذى هو الزند قالوا هذا زندى ، فأضافوه الى التأويل وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل الى تأويل هو بخلاف التنزيل . فلما جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس ، وقالوا زنديق وعربوه » (٢١) .

٢ — وأما « البازند » فهو تفسير للزند ، أى شرح لشرح الأبستاق . وقد كتب باللغة الفهلوية فى مراحلها التالية للفتح العربى حوالى القرنين الثانى والثالث الهجريين أى حوالى السابع والثامن الميلاديين على الأرجح .

وكان بعض الزرادشتيين يعتقد أن البازند من عمل زرادشت نفسه . وقد جارى المسعودى أصحاب هذا الرأى اذ يقول : « ... ثم عمل زرادشت للتفسير تفسيرا وسماه بازند » .

٣ — وأما الاياردة بكسر الهمزة وفتح الراء وكسرها وفتح الدال فهو شرح للبازند ، أى شرح لشرح الشرح أو تفسير لتفسير التفسير . والى هذا يشير المسعودى اذ يقول : « ... ثم عمل علماؤهم بعد وفاة زرادشت تفسيرا لتفسير التفسير وشرحا لسائر ما ذكرناه وسموا هذا التسير ياردة » .

— ٥ —

العقيدة فى أسفار الزرادشتيين

كانت الديانة الزرادشتية فى أصلها ديانة توحيد تدعو الى عبادة الاه واحد هو « أهورا مزدا » وتحارب الشرك وعبادة الأصنام والكواكب وقوى الطبيعة ، وكانت جميع أدعيتها وصلواتها وآيات أسفارها تتجه الى هذا الالاه وحده ، كما يظهر ذلك من التأمل فى النصوص التى نقلناها عن سفر « اليسنا » (٢٢) وتصفه بصفات القدم والبقاء والقدرة والارادة والعلم والمخالفة للحوادث ، وأنه يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار ، ويعلم حقيقة ما فى السماوات والأرض

---

(٢١) مروج الذهب على هامش نفح الطيب الجزء الأول ص ٢٨٧ وما بعدها . نقلا عن حامد عبد القادر ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .
(٢٢) انظر صفحتى ١٣٧ ، ١٣٨ .

ولا يصل أحد الى معرفة حقيقته ٠ فأهورا مزدا يطلق في الأبستاق على الذات المتصفة بهذه الصفات ٠ بل ان اسم « أهورا مزدا » نفسه يدل معناه في الفارسية على ذلك ٠ « فهو مركب من ثلاث كلمات وهي (أهو) و (را) و (مزدا) ومعناها على الترتيب : أنا ــ الوجود ــ خالق ، أي أنا وحدي خالق الوجود أو الكون » (٢٣) ٠

غير أنه يظهر أنه قد دخل الديانة الزرادشتية فيما بعد كثير من التحريف والتبديل ، فانتهى بها الأمر في عصورها الأخيرة الى أن أصبحت ديانة مثنوية أو ثنوية أي تعتقد بوجود الاهين : أحدهما « أهورا مزدا » وتجعله الاها للخير، والآخر « أهريمان » وتجعله الاها للشر ، وتعتقد أن بينهما صراعا دائما لأن كليهما يرمي الى السيطرة على العالم ، مع أن « أهريمان » هذا ــ وهو في الأصل « أنكره مينو » ومعناه الخبث أو الشر ــ لا يذكر في الأسفار المقدسة للزرادشتيين في مقابل « أهورا مزدا » على أنه شريك له ، ولكنه يذكر فيمقابل «سبنتامينو» ومعناه القدسية أو الخيرية ٠ فلم يكن في أصل العقيدةالزرادشتية الاهان ، وانما كان فيها قوتان متضادتان أو مجموعتان من القوى المتضادة : احداهما مجموعة قوى الخير والنور والحياة والحق ، ويرمز اليها جميعا « سبنتامينو » ويعمل على تحقيق أغراضها سبعة ملائكة قدسيون يمثلون الفضائل السبع العليا وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والاخلاص والأمانة والكرم ، والأخرى قوى الشر والظلام والموت والخداع ، ويرمز اليها جميعا « أنكره مينو » الذي تحول اسمه الى « أهريمان » ويقوم على تحقيق مقاصدها الآثمة سبعة شياطين خبيثة تمثل الرذائل الانسانية الرئيسية وهي النفاق والخديعة والخيانة والجبن والبخل والظلم وازهاق الأرواح » (٢٤) ٠

وكلتا المجموعتين من القوى أو الدوافع مع توابعها وملحقاتها كانت خاضعة للاله الواحد المسيطر على كل شيء في الوجود وهو « أهورا مزدا » ٠ــ وقد يكون العلامة الشهرستاني في مقدمة المدركين لحقيقة الديانة الزرادشتية في نشأتها الأولى وأنها كانت ديانة توحيد ، وذلك اذ يقول في كتابه الملل والنحل: « وكان دين زرادشت عبادة الله والكفر بالشيطان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخبائث » ، واذ يقول في موضع آخر : « وقال زرادشت ان

(٢٣) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ، ٨٠ ، ٨١ ٠
(٢٤) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ، ص ٨٣ ٠

البارىء تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند » (٢٥) ·

ولما كانت ذات « أهورا مزدا » ذاتا روحانية خالصة مجردة من شوائب المادة لا تدركها الأبصار ولا تحيط بكنهها العقول ، ولما كان كثير من الناس لا يستطيعون الايمان بذات هذا شأنها الا اذا رمز اليها برموز مادية يستطيعون تصورها ، فقد رمزت الديانة الزرادشتية الى الذات العلية برمزين ماديين مشاهدين تقوى عقول الجماهير على ادراكهما ، ويشتمل كلاهما على بعض مظاهر من صفات الخالق ، فيستطيع الناس بالتأمل فى صفاتهما تصور شىء من صفات أهورا مزدا على وجه التقريب والتمثيل ، وهذان الرمزان احدهما سماوى وهو الشمس والآخر أرضى وهو النار · فكلاهما عنصر متلألىء مضى طاهر مطهر لا يتطرق اليه الخبث ولا الفساد ، وتتوقف عليه الكائنات · وهذه الصفات تشبه طائفة من صفات الخالق نفسه وترمز اليها ·

ومن ثم حرصت الديانة الزرادشتية على أن يوقد فى كل هيكل من هياكلها شعلة من النار ، وأن تظل هذه الشعلة متوهجة مضيئة ، يتعهدها الموابذة (كبار رجال الدين) والهرابذة (٢٦) (صغار رجال الدين) ورجال الكهنوت ، فيقدمون لها خمس مرات فى اليوم وقودا من خشب الصندل وما اليه من الاعشاب والمواد العطرية فيمتلىء الهيكل بعرفها الطيب وريحها الزكى ، وترتل حولها الأدعية وتقام الصلوات · وكان من عادة الزرادشتيين اذا أقاموا هيكلا جديدا للنار أن يحملوا اليه من كافة النواحى شعلات موقدة ، وأن يبالغوا فى تطهير هذه الشعلات ، فيقتبسوا من الشعلة الأولى شعلة ثانية ومن الثانية ثالثة وهكذا حتى يصلوا الى التاسعة فيعتقدوا أنها قد وصلت الى أرقى درجات الطهارة ، فيوقدوا بها نار الهيكل الجديد (٢٧) ·

وقد بالغ الزرادشتيون فى تقديس نار الهيكل فأوجبوا على رجل الدين أن يتلثم عند اقترابه من النار خشية أن يصل زفيره اليها فيلوثها · وكان عليه أن يتذكر حينما يدنو من هذه القوة الأرضية أن هذا النور الفياض انما يرمز الى أهورا مزدا (٢٨) ·

---

(٢٥) الملل والنحل للشهرستانى ، الجزء الأول ، ٢٣٧ طبعة مصطفى الحلبى ·
(٢٦) الهرابذه بالراء جمع هربذ (بكسر الهاء والباء) وهو خادم النار ·
(٢٧) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ، ٨٦ ، ٨٧ ·
(٢٨) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ٨٧ ·

غير أنه يظهر أنه قد دخل الديانة الزرادشتية فيما بعد التحريف والتبديل فيما يتعلق بتقديس النار ، فانتهى بها الأمر فى عصورها الأخيرة الى أن أصبحت ديانة مجوسية يعبد أهلها النار لذاتها ، بعد أن كانت مجرد رمز للالاه تشتمل على شيء من صفاته ، وتقرب تصوره للأذهان •

وكان يشارك النار في صفة التقديس ثلاثة عناصر أخرى من العناصر الارضية وهى التراب والهواء والماء ، وان كانت فى مستوى أقل من مستوى النار •

وأما الكائنات الأخرى فقد كان من بينها فى العقيدة الزرادشتية الطيب والخبيث • ويعرف كل نوع بعمله وآثاره • فالطيب ما حسنت أعماله والخبيث ما كان مصدر شر وضرر كالثعابين والعقارب وكل ضار من الحيوانات • والعناصر الخبيثة تظل خبيثة ما دامت على قيد الحياة ، فاذا ماتت طهرت وجاز اتصالها بالعناصر المقدسة ، فيجوز دفنها فى التراب والقاؤها فى الماء • والعناصر الطيبة تظل طيبة ما دامت على قيد الحياة ، فاذا فارقتها الحياة استحالت أجسامها الى رجس ونجس فلا يجوز لمسها الا بطقوس خاصة ولا يجوز اتصالها بالعناصر المقدسة • ومن ثم كانت جثة الميت من الأناسى منجسة لكل من يقربها ولكل طريق تمر به ، ولا يجوز أن تدفن فى باطن الأرض ولا تحرق بالنار ولا تلقى بالأنهار ، لأن التراب والنار والماء عناصر مقدسة لا يصح القاء نجس فيها • ولذلك أقيم لجثث الموتى فوق قمم الجبال أبراج منعزلة عالية الجدران لا سقف لها يسمى كل برج منها « دخما » (٢٩) Dekhuma أو برج الصمت ، وتحمل اليها جثث الموتى نهارا على نعوش من حديد ثم تلقى فيها طعاما لجوارح الطيور • وكان كل من يلمس جثة ميت أو تلمسه جثة ميت يعد ملوثا ولا يطهر الا بعد طقوس دينية معقدة كل التعقيد • بل ان نجاسته هذه كانت تنتقل الى كثيرين من المجاورين له والى غيرهم • فقد ورد فى أسفار الأبستاق أنه اذا مات شخص وكان جالسا بجواره وقت موته شخص آخر ، فان هذا الشخص الآخر يصبح متلبسا بجريمة ملامسة الميت (على الرغم من أنه لم يقصد هذا اللمس ولا أحدثه) ، ويجب عليه أن يولى مسرعا حتى يصادف فى طريقه أول رجل حى فيقف على بعد منه ويطلب اليه بصوت مرتفع أن يطهره من خطيئته بعد أن يظهره على مجمل ما حدث له ، فيخاطبه قائلا : « اننى قد لمست ميتا لا حراك به

---

(٢٩) ينطق بها فى الفارسية بكسر الدال وسكون الخاء وامالة الميم نحو الكسر •

ولا قدرة له على التفكير ولا على النطق وألتمس منــك أن تطهرنى » (٣٠) ٠
وورد فى الأبستاق كذلك أنه اذا مات شخص بين جماعــة متلاصقين فان اثم الملامسة لجثة الميت لا يقتصر على المجاور له فحسب ، وانما ينتقل الى عدة أفراد من المجتمعين ٠ فان كان الميت من رجال الدين انتقل اثم الملامسة من المجاور له مباشرة الى تسعة الأشخاص الذين يلونه ، وان كان من رجال الحرب انتقل من المجاور له الى ثمانية الأشخاص الذين يلونه ، وان كان مزارعا انتقل من المجاور له الى سبعة الأشخاص الذين يلونه ٠ وورد فيها كذلك أن المتلبس بهذا الاثم عن طريق الملامسة المباشرة أو عن طريق الانتقال يجب عليــه أن يولى مسرعا حتى يصادف فى طريقه أول رجل حى ، فيقف على بعد منه ويطلب اليه بصوت مرتفع أن يطهره من خطيئته بالصيغة التى سبق نصــها ، فان قام باجراءات التطهير المعهودة طهر الملامس وأثيب المطهر على ما فعــل ٠ وان رفض تطهيره انتقل اليه ثلث الجرم ٠ وفى هذه الحالة يجب على الملامس أن يوالى سعيه حتى يصادف رجلا آخر فيطلب اليه ما طلبه الى الأول ، فاذا رفض تطهيره انتقل اليه نصف الباقى من الاثم (ثلث مجموع الاثم) ، ثم يغــادره الى ثالث فان رفض الثالث تطهيره انتقل اليه جميع ما بقى من الاثم (الثلث الباقى) (٣١)٠

وقد خصصت الزرادشتية طائفة معينة من الناس لاعــداد جثث المــوتى وحملها الى برج الصمت كما كانوا يسمونه ، وقررت أنه « لا يجوز أن يستقل شخص واحد من هذه الطائفة بهذا العمل ، بل يجب أن يشاركه اثنان آخران يشهدان عليه ٠ وعلى الثلاثة أن يتطهروا بعد الانتهاء من عملهم ، ولا يجوز لهم مع ذلك أن يختلطوا بالناس ٠ — ومن التقاليد الزرادشتية المترتبة على الاعتقاد بأن جثة الميت نجسة أنه اذا مرت جثة ميت بأحد الطرق العامة فانه لا يجوز لأحد أن يسير فيه الا بعد تطهيره ٠ ومن وسائل تطهيره تلاوة دعاء آهونا أو دعاء كمتا مزدا Kemta mazda الذى يعد أشد الأدعية قداسة ، وترجمته :

« مزدا من يستطيع أن يحمى شخصا ضعيفا فانيــا مثلى حينما يســتعد الكافرون للاعتداء على ؟! أى كائن آخر غيرك — بما لك من عقل وقوة نارية — يقوى نشاطه على تنفيذ مبدأ التقــوى والاستقامة ؟! مزدا ! اكشف لى عن أسرار هذه المعرفة كى تساعدنى على نشر دينك ٠ من غــيرك يقدر عــلى لطم الأعداء ، ويمدنى بكلماتك الصادقة التى هى درعى والمجن الذى يحمينى ؟ دلنى — مزدا — على قائد مخلص حكيم متلطف يقودنى اليك ، ثم اجعل زعيم

(٣٠) انظر كتابنا فى «المسئولية والجزاء» الطبعة الثالثة ص ١٠٨ ، ١٠٩ ٠
(٣١) انظر كتابنا فى « المسئولية والجزاء » ص ١١٢ ٠

ملائكتك المزود بالعقل الخير المستنير يدنو ممن تحب كائنا من كان . تفضل فاحمنا جميعا من أعدائنا أيها المقدس مزدا . وهلاكا لادرج(ادرج أو دروج DruJ هو رمز لقوى الشر مجتمعة أو لابليس) الشيطاني ، وهلاكا لجميع الشياطين، وهلاكا لجميع أشياع الشياطين ، الهلاك التام لك يا ادرج ! اخسأ واذهب بعيدا عنا الى الشمال حتى لا تعبث بخلق مزدا ، المبدأ المقدس » (٣٢) .

وتوجب الديانة الزرادشتية الايمــان باليوم الأخـر والبعث والنشــور والحساب والجنة والنار على وجه لا يختلف كثيرا فى جملته بل لا يختلف كثيرا فى تفاصيله نفسها عما يقرره الاسلام . فتقرر عقائدهم أن الساعة ستقوم على أثر حادث فلكى . وذلك أن كوكبا يصطدم مع الأرض ، فتميد بالناس ، وتخر الجبال هدا ، وتذوب العناصر ، ويصهر النحاس ، ويسيل الى جهنم ، ويفنى أهريمان وأنصاره من الشياطين ، ويغسل الناس فى منصهر النحاس ، ويجده الصالحون بردا وسلاما . ثم بعد ذلك يجمع هرمز (أهورا مزدا) الخلائق ، ويمدهم بحياة جديدة ويجازيهم بأعمالهم . وهذا فيما يتعلق بمن يكونون على قيد الحياة وقت قيام الساعة . أما الذين يموتون قبل ذلك فتحاسب أرواحهم عقب موتهم مباشرة . وذلك أن الروح تحوم عقب الوفاة فوق الجسد ثلاثة أيام تشقى فيها أو تنعم وفقا لسيرة صاحبها فى الحياة : ان خيرا فخيرا ؛ وان شرا فشر . وفى اليوم الرابع تهب من الجنوب على الروح الصالحة ريح طيبة تتضوع بالمسك وتلتقى روح الميت عند أول الصراط (بل جنوات) أى جسر المفارقة المضروب فوق جهنم ، بفتاة بيضاء الذراعين منقطعة النظير فى جمالها ، فتسألها من أنت فتقــول : أيهــا الشــاب الطيب السريرة الطيب القول الطيب العمل (يلاحظ أن قوام الأخلاق عنــد زرادشت كما سيأتى بيــان ذلك فى الفقرة الأخيرة من هذا الفصل ثلاثة أمور . الفكر الطيب ، والـكلم الطيب ، والعمل الطيب) أنا وجدانك وضميرك ، كنت محبوبة فزدت الناس محبة فى ، وكنت جميلة فزدتنى جمالا ، ورفعت من شأنى بفكرك الصالح وقولك الطيب وعملك المبرور . ثم تمضى الروح بارشاد هذه الفتاة وهدايتها الى حضرة أهورا مزدا ، فتعبر الصراط الى الجنة حيث يستقبلها ملك جالس على كرسى من ذهب عند باب الجنة فيفتح بابها ويقول لصاحبها ادخل سالما آمنا وتمتع بحياة هنيئة . أما روح الشقى فتلتقى بمخلوق بشع المنظر نتن الرائحة ، ولا تستطيع العبور على الصراط فتهوى فى دركات النيران . وجنة زرادشت تقع أقصى شرقى جبال البرز (هرابيرازيتى Haraberasiti) ويرتفع الجبل متجاوزا النجوم الى عالم

---

(٣٢) حامد عبد القادر المرجع السابق ، صفحتى ٧٧ ، ٧٨ .

النور اللانهائي ويصل الى جنة أهورا مزدا في منزل النغم وهو أم الجبال وقمته سابحة فى العزة الأبدية لا ليل ولا برد ولا مرض (٣٣) · — وتذكر بعض الأسفار المقدسة لدى المتأخرين من الزرادشتيين أن الروح بعد أن تعبر صراط الحساب « تحتل احدى منازل ثلاث : منزلة الأشقياء فى جهنم دار الجحيم ؛ ومنزلة السعداء فى الجنة فردوس النعيم ؛ ومنزلة وسطى بين هؤلاء وهؤلاء · فمن ثقلت موازينه ورجحت حسناته سيئاته احتلت روحه المنزلة الأولى ؛ ومن خفت موازينه ورجحت سيئاته حسناته ذهبت روحه الى المنزلة الثانية ؛ ومن تساوت حسناته وسيئاته احتلت روحه المنزلة الثالثة » (٣٤) ·

— ٦ —

العبادات والشرائع والأخلاق في أسفار الزرادشتيين

١ — العبادات : من أهم العبادات فى الديانة الزرادشتية تقديس النار على النحو الذى سبق شرحه ، والأدعية التى يتجه بها الى الاله والملائكة والأرواح المقدسة وقوى الخير ، والصلوات التى كانت تقام فى الهياكل خمس مرات حول النار المقدسة ، وتختم كل صلاة منها بعظات يلقيها رجال الدين على المصلين ليبينوا لهم معالم دينهم ويرشدوهم الى طرق الخير والفضيلة ويحذروهم من المعاصى وتعدى حدود الله · وتقام واحدة من هذه الصلوات عند بزوغ الشمس ، وواحدة عند الزوال ، وواحدة عند الغروب ، وتقام الصلاتان المكملتان للخمس بين هذه الصلوات الثلاث · والصلاة فى الزرادشتية دعاء يوجه الى أهورا مزدا ، وترجمته ما يلى : أرجو منك أيها الرب الخالق المطلق القدير أن تغفر لى ما ارتكبت من سيئات وما دار بخلدى من تفكير سيىء وما صدر عنى من قول أو عمل غير صالح · الاهى أرجو منك أن تباعد بينى وبين الخطايا حتى أحشد يوم الدين مع الأطهار الأخيار » (٣٥) ·

« وكان الزرادشتى مقيدا بعدة طقوس وعبادات فى كثير من شئون حياته الخاصة كالأكل والنوم والاستيقاظ منه واضاءة المصابيح · وكان عليه أن يبقى نار الموقد فى داره مشتعلة لا تخبو ، وألا يسمح لضوء الشمس أن يقع على

---

(٣٣) أمين عبد المجيد ، المرجع السابق ص ٢٢ نقلا عن دكتور محمد معين : « مزديسنا وتأثير آن در ادبيات فارسى » ص ٢٤ وما بعدها ·
(٣٤) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ص ٩٢ ·
(٣٥) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ص ٩١ ، ٩٢ ·

النار ، ولا للماء أن يلقى على النار ، ولا ليده أن تمس جثة ميت ، أو جسد امرأة حائض ، وألا يلوث الماء ، وألا يتكلم ولا يبكى فى أثناء الطعام • ـ وكان عليه اذا أشكل عليه أمر من أمور الدين أن يرجع الى رجال الدين • وكان الزرادشتيون يذهبون الى هياكل النار فى أيام أعيادهم الرئيسية ليقيموا الصلوات ويبتهلوا الى أهورا مزدا بالدعوات ، وبخاصة يوم التوبة ، وهو عيد النيروز • ففى هذا اليوم يفعل الزرادشتيون مثل ما يفعل المسلمون يوم عيد الفطر مثلا ، فيتزاورون للتهنئة بالعيد الجديد ، ويستيقظ الواحد منهم من نومه مبكرا فيستحم ويلبس ملابسه الجديدة ، ويبتهل الى الاله بالدعاء أن يغفر له ولأهله سيئاتهم التى اقترفوها فى العام المنصرم • ثم يذهب الى هيكل النار فيجتمع هو واخوانه هناك ، ويستأنف معهم الدعاء ، ويطلب من الاله الرحمة والرضوان ، ثم يتصدق على الفقراء والمساكين • ـ هذا فى الأعياد • أما فى المآتم فكان من عاداتهم بعد القاء جثة الميت فى برج الصمت أن يعزى أهله ثلاثة أيام ، وأن يقام فى المساء السابق لليوم الرابع حفل دينى يحضره أهل الميت وأصدقاؤه ، وأن توزع الصدقات رجاء أن يغفر الله له ، وأن تجلس قريباته على مقربة من المكان الذى مات فيه على بساط يفرش على الأرض لتقبل العزاء من صديقاتهن ، من ثلاثة أيام الى عشرة بعد الوفاة » (٣٦) •

وليس فى الديانة الزرادشتية رهبانية ، بل انها لتكره كل ما يؤدى الى الخمول واضعاف الجسم ، ولذلك تنهى عن الصوم الا فى ظروف خاصة نادرة •

وكان يشرف على شئون العبادات وما اليها من الشئون الدينية طبقتان من رجال الدين . احداهما طبقة الموابذة ، ويسمى كل واحد منهم موبذان • وكانوا يتولون الوظائف الدينية العليا ويرأسهم الموبذ موبذان أى رئيس الموابذة ، وكانت وظيفته تعد أرقى الوظائف الدينية جميعا ، وهو الذى يوجه رجال الدين على اختلاف درجاتهم ويوليهم ويعزلهم • ولم يكن نشاط الموابذة مقصورا على الشئون الدينية بل انهم كانوا يمارسون كذلك شئون الطب والقضاء والتعليم ويشتركون فى ادارة الشئون السياسية للدولة وفى شئون التشريع والتنفيذ • ومن ثم كان لهم سلطان كبير حتى على الملوك أنفسهم • فقد كان زرادشت نفسه موجها سياسيا للملك كشتاسب ، يرجع اليه فى شئون السياسة ويستمع الى نصائحه • والطائفة الأخرى طائفة الهوابذة ، وكانت منزلتهم دون منزلة الموابذة وكانوا يتولون اقامة الشعائر الدينية فى هياكل النار (٣٧) •

---

(٣٦) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ٩٧ ، ٩٨ •
(٣٧) المرجع السابق ٩٨ •

٢ ـ الشرائع : تحث الشريعة الزرادشتية على العمل والسعى فى مناكب الأرض لكسب الرزق وانتاج الثروة ، وخاصة الانتاج الزراعى وتربية الماشية . فمن نصوصها المقدسة أن من يشق الأرض بمحراثه خير ممن يقدم ألفا من القرابين وممن يقدم عشرة آلاف من الأدعية والصلوات . وتحث على النظافة والقضاء على الحيوانات المؤذية والهوام ، وتضع على كاهل الفرد واجبات نحو نفسه وجسمه وأفراد أسرته وأفراد مجتمعه والانسانية جمعاء ، وتوجب صيانة النفس والمحافظة على الصحة ، وتحرم الانتحار تحريما باتا ، لأنه جناية على النفس والوطن ، وتجعل الزواج واجبا على كل قادر عليه ، وتحث على تعدد الزوجات ليكثر النسل ويزداد عدد الجنود المحاربين فى سبيل النور .

وقد ورد فى الأبستاق أن أهورا مزدا قد أوحى الى زرادشت أن « المتزوج أعلى منزلة من الأعزب ولو كان تقيا عفيفا ، وأن من له بيت (أسرة وزوجة) أعلى منزلة عند الله ممن ليس له بيت ، وأن من له خلف أعلى منزلة ممن ليس له خلف » (٣٨) . وكانت أكبر كارثة تحل بالرجل عند الزرادشتيين ألا تكون له ذرية . وكانوا يعتقدون أن من يدركه الموت من قبل أن ينجب أولادا لا يلج باب الجنة ، وأن أول سؤال يلقيه خزنة الجنة على من يقف ببابها هو سؤاله عما اذا كان قد ترك فى الدنيا من يخلفه ، فان أجاب بالنفى حيل بينه وبين دخولها ، اذ لا يدخلها الا من ترك من بعده خلفا يخلد اسمه ويقدم لروحه ما تقرر الشريعة تقديمه من صلوات وقرابين ، وأن أشهى فانجوهى Ashi Vanguhi (وهى لديهم رمز العفة ومصدر الخير والبركة والنماء) لا تقبل قربانا يقدمه اليها العقيم من الناس ، وأن أكبر جرم يرتكبه الأفراد والرؤساء هو أن يعضلوا الفتيات عن الزواج ، ويحولوا بذلك بينهن وبين انجاب الأولاد (٣٩) .

وتشبه أسفار الأبستاق وشروحها أسفار اليهود فى استيعابها لجميع فروع الشريعة فهى لا تغادر أى فرع من فروع الحياة الفردية والاجتماعية الا وضعت له قواعد يسير عليها حتى شئون الأكل والشرب وحلق الشعر وتقليم الأظافر . ومن الغريب أن سفر « الونديداد » (٤٠) يضع فى صدد قلامات الأظافر والشعر تعاليم واحتياطيات تشبه ما يعتقده الآن كثير من العامة فى مصر وغيرها ، فيذكر أنه من الواجب على الانسان أن يضع قلامات أظافره وقصاصات شعره على منضدة أمامه ، ويحرص عليها كل الحرص حتى لا يضيع منها شىء ، ثم يحملها بعناية

(٣٨) V. Westermarek : Idées Morales (trad. fr.) T. II. 386

(٣٩) انظر كتابنا « قصة الزواج والعزوبة فى العالم » ص ١٠ .

(٤٠) انظر الفقرة الثالثة من هذا الفصل .

ويخفيها فى حفرة عميقـة ، والا كانت عرضة الآن تمتد اليها أيدى السـحرة والمشعوذين فيستخدموها فى سحر صاحبها ٠

وتدل هذه التعاليم على تأثر الزاردشتية بعقيدة قديمة مؤداها أن شعر الشخص وأظفاره تتجمع فيها جميع صفاته الشخصية ٠ ولذلك كان التأثير فيها بخير أو شر وسيلة للتأثير فى الشخص نفسه (٤١) ٠

هذا ، وفى كثير من الأمور السابق ذكرها وما اليها يختلط التشريع فى شئون الحياة الدنيا بالعبادة التى يقصد بها وجه الله والدار الآخرة ، فيكون الشىء الواحد شريعة وعبادة فى آن واحد ٠

٣ ـ الأخلاق : تدعو الديانة الزرادشتية الى الفضائل نفسها التى يدعو اليها الاسـلام وتنهى عما ينهى عنه من مظاهر الرذائل والفحشاء والمنكر والبغى ٠

وقوام الأخلاق عند زرادشت ثلاثة أمور : الفكر الطيب ؛ والكلم الطيب ؛ والعمل الطيب ٠ وكان لا يقبل دخول احد فى الدين الزرادشتى الا بعد أن يؤخذ عليه بهذه الأمور ميثاق مدونة صيغته فى الأبستاق وينتهى بالعبارة الآتية :

« لن أقدم على سلب أو نهب أو تدمير أو تخريب ٠ أقر أنى أعبد أهورا مزدا ، وأعتنق دين زرادشت ، والتزم التفكير فى الخير والكلم الطيب والعمل الصالح » (٤٢) ٠

---

(٤١) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ٧٣ ، ٧٤ ٠
(٤٢) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ٠

الفصل الرابع

أسفار الديانة البرهمية (١)

تعد الديانة البرهمية من أقدم الديانات في الأمم الآرية ؛ فان تاريخها يرجع الى عصر سحيق يصعد به بعضهم الى نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد . ويعتنقها الآن معظم سكان الهند وبعض سكان الباكستان .

وهي منسوبة للاله براهما Brahma ، وهو عند معتنقي هذه الديانة اسم للاله الخالق . ولا صحة لما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل من أنها تنسب الى رجل عظيم منهم يقال له براهم (٢) .

ويطلق على الأسفار المقدسة لهذه النحلة اسم « الفيدا » Védas ، ومعناها المعرفة أو العلم (٣) .

ومن أسفار « الفيدا » استمدت « قوانين مانو » Lois de Manou التي تنسب لمشرع هندي قديم اسمه مانو أو مانافا وهي تفصيل وشرح وبيان لما اشتملت عليه أسفار الفيدا من قصص ديني وعقائد وعبادات وشرائع وأخلاق . وينزل البرهميون هذه القوانين منزلة التقديس كذلك ، حتى لقد اعتقدوا أن مؤلفها أحد الآلهة المنبثقين عن الاله الخالق « براهما » .

وسنقف الفقرة الأولى من هذا الفصل على التعريف بأسفار « الفيدا » ، والفقرة الثانية على التعريف « بقوانين مانو » ، ثم نلقي في بقية فقرات هذا الفصل نظرة على ما تشتمل عليه هذه الأسفار من عقائد وعبادات وشرائع وأخلاق (٤) .

---

(١) من أهم مراجعنا في هذا الفصل :

Loiseleur — Delongchamps : traduction du sanscrit des "Lois de Manou" accompagnée de notes explicatives et d'une notice sur les Védas.

وسنكتفي في الاحالة على هذا المرجع فيما يلي بكلمة لوازلير .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ، الجزء الثاني ، ص ٢٥١ ، طبعة مصطفى الحلبي ١٩٦١ .

(٣) يعرب البيروني في كتابه « تحقيق ما للهند ... الخ » كلمة « فيدا » الى « بيذ » بباء فياء فذال .

(٤) سنعرض أثناء كلامنا على هذه الأمور لشيء من القصص الديني في أسفار هذا الدين .

— ١ —

أسفار الفيدا

يطلق البرهميون اسم الفيدا Védas (ومعناها فى اللغة السنسيكريتية القديمة المعرفة أو العلم) على مجموعة أسفار قديمة يعتقدون أنه موحى بها من الاله براهما نفسه ، وأنه قد جمعها حكيم من حكمائهم اشتهر باسم « فيدا فياسا » Védas — Vya'sa أى جامع الفيدا (٥) • وهى أربعة مجموعات من الأسفار ، تنقسم كل مجموعة منها قسمين : قسم للأدعية والصلوات وتسمى « منترا » Mantras ؛ وقسم للتعاليم المتعلقة بالعبادات والشرائع وما الى ذلك ويسمى « برهمانا » Brahmanas(٦) •

ويقول الزعيم الهندى الراحل جواهر لال نهرو فى احدى رسائله عن الهند القديمة : « لعل هذه الكتب لم تدون فى أول الأمر ، وانما حفظت عن ظهر قلب ، وبقيت فى صدور الحفاظ من حكماء تلك العصور يتناقلونها مشافهة جيلا بعد جيل • وبعد انتشار نظام الكتابة كتبت الفيدا الأربعة باللغة السنسيكريتية الكلاسيكية ، وسمى المجموع « سمهتا » أى الديوان المجموع » •

وهذه المجموعات الأربع هى :

١ — « ريج فيدا » أو « ريتش فيدا » Rig—Véda, ou, Ritch—Véda (ومعناها الفيدا النارية أى المنسوبة للنار) • وهى قسمان : يتمثل أحدهما فى أدعية وصلوات وأوراد منظومة تتلى فى بعض المناسبات (منترا) ؛ ويشتمل الآخر على تعاليم تتعلق بالعبادات والواجبات الدينية (براهمانا) •

٢ — «ياجور فيدا» أو «ياجوش فيدا» Yadjour—Véda, ou, Yadjouch Véda (ومعناها الفيدا الهوائية أى المنسوبة للهواء) وهى مجموعتان : يطلق على احداهما اسم « ياجور — فيدا البيضاء » ؛ وعلى الأخرى اسم « ياجور — فيدا السوداء » • وكل مجموعة منهما تنقسم قسمين : يتمثل أحدهما فى أدعية وصلوات وأوراد نثرية تتلى فى بعض المناسبات (منترا) ؛ ويشتمل الآخر على تعاليم تتعلق بالواجبات الدينية (براهمانا) •

---

(٥) لوازلير ٣٨٠ •
(٦) لوازلير ٣٨٩ ، ٣٩٠ •

٣ ــ « سامان فيدا » أو « ساما فيدا Saman—Véda, ou, Sama—Véda (معناها الفيدا الشمسية أى المنسوبة للشمس) ، وهى قسمان كذلك : يتمثل أحدهما فى مزامير دينية يتغنى بها فى بعض المناسبات (منترا) ؛ ، ويشتمل الآخر على تعاليم متعلقة بالعبادات والواجبات الدينية (براهمانا) ٠

٤ ــ « أتارفانا فيدا » (لعلها نسبة لحكيم من حكماء الهند يدعى « أتارفانا ») ، وهى كذلك تنقسم قسمين : يتمثل أحدهما فى أوراد وأدعية للاستغفار والرقى ضد السحر وضد الأرواح المدمرة الخبيثة (منترا) ؛ ويشتمل الآخر على طائفة من شرائع الديانة البرهمية (براهمانا) وبخاصة ما يتعلق منها بالتفرقة العنصرية بين الطبقات ، وهو النظام الذى تقوم عليه أهم العلاقات الاجتماعية بين طبقات الناس والذى يحدد مركزا كل طبقة ووظائفها عند البرهميين ٠ وسنعرض لهذا النظام بشىء من التفصيل عندما نتكلم على الشريعة فى الديانة البرهمية ٠ ــ وبهذه الطائفة من الشرائع الاجتماعية يمتاز هذا السفر عن الأسفار الثلاثة السابقة ٠

هذا ، وقد ظهر للمحققين من المشتغلين بالدراسات الهندية ، وعلى رأسهم العلامة وليم جونس Wiliam Jones أن الكتب الثلاثة الأولى هى أقدم هذه الكتب جميعا فى تاريخ تأليفها ، وأن أقدمها هو الريج فيدا الذى يصعد تاريخ تأليفه ، فى نظر بعضهم ، الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وأن السفر الرابع هو أحدثها جميعا ٠ بل ان المشرع الهندى الشهير « مانو » ، الذى سنتحدث عنه فى الفقرة التالية ، وغيره من قدامى المشرعين الهنود ، حينما يتكلمون على الفيدا لا يكادون يذكرون الا الأسفار الثلاثة الأولى ، وقلما يرد للسفر الرابع ذكر فى كلامهم ؛ فلم يرد له ذكر فى قوانين « مانو » الا مرة واحدة فحسب ؛ وحينما يشيرون اليه لا يذكرونه على أنه جزء من « الفيدا » أى لا يضيفون اليه كلمة « فيدا » ٠ ويمكن أن يستنتج من هذا أنه لم يكن فى الأصل من الكتب المقدسة ، وأنه قد أقحم عليها فيما بعد ، وأنه أحدث منها كثيرا فى تاريخ تأليفه . ولكن العلامة كولبروك Colebrook ــ وهو من ثقات الباحثين فى أسفار البرهميين ــ يذهب الى أن قسما غير يسير من « الأتارفانا » يرجع تاريخه الى العصر نفسه الذى ألفت فيه الأسفار الثلاثة السابقة (٧) ٠

وقد اكتسبت أسفار الفيدا بتقادم العهد قداسة عند الهنود ، واعتقدوا أنها وحى منزل من الاله براهما ، وحرصوا أيما حرص على صيانتها ٠ ولذلك

(٧) لوازلير ص ٢ ، تعليق ١ ٠

سلمت من الأحداث التى أصابت أسفار « الأبستاق » وأضاعت قسما كبيرا منها ، كما سبق بيان ذلك فى الفصل الثالث من هذا الكتاب .

هذا ، ويضيف بعضهم الى هذه الكتب الأربعة كتابا خامسا يتألف من قسمين ، وهما « الايتيهازا » Itihasa و « البورانا » Pourana ، ويسمونه « الفيدا الخامس » . ولكن الصحيح أن هذين السفرين وأسفارا أخرى مثل « السوترا » Les Soutra والبرهمانا واليوبانيشاد Oupanichade والفيدانتا Vedanta هى شروح وتعليقات على الفيدا ، وليست من أسفار الفيدا نفسها ، وأنها قد ألفت فى عصوّر متأخرة عن العصور التى ظهرت فيها أسفار الفيدا الأصلية .

***

وقد كتبت أسفار الفيدا فى الأصل باحدى اللهجات السنسيكريتية القديمة . وقد انقرضت هذه اللهجة منذ أمد بعيد من لغة الكتابة ولغة التخاطب ، وأصبحت غير مفهومة الا لطائفة من كبار رجال الدين . وكانت عقائدهم تحرم عليهم أن يعلموا هذه الأسفار أو يبوحوا بحقائقها لغير أهل ملتهم . ومن أجل ذلك ظلت هذه الكتب مجهولة للعلماء حتى القرن العاشر الميلادى . وفى أواخر هذا القرن استطاع العلامة أبو الريحان البيرونى (محمد بن أحد أبو الريحان البيرونى المولود سنة ٣٦٢ هـ الموافقة لسنة ٩٧٣ ميلادية والمتوفى سنة ٤٤٠ هـ) أن ينقل الى العربية طائفة كبيرة من محتويات الفيدا (وجرى على تعريبها بكلمة « بيذ ») فى كتابه الشهير الذى ألفه حوالى سنتى ٣٩٠ ، ٣٩١ هجرية وجعل عنوانه :

تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة

وذلك أنه ذهب فى سن مبكرة الى بلاد الهند مرافقا للسلطان محمود الغزنوى فى حملاته وغزواته ، وعكف هناك على دراسة اللغات الهندية القديمة والحديثة وعلى دراسة آداب الهنود وثقافتهم حتى أتقنها جميعا ، واستطاع بفضل ذلك أن ينقل فى كتابه القيم المشار اليه أهم ما يتعلق بأسفار الفيدا وبعقائد الهنود وفلسفتهم وآدابهم وعلومهم وثقافتهم على العموم ، وقسمه ثلاثة أقسام : قسم خاص بالفلك ؛ وقسم خاص بالرياضة ؛ وقسم خاص بالفلسفة وما يتصل بها من عقائد . والقسم الأخير هو أشد أقسام الكتاب علاقة بأسفار الفيدا وشروحها . فكان كتابه هذا أول مفتاح لدراسة هذه الأسفار وأول كاشف لأسرارها (٨) .

---

(٨) نشر هذا القسم على حدة وحققه وقدم له صديقنا الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود تحت عنوان الفلسفة الهندية مع مقارنة بفلسفة اليونان والتصوف الاسلامى . وسنحيل على هذا الكتاب فيما ننقله عن البيرونى .

وفي منتصف القرن السابع عشر الميلادى استطاع أحد علماء الفرس وهو داراشيكو Dara - Chékou أن يحصل على بعض أجزاء من الفيدا ، واستطاع كذلك ، بفضل اتقانه للغة السنسيكريتية المدونة بها أسفار الفيدا ، أن يترجم هذه الأجزاء الى اللغة الفارسية ، وظهرت هذه الترجمة سنة ١٠٦٧ هـ الموافقة لسنة ١٦٥٧ الميلادية . ثم أتيح بعد ذلك في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لكثير من العلماء الأوروبيين المشتغلين بدراسة الثقافة الهندية أن يعثروا في المكتبات الهندية القديمة على نسخ مخطوطة لأسفار الفيدا ، وأتيح لهم كذلك بفضل دراساتهم اللغوية وتمكنهم من معرفة اللغة المؤلفة بها هذه الأسفار ، بعد أن اهتـدوا الى حل جميع رموزها ، أن يترجموها الى اللغـات الأوروبية الحديثة . ويرجع أكبر قسط من الفضل في هذا الصدد الى عالمين انجليزيين وهما سير وليم جونس Wiliam Jones وكولبروك Colebrook.

ـ ٢ ـ
قوانين مانو

تشتمل « قوانين مانو » أو « مانافا دهارما ساسترا Manava - Dharma Sastra » (أى كتاب قوانين مانو) على تفصيل للدين البرهمى عقائده وعباداته ومعاملاته ونظمه الاجتماعية بمختلف فروعها (نظم السياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء والحرب والقوانين المدنية وقوانين العقوبات ونظم التربية والأخلاق ... وهلم جرا) ، كما تشتمل على تاريخ الكون ونشأته وخلق الانسان وتقسيم الطبقات .

وينسب هذا السفر لمشرع قديم اسمه « مانو » أو « مانافا » . ولا نعلم تاريخه على وجه اليقين . وأرجح ما قيل في هذا الصدد من آراء أنه عاش حوالى القرن الثالث الميلادى . .

وينزل البرهميون هذا السفر منزلة التقديس ، حتى لقد اعتقدوا أن مؤلفه هو أحد الآلهة الستة المنبثقين عن الاله الخالق (براهما) ، والذين تتابعوا في حكم العالم .

وهو أهم مرجع للباحثين في الدين البرهمى ، لأنه قد استوعب جميع نواحى هذا الدين قصصه وعقائده وعباداته وشرائعه ، ولم يغادر أى فرع من هذه الفروع الا فصله تفصيلا . ويستمد أحكامه من أسفار الفيدا نفسها ، كما يصرح بذلك في مقدمته .

وقد ألف فى شعر منظوم ، ويشتمل على ٢٦٨٤ مداة ، تندرج تحت اثنى عشر كتابا :

الكتاب الأول فى الخلق ويعرض لخلق براهما للكون والعالم والانسان وتقسيمه للطبقات ويشتمل على ١١٩ مادة ؛

والكتاب الثانى فى الأدعية والصلوات والأخلاق
ويشتمل على ٢٤٩ مادة ؛

والكتاب الثالث فى نظم الأسرة والزواج وما يتصل بذلك
ويشتمل على ٢٨٦ مادة ؛

والكتاب الرابع فى النظم الاقتصادية وشئون العمل والمعاش
ويشتمل على ٢٦٠ مادة ؛

والكتاب الخامس فى شئون الاستغفار والتكفير والتقوى والطهارة وواجبات المرأة ويشتمل على ١٦٩ مادة ؛

والكتاب السادس فى شئون التصوف والزهد ... وما الى ذلك
ويشتمل على ٩٧ مادة ؛

والكتاب السابع فى النظم السياسية والحربية وواجبات الملوك والحكام ورجال الجيش ويشتمل على ٢٢٦ مادة ؛

والكتاب الثامن فى النظم القضائية والشئون المدنية وقانون العقوبات
ويشتمل على ٤٢٠ مادة ؛

والكتاب التاسع تكملة للقوانين المدنية وقانون العقوبات وواجبات طبقة التجار وطبقة الخدم والعبيد ويشتمل على ٣٣٦ مادة ؛

والكتاب العاشر فى طبقات المجتمع والنظم الخاصة بكل طبقة منها وما يجب مراعاته فى أوقات المجاعة ويشتمل على ١٣١ مادة ؛

والكتاب الحادى عشر فى قوانين التكفير والاستغفار من الخطايا والذنوب
ويشتمل على ٢٦٥ مادة ؛

والكتاب الثانى عشر فى تناسخ الأرواح وتجوالها والسعادة الأخروية
ويشتمل على ١٢٦ مادة ؛

وقد ترجم هذا الكتاب الى معظم اللغات الحية . ومن أهم تراجمه ترجمته الفرنسية التى نشرها العلامة لوازلير دولونشان A. Loiseleur-Delongchamps

مصحوبة بتعليقات هامة كثيرة ، ومذيلة ببحث قيم عن أسفار الفيدا التي استمدت منها هذه القوانين .

- ٣ -

العقيدة في أسفار الدين البرهمي وتطورها

تقوم العقيدة البرهمية في أسفار الفيدا وقوانين مانو على الدعائم الثلاث الآتية :

١ - وحدانية الله ووحدة الوجود : تقرر أسفار الدين البرهمي أن الله واحد لا شريك له ، وأنه قد صدرت عنه جميع الكائنات ، وسرت منه روح في الجماد والنبات والحيوان . فالموجود بحق هو الله وحده ، وليست هذه الكائنات الا مظاهر منه ، وهذا هو مايعبر عنه بنظرية وحدة الوجود التي انتقلت الى التصوف الاسلامي ونظريات رجاله وخاصة ابن عربي والحلاج .

والى هذا تشير أسفارهم المقدسة وهي الفيدا اذ تقول على لسان براهما : « انني أنا الله نور الشمس وضوء القمر ، وبريق اللهب ، ووميض البرق ، وصوت الرياح ، والعرف الطيب ينبعث في الأرجاء ، والأصل الأزلي لجميع الكائنات ، وحياة كل موجود ، انني صلاح الصالح ، أنا الأول والآخر ، أنا الحياة والموت لكل كائن . انني أنا الله الذي لا اله غيري ، رب الأرباب ، مالك السماوات والأرض » . - وتقول في موضع آخر : « ان الله واحد لأنه الجميع (أي جميع الكائنات ، فهي كلها مظاهر منه) ، وهو الله الذي لا اله غيره ، رب الأرباب ، مالك العالمين ، وخالق السماوات والأرضين » .

ويقول أبو الريحان البيروني في كتابه القيم «تحقيق ما للهند من مقولة» : « واعتقاد الهند (يقصد البراهمة) في الله سبحانه أنه الواحد الأزلي ، من غير ابتداء ولا انتهاء ، المختار في فعله ، القادر الحكيم ، الحي المحيي ، المدبر المبقي، الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد ، لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء » . ثم أخذ يورد نصوصا كثيرة من كتبهم تؤيد ما ذكره عن اعتقادهم بواحدانية الله وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث (٩) .

هذا ، وتبدو فكرة التوحيد واضحة كل الوضوح في شرحين من شروح الفيدا وهما اليوبانشاد والفيدانتا . وفي هذا الكتاب الأخير (الفيدانتا)

---

(٩) البيروني ، المرجع السابق ص ٣٠ وتوابعها .

تتبلور فكرة وحدة الوجود التى يقوم عليها الدين البرهمى وتصل الى ذروتها ، فيقرر هذا السفر فى عبارة صريحة أن الله والنفس الانسانية وجميع الكائنات شىء واحد ٠

٢ — تناسخ الكائنات وتجوال الأرواح (الكارما)٠ وتقرر العقيدة البرهمية أن أرواح الكائنات التى صدرت عن الموجود بذاته وهو الله متجولة متناسخة ينتقل بعضها الى مواطن بعض ويتقمص بعضها أجسام بعض ٠ وهذا هو مايعبر عنه بالتناسخ أو تجوال الروح ٠ فهم يعتقدون أن الروح جائلة متنقلة فى أطوار شتى من الوجود ، تنتقل من جسد الى جسد ، سواء أكان من الانسان أم من الحيوان ، فى طريقها الى هدفها الأخير (الذى سنبينه فى الدعامة الثالثة) ٠ ويعتقدون أن كل ما يصيب الكائن فى أى مرحلة من مراحل تناسخه انما هو نتيجة لمقدمات وأعمال حدثت فى مرحلة ما من مراحل وجـوده ٠ فما يصيب الانسان مثلا من سعادة وآلام انما يكون جزاء أو نتيجة لأعمال صالحة أو شريرة عملها فى وجوده الحالى أو فى وجود سابق ، حينما كانت روحه متقمصة كائنا آخر ٠ فكل عمل يأتيه الانسان له ثمرته ونتيجته حتما ، وهذه الثمرة لابد أن تحدث فى دور من أدوار الميلاد المتكررة التى تنتقل فيها الروح ٠ فان لم تحدث فى الدور الذى حدث فيه العمل ، فهى لابد حادثة فى دور من الأدوار التالية له ٠ ويعبرون عن هذه الفكرة بكلمة « كارما » ٠

والى هذا يشير البيرونى اذ يقول : « كما أن الشهادة بكلمة الاخلاص ايمان المسلمين ، والتثليث علامة النصرانية ، والاسـبات علامة اليهـودية ، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية ، فمن لم ينتحله لم يك منها ولم يعد فى جملتها » ٠

ويؤيد هذه القضية بنصوص من كتبهم فيقول : « حقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئا من صريح كلامهم فى هذا الباب ٠٠٠ قال باسديو لأرجن يحرضه على القتال وهما بين الصفين : ان كنت بالقضاء السابق مؤمنا فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معا بموتى ولا ذاهبين ذهابا لا رجوع معه ؛ فان الأرواح غير مائتة ولا متغيرة ، وانما تتردد فى الأبدان على تغاير الانسان من الطفولة الى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة ، التى عقباها موت البدن ثم العود ٠ وقال له : وكيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود ، لا عن ولادة ، ولا الى تلف وعدم ، بل هى ثابتة قائمة ، لا سيف يقطعها ، ولا نار تحرقها ، ولا ماء يغصها ، ولا ريح تيبسها ، لكنها تنتقل من بدنها اذا عتق (بمعنى قدم

أى أصبح قديما لا يصلح لاحتمال الروح) نحو آخر ليس كذلك ، كما يستبدل البدن اللباس اذا خلق (أى بلى) ، فما غمك لنفس لا تبيد ؟ (١٠) » •

وأما الطريقة التى يجرى بها التناسخ فسنعرض لها عند كلامنا على اعتقادهم فى الجنة والنار •

ويظهر أن هذه الآراء قد انتقلت الى بعض الفرق المنتمية للاسلام • فقد ذكر العلامة ابن حزم فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » (جزء أول صفحات ٧٦ – ٧٩) أن بعض فلاسفة الاسلام قد ذهبوا الى القول بتناسخ الأرواح • فذهب فريق منهم « الى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد الى أجساد أخر وان لم تكن من نوع الأجساد التى فارقت • وهذا قول أحمد بن حابط وأحمد بن نانوس تلميذه وأبى مسلم الخراسانى ومحمد بن زكريا الرازى الطبيب صرح بذلك فى كتابه الموسوم بالعلم الالاهى ، وهو قول القرامطة • وقال الرازى فى بعض كتبه لولا أنه لا سبيل الى تخليص (أى نقل) الأرواح من الأجساد المتصورة بالصور البهيمية الى الأجساد المتصورة بصور الانسان الا بالقتل والذبح لما جاز ذبح شىء من الحيوان البتة • ويقولون ان التناسخ انما هو على سبيل العقاب والثواب • قالوا فالفاسق المسىء الأعمال تنتقل روحه الى أجساد البهائم الخبيثة المرتطمة فى الأقذار والمسخرة الممتهنة بالذبح ••• واحتجت هذه الطائفة المرتسمة بالاسلام أعنى أحمد بن حابط وأحمد بن نانوس بقول الله تعالى : « يايها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك » وبقوله : « جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا » • وذهبت الفرقة الثانية الى أن منعت من انتقال الأرواح الى غير أجسادها التى فارقت • وليس من هذه الفرقة أحد يقول بشىء من الشرائع ، وهم من الدهرية » •

٣ – رجوع الأرواح الى مصدرها الأول وهو الله • تقرر العقيدة البرهمية أن روح كل كائن تعود فى نهاية مطافها الى مصدرها الأول الذى نشأت منه وهو الله • والانسان أحد هذه الكائنات ، فيعرض له ما يعرض لها ، وروحه قطرة من نور الله ، انفصلت عن الله الى أجل محدود ، واتصلت به ، ثم تتصل بعده بكائن آخر وآخر وهكذا على طريق التناسخ وتجوال الروح ، ثم تعود فى النهاية الى الله متى جاء الأجل ، كالقطرة من الماء العذب ، تصعد بخارا ، وترقى فى السماء ، وتنتقل من جهة الى جهة ، وقد تتحول الى قطع من الثلج أو البرد

---

(١٠) البيرونى ، المرجع السابق ص ٥٣ •

أو غير ذلك ، ثم تسقط على قمم الجبال ، وتجرى فى الأنهار ، ثم ترجع فى نهاية مطافها الى البحر الذى انفصلت عنه فى أول الأمر • أو كالهواء الحبيس فى قدح مقلوب ــ حسب تشبيه أسفارهم نفسها ــ يظل منفصلا عن الهواء الخارجى وان كان منه ، حتى يتحطم القدح ، وحينئذ يزول الفاصل بينهما ويتحدان •

*
**

فالديانة البرهمية كانت فى أصلها ــ على ما يبدو من نصوص أسفارها ــ ديانة توحيد ، مشوبة بعقائد وحدة الوجود وتناسخ الأرواح ورجوع الكائنات الى الخالق وما الى ذلك من المعتقدات التى انتقل كثير منها الى التصوف الاسلامى ونظريات بعض رجاله والى بعض فلاسـفة المسـلمين وبعض الفرق المنتمية للاســلام •

ولكنها تغيرت وحرفت على مر الأيام ، وحلت محلها عقيدة تثليث ؛ لأنهم زعموا أن براهما كان قبل الوجود فى فضاء لا نهاية له ، فرغب أن يكون كثيرا ، فخلق العالم بقوة ارادته وبفيض من ذاته (نظرية وحدة الوجود) وسمى نفسه الخالق • ثم انبثق منه الاله المدمر ، وهو الاله سيفا Civa الموكل بالخراب والفناء ، فلا يذر من شىء أتى عليه الا جعله كالرميم • ولو ترك هذا لاله وشأنه لفنيت السماوات والأرض ومن فيهن • ولهذا انبثق من براهما اله ثالث حافظ مجدد وهو الاله فيشنو Vichnow. •

وبذلك انمحت عقيدة التوحيد الأصلية فى الدين البرهمى ، واستبدل بها هذا الثالوث • ــ ويتجه البرهميون الآن بمعظم عباداتهم الى الاله فيشنو ، وهو الاله الحافظ المجدد • أما الاله سيفا فهو اله مدمر يتقى شره • وأما الاله براهما وهو أصلهم جميعا فيزعمون أنه قد أدى وظيفته وهى الخلق ، وأنه ينعم الآن بالراحة المطلقة الكاملة •

وقد سرت صفة القداسة عندهم مع تقادم العهد الى بعض الأنهار والجمادات وبعض الحيوانات ، وعلى الأخص فصيلة البقر ، التى ينزلونها منزلة كبيرة من القداسة تقرب من درجة العبادة ، ويحرمون ذبحها ، ويعتبرون التعرض لها بأذى من أكبر الجرائم •

وفى ذلك يقول الزعيم الهندى الراحل جواهر لال نهرو : « ان قدامى الهنود قد علقوا أهمية كبيرة على الزراعة • ومن ثم عظموا كل شىء من شأنه أن ينهض بها • فرأوا الأنهار الكبرى يتوقف على مائها نمو النبات ، فنظروا

اليها نظرة اكبار • ورأوا ما يقدم اليهم البقر من مساعدة جليلة فى شئون الحرث والزراعة على العموم ، فعظم شأنها لديهم • ومع تقادم العهد نسى الناس السبب فى تعظيم قدمائهم للأنهار والبقر وأخذت صفة القداسة تسرى اليها ، فاعتبروها بمثابة الآلهة وعبدوها » •

وسرت اليهم كذلك عبادة الأصنام التى ترمز الى الآلهة أو الى الملائكة أو الى الكواكب أو القديسين ، وتفننوا فى صنعها ، ووضعوا لنحتها قواعد ومقاييس مضبوطة تختلف باختلاف ما ترمز اليه ، وأعطوا لكل منها اسما خاصا وتقربوا اليها بالصدقات والقرابين (١١) •

وذكر الشهرستانى أن من أهم عقائد البرهميين انكار النبوة ، وأنهم يرون استحالتها فى العقول ، فيقولون : « ان الذى يأتى به الرسول لا يخلو من أحد أمرين : اما أن يكون معقولا ؛ واما ألا يكون معقولا • فان كان معقولا فقد كفانا العقل التام ادراكه والوصول اليه • فأى حاجة الى الرسول ؟! وان لم يكن معقولا ، فلا يكون مقبولا ؛ اذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الانسانية ودخول فى حريم البهيمية » (١٢) •

***

ويعتقد البرهميون فى الجنة والنار ، ولكن فى صورة تختلف اختلافا كبيرا عن عقيدة المسلمين • ويشرح البيرونى عقيدة البرهميين فى الجنة والنار فيقول :

« المجمع يسمى « لوك » • والعالم ينقسم قسمة أولية الى علو وسفل وواسطة : فيسمى العالم الأعلى « سفر لوك » وهو الجنة ؛ والعالم الأسفل « ناكلوك » أى مجمع الحيات وهو جهنم ، ويسمى أيضا « نرلوك » ، وربما سموه « باتال » أى أسفل الأرضين ؛ وأما الأوسط الذى نحن فيه فيسمى « مادلوك » و « مانش لوك » أى مجمع الناس ، والأوسط للاكتساب ؛ والأعلى للثواب ؛ والأسفل للعقاب • وفى هذين الأخيرين يستوفى جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة بحسب مدة العمل • والكون فى كل واحدة منهما للروح مجردة عن البدن • وللقاصر عن السمو الى الجنة أو الرسوب الى جهنم « لوك » آخر ، يسمى « ترجكلوك » وهو النبات والحيوان غير الناطق : يتردد الروح

---

(١١) انظر فى ذلك البيرونى ، المرجع السابق ص ١٠٠ — ١١١ •
(١٢) الشهرستانى : الملل والنحل ، الجزء الثانى ص ٢٥١ (الطبعة السابقة) •

فى أشخاصهما بالتناسخ الى أن ينتقل الى الانس على تدريج من أدون المراتب النامية إلى عليا المراتب الحساسة · وكونها فيه على أحد وجهين : اما لقصور مقدار المكافأة عن محل الثواب والعقاب ؛ واما لرجوعها من جهنم · فعندهم أن العائد الى الدنيا (من الجنة) متأنس فى أول حالته ·· والعائد اليها من جهنم متردد فى النبات والحيوان الى أن يبلغ مرتبة الانسان » (١٣) ·· أى أن أرواح الناس فى حياتهم الأولى تكون فى المنزلة الوسطى وهى منزلة العمل والكسب ، فاذا ماتوا انتقلت أرواح الخيرين منهم الى الجنة (المنزلة العليا) تستوفى فيها جزاء العمل مدة مضروبة بحسب قدر العمل وكماله ، وانتقلت أرواح الخاطئين منهم الى جهنم (المنزلة السفلى) تستوفى فيها جزاء عملها كذلك مدة مضروبة بحسب مبلغ جرمها · وبعد استيفاء جزاء عملها فى الجنة أو فى النار ، تنتقل الأرواح الخيرة من الجنة الى آدميين آخرين فترجع الى المنزلة الوسطى ، وأما الأرواح الخاطئة فتنتقل من النار الى الحيوان والنبات · ومنزلة الحيوان والنبات منزلة رابعة غير المنازل الثلاث السابق ذكرها ، تستقر فيها فى بادىء الأمر الأرواح غير الآدمية لأنها قاصرة عن المنزلة الوسطى وعن السمو الى الجنة وعن الرسوب الى النار ، وتستقر فيها كذلك أرواح الآدميين العائدة من جهنم · وهاتان الطائفتان من الأرواح المستقرتان فى الحيوان والنبات تتجولان فى أشخاص الحيوان والنبات بالتناسخ الى أن تنتقلا الى الانس على تدريج من أدنى المراتب النامية الى عليا المراتب الحساسة ، فتصبحا فى المنزلة الوسطى ·· وهكذا دواليك · فالثواب والعقاب عندهم فى الجنة والنار انما يكونان للروح وحدها مجردة عن البدن ويكونان مؤقتين لأجل محدد لا دائمين ·

ويذكر البيرونى أنهم يكثرون من الجهنمات وصفاتها وأسمائها ، ويفردون لكل ذنب أو لكل مجموعة من الذنوب جهنم خاصة أو محلا خاصا فى جهنم ، حتى ان عددها قد بلغ فى بعض أسفارهم الى ثمانية وثمانين ألفا ، ذكر البيرونى منها ثلاث عشر جهنم : « منها ما يسمى « رور » وهى مخصصة للكاذب وشاهد الزور والمعاون لهما والمستهزىء بالناس ؛ ومنها ما يسمى « رودة » وهى مخصصة لسافك الدم بغير حق وغاصب حقوق الناس ، والمغير عليهم وقاتل البقر ؛ ومنها ما يسمى « كنب » وهى مخصصة لقاتل البرهمن (المنتمى الى الطبقة العليا وهى طبقة رجال الدين) وسارق الذهب ومن يصحبهم والأمراء الذين لا يقومون بواجبهم نحو رعاياهم ومن يزنى بأهل أستاذه ومن يضاجع أم زوجته ؛ ومنها ما يسمى « مها جال » وهى مخصصة لمن يغضى على فاحشة

---

(١٣) البيرونى ، المرجع السابق ص ٥٩ ·

زوجته طمعا فى منفعة ومن يزنى بابنته أو زوجة ابنه أو يبيع ولده أو يبخل على نفسه بما يملك ... » (١٤) ·

ويذكر البيرونى مذاهب أخرى للبرهميين فى الجنة والنار · منها ما يراه بعضهم من أن جهنم ليست شيئا آخر غير الانحطاط عن البشرية وتردد روح الخاطىء فى الحيوان والنبات (١٥) ·

- ٤ -

العبادات فى أسفار الدين البرهمى

تتجه العبادة فى الدين البرهمى الى غاية واحدة وهى الفناء فى الله والاندماج فى الكائن الأسمى · ويساعد على الوصول الى هذه الغاية الانابة الى الله والرجوع اليه والندم على ما فرط من المعاصى والآثام والورع والتقشف فى الحياة واهمال مطالب الجسم لتصفو الروح التى هى قبس من الخالق · ومن ثم تحث البرهمية - على عكس الديانة الزرادشتية - على الاكثار من الصوم لما يؤدى اليه من اهمال المطالب الحيوانية للجسم واضعاف القوى الجسمية واضعاف تحكمها فى العبد ، بل انها لتفرضه فرضا على جميع الطبقات أو على بعضها فى مناسبات كثيرة ·

فمن ذلك أنها تفرض الصوم على طبقة رجال الدين ، الذين يطلق اسم البرهمنيين كما سيأتى بيان ذلك ، فى أيام الاعتداليين والانقلابيين (أوائل فصول الخريف والربيع والشتاء والصيف) وفى اليومين الأول والرابع عشر من كل شهر قمرى (مبدأ ظهور الهلال وحينما يصير بدرا) · وروى فى أسفارهم المقدسة كذلك أنه فى أثناء كسوف الشمس يجب الكف عن الأكل والشرب والاتصال الجنسى . وهذا فيما يتعلق بالطبقات الدنيا . وأما الطبقات العليا (طبقة البرهمنيين رجال الدين وطبقة الكشتريين رجال الحرب) فلا يقتصر واجبهم على ما تقدم ، بل يحرم عليهم كذلك الانتفاع بشىء من الأطعمة التى تكون بمنازلهم وقت الكسوف ، ويجب عليهم التصدق بها على غير أفراد طبقتهم بعد تحطيم الآنية التى كانت بها · وتوجب قوانين مانو على طبقة السيناتا Sinata (وهم

---

(١٤) البيرونى ، المرجع السابق ٥٩ - ٦١ : « وهم يكثرون من عدد الجهنمات وصفاتها وأساميها · ويفردون لكل ذنب منها محلا · وقيل فى « بشن بران » أنها ثمانية وثمانون ألفا » ·

(١٥) المرجع السابق ص ٦١ وتوابعها ·

كبار رجال الدين من البرهمنيين) أن يكفوا عن الأكل والشرب والنوم والسفر من غروب الشمس الى غروب الشفق الأحمر كل يوم (١٦) ·

وهذا فيما يختص بالصيام المفروض على بعض الطبقات والصيام الذى يؤدى بمناسبة كسوف الشمس · وأما الصيام العام فقد ذكر البيرونى أنه عندهم « تطوع ونوافل ، وليس شىء منه مفروضا » · وذكر له أنواعا كثيرة · منها أن يعين الشخص اليوم المصوم ، ويضمر اسم من يتقرب اليه ويصوم لأجله ، من الله أو أحد الملائكة أو غيرهم ، ثم يتقدم هذا الفاعل ويجعل طعامه فى اليوم الذى قبل يوم الصـوم عند الظهيرة ، وينظف الأسـنان بالتخليل والسواك ، وينوى صوم الغد ، ويمتنع وقتئذ عن الطعام · فاذا أصبح يوم الصوم استاك ثانية ، واغتسـل وأقام فرائض يومه ، وأخذ بيده مـاء ورمى به فى جبهاته ، وأظهر اسم من يصوم له بلسانه ، وبقى على حاله الى غد يوم الصوم ، فاذا طلعت الشمس فهو بالخيار فى الافطار ، ان شاءه فى ذلك الوقت ، وان شاء أخره الى الظهيرة . فهذا النوع يسمى « أوب باس » ··· ومنه نوع آخر يسمى « كرجر » وهو أن يطعم فى وقت ما وقت الظهيرة ، وفى اليوم الثانى وقت العتمة ، ولا يأكل فى اليوم الثالث الا ما يدفع اليه غير مطلوب ، ثم يصوم اليوم الرابع · ومنه نوع يسمى « براك » وهو أن يجعل طعامه وقت الظهيرة ثلاثة أيام متوالية ، ثم يحوله الى وقت العتمة ثلاثة أيام متوالية ، ثم يصوم ثلاثة أيام متتالية لا يفطر فيها ألبته · ومنه نوع يسمى « جندرأين » وهو أن يصوم يوم الاستقبال ، ويتناول فى اليوم الذى يتلوه من الطعام قدر مضغة ملء الفم ، ويضعفها فى اليوم الذى بعده ، ويجعلها فى اليوم الثالث ثلاثة أضعافها ، الى أن يبلغ يوم الاجتماع على هذا التزايد فيصومه ، ثم يتراجع من المقدار الذى بلغه طعامه بنقصان مضغة مضغة الى أن يفنى عند استقبال بلوغ الاستقبال · ومنه نوع يسمى « ماسواس » وهو أن يصوم بالوصال أيام شهر متوالية لا يفطر فيها بتة » (١٧) · — ثم ذكر الأيام التى يستحب فيها الصوم عندهم وهى كلها مرتبطة بمواقيت فلكية ، وخاصة بمنازل القمر · فمن ذلك « اليوم الثامن والحادى عشر من النصف الأبيض من كل شهر ويوم الاستقبال من شرابن (اسم شهر عندهم) ·· وفى « أشوجج » (اسم شهر) اذا كان القمر

(١٦) Westermarck op. cit. T. II. p. 296. وانظر كذلك كتابنا فى « غرائب النظم والتقاليد والعادات » الجزء الأول ٦٧ ، وكتابنا فى « الصوم والأضحية » ٢٠ ، ٢٢ ·

(١٧) البيرونى ، المرجع السابق ١٣٠ — ١٣٢ · « ويوم الاجتماع » ، و « يوم الاستقبال » اللذان وردا فى عباراته يراد بهما مواقيت فلكية ·

فى السرطان والشمس فى السنبلة ··· واليوم الثامن من هذا الشهر وفطره مع طلوع القمر ··· واليوم الخامس من بهادرو (اسم شهر) ويصام هذا اليوم باسم الشمس ؛ وفى السادس من « بوش » (اسم شهر) صوم للنساء دون الرجال ··· يكون تمام يوم بليلته ··· (١٨) » · وأشار الى بعض طقوس غريبة ترتبط عندهم ببعض أنواع الصيام ، فذكر أنه فى بعض هذه الأنواع « يجتنب الصائم اللحم والسمك والحلوى واقتراب النساء ويجعل أكله مرة كل يوم ويجعل الأرض وطاءه من غير فرش ولا ارتفاع عنها بسرير ··· » ، وفى بعض أنواع الصيام « يتلوث الصائم بأخثاء البقر ويفطر بلبنها وبولها وأخثائها ··· » (١٩) ·

ويشتمل الدين البرهمى ـ بجانب الصوم ـ على عبادات أخرى تقسمها أسفارهم ثلاثة أقسام : منها ما يشبه الصوم فى تعلقه بالجسم ؛ ومنها ما يتعلق بالصوت ؛ ومنها ما يتعلق بالقلب ·

أما العبادات المتعلقة بالجسم فمن أهمها « الصلاة ، وخدمة الملائكة وعلماء البراهمة ، وتنظيف البدن ، واحترام الحياة الانسانية ، واحترام الأعراض » ؛

وأما العبادات المتعلقة بالصوت فمن أهمها « قراءة الأوراد والدعوات الدينية والتسبيح ، ولزوم الصدق ، وملاينة الناس فى الحديث ، وارشادهم ، وأمرهم بالمعروف » ·

وأما العبادات المتعلقة بالقلب فمن أهمها « تقويم النية ، وترك التعظم ، ولزوم التأنى ، وجمع الحواس مع انشراح الصدر » (٢٠) ·

ومن عباداتهم كذلك تقديم القرابين للآلهة · وتشمل القرابين التى تحث الفيدا على تقديمها للآلهة أنواعا كثيرة منها اللبن والحبوب والسمن واللحوم وعصير الفواكه والنباتات · وفى أثناء تقديم القرابين يرتل الهنود الأناشيد الدينية والأدعية المأثورة فى الفيدا ويؤدون رقصات وحركات تعبدية مصحوبة أحيانا بالموسيقى · والرقص عندهم عنصر أساسى من الشعائر الدينية · وكان يتمثل فى حركات تعبيرية ، ثم تدرج الى الأسلوب القصصى والرمزى ، يقص الحوادث والوقائع ويرمز الى مظاهر الحياة · والموسيقى الدينية كانت تؤدى لديهم كذلك

(١٨) البيرونى ، المرجع السابق ١٣٣ ـ ١٣٥ ·
(١٩) البيرونى ، المرجع السابق ١٣٤ ، ١٣٥ ·
(٢٠) البيرونى ، المرجع السابق ٧٥ ·

مصحوبة بحركات تعبيرية ، ثم تطورت هى وحركاتها الى الأسلوب القصصى والرمزى كما تطور الرقص الدينى ٠

وللبرهمية طقوس تعبدية غريبة فى الجنائز ٠ فهم يحرقون جثة الميت فى كومة من خشب الصندل تحت اشراف الكهنة الذين يدهنون جسم الميت بالشحوم والدهون ويرتلون عليه أناشيد دينية قبل الحرق وفى أثنائه ويبقى أفراد الأسرة بجانب منصة الحرق أربعا وعشرين ساعة بعد حرق الجثمان ٠ وذلك ليجمعوا الرماد المتخلف عن عملية الحرق تمهيدا لالقائه بعد اثنى عشر يوما فى النقطة التى يعتقدون أن نهرى جومنا والجانج يلتقيان فيها بالنهر الأسطورى الذى يعتقدون أنه يجرى فى باطن الأرض ويسمونه « ساراسوتى » ٠ وتقع هذه النقطة فى بلدة الله آباد ٠

— ٥ —

الشرائع فى أسفار الدين البرهمى

من أهم شرائع الدين البرهمى النظم المتعلقة بالتفرقة العنصرية ، وتقسيم المجتمع الى طبقات ، ووظائف كل طبقة منها واختصاصاتها ، وانتقال هذه الوظائف والاختصاصات بطريق الوراثة ٠

وذلك أن أسفار الفيدا وقوانين مانو لا تعترف بمبدأ المساواة بين الناس فى القيمة الانسانية المشتركة ، بل تقرر التفاضل بينهم بحسب عناصرهم ونشأتهم الأولى ٠ فتزعم أن الاله براهما قد خلق أربع طبقات من الناس ، وخلق كل طبقة من هذه الطبقات من طبيعة خاصة ومن موضع خاص من جسمه ٠ فخلق طبقة « البرهمنيين » Brahmans من فمه ، وطبقة « الكشتريين » Kachtriyas من ذراعه ، وطبقة « الفيسائيين » Vaisyas من فخذه ، وطبقة «الشودرا» أو المنبوذين Soudras من قدمه ٠ ولما كان أشرف الأعضاء وأطهرها هو ما علا السرة ، وأشرفها وأطهرها جميعا هو الفم ، ويليه فى ذلك الذراع ، ولما كان أحط الأعضاء هو ما كان أسفل السرة ، وأحطها جميعا هو القدم ، لذلك كان أشرف الناس جميعا وأطهرهم بحسب العنصر والنشأة الأولى هم الذين انحدروا من فم براهما وهم « البرهمنيون » ، ويليهم فى الفضل الذين انحدروا من ذراعه وهم « الكشتريون » ، وكان أحط الطبقات الانسانية الذين انحدروا من فخذه وقدمه وهم « الفيسائيون » و « الشودرا » أو المنبوذون ، وأكثرهم رجسا ونجسا هم « الشودرا » المنحدرون من قدم براهما ٠

وتقسم هذه الأسفار الوظائف الاجتماعية بين هذه الطبقات بحسب منزلة كل طبقة منها وبحسب شرف الوظيفة نفسها وأهميتها • فللبرهمنيين أرقى الوظائف ، وهي الوظائف الدينية • فهم وحدهم الذين يعلمون الناس أسفار « الفيدا » ، ويشرفون على المذابح والضحايا ، وهم وحدهم الذين لهم الحق فى « الاعطاء والمنع والقبول والرفض » • وللكشتريين الوظائف الحربية وحماية الشعب والذود عن حياض البلاد والعمل على استتباب الأمن • وللفيسائيين القيام على تربية الأنعام وفلح الأرض وشئون التجارة • وأما الشودرا أو المنبوذون فلم يعطهم السيد الأعلى الا وظيفة واحدة ، وهى أن يكونوا خدما للطبقات السابق ذكرها • وهم فوق ذلك رجس ونجس ، فلا يصح لمسهم ولا مؤاكلتهم ولا مصاهرتهم والا الارتباط بهم بأية رابطة غير رابطة السيد بالمسود(٢١) • وفى أحياء كثيرة من الهند يعتبر مجرد لمس المنبوذ دنسا ورجسا ، وفى أحياء أخرى يلحق الدنس والرجس بالشخص اذا مر به المنبوذ على بعد بضعة أمتار • وديانة المنبوذين غير ديانة بقية الشعب • فهى تنحصر فى عبادة الأرواح • وأعظم الآلهة عندهم يظهر فى شكل كومة من الآجر أو فى هيئة أخرى ساذجة •

وهذه الطبقات وهذه الوظائف طبقات ووظائف وراثية : فأولاد البرهمانى يولدون برهمنيين ويزاولون وظائف أبيهم ؛ وأولاد الكشترى يولدون كشتريين ويزاولون وظائف أبيهم ••• وهكذا بقية الطبقات • ولا يصح لفرد من طبقة ما أن ينتسب الى غير طبقته ولا أن يزاول غير الوظائف المخصصة لها •

وقد اجتهد غاندى فى القضاء على هذه الفوارق ورد الاعتبار الى المنبوذين • ولكن جهوده لم تكلل بالنجاح ، وبقى نظام الطبقات على ما كان عليه من قبل•

والى هذا النظام يشير البيرونى اذ يقول : « وللهند فى أيامنا من ذلك (أى تقسيم الناس الى طبقات) أوفر الحظوظ • حتى ان مخالفتنا اياهم ، وتسويتنا بين الكافة الا بالتقوى ، أعظم الحوائل بينهم وبين الاسلام (أى ان سير المسلمين على مبدأ أن الناس سواسية لا فضل لأحدهم على الآخر الا بالتقوى كان من أعظم الحوائل بين الهنود والدخول فى الاسلام لشدة تمسكهم بالتفرقة العنصرية) • وهم يسمون طبقاتهم « برن » أى الألوان ، ويسمونها من جهة النسب «جانك» أى المواليد •_ وهذه الطبقات فى أول الأمر أربع • علياها « البراهمة » قد

---

(٢١) قوانين مانو الكتاب الأول مادة ٣١ وتوابعها ومادة ٩٣ وتوابعها والكتب السابع والثامن والتاسع والعاشر •

ذكر في كتبهم أن خلقتهم من رأس براهم وأن هذا الاسم كناية عن القوة المسماة طبيعة ، والرأس علاوة الحيوان ، فالبراهمة نقاوة الجنس ، وبذلك صاروا عندهم خيرة الأنس • والطبقة التي تتلوهم « كشتر » خلقوا بزعمهم من مناكب براهم ويديه ، ورتبتهم عن رتبة البراهمة غير متباعدة جدا • ودنهم « بيش » (الفيسائيون) خلقوا من فخذ براهم ، و «شودرا» خلقوا من رجلي براهم • وهاتان المرتبتان الأخيرتان متقاربتان » (٢٢) •

ويضيف البيروني الى ذلك أنه بجانب هذه الطبقات الأربع توجد طبقتان أخريان تشتمل كل طبقة منهما على عدة فروع : احداهما طبقة الصناع ؛ والأخرى طبقة المشتغلين برذالات الأعمال •

ويقول في صدد الطبقة الأولى : « ثم أرباب المهن غير هؤلاء (أي غير الطبقات الأربع السابق ذكرها) ••• ويسمون « أنتز » وهم ثمانية أصناف بالحرف ••• واهم القصار والاسكاف واللعاب ونساج الزنابيل والأترسة والسفان • وصياد السمك وقناص الوحوش والطيور والحائك • وهؤلاء لا يساكنهم الطبقات الأربع في بلدة ، وانما يأوون الى مساكن تقربها وتكون خارجها » • وذكر ما يفهم منه أنه يلحق بكل مهنة من هذه المهن ما يشبهها من المهن الأخرى التي لا تدخل تحت هذه المهن الثمان ، ما عدا القصار والاسكاف والحائك فانه لا تنحط الى حرفتهم ولا تلحق بها أية حرفة أخرى •

ويقول في صدد الطبقة الثانية : « وأما « هادى » و « دوم » و « جندال » و « بدهتوا » فليسوا معدودين في شيء ، وانما يشتغلون برذالات الأعمال ، من تنظيف القرى وخدمتها ، وكلهم جنس واحد ، يميزون بالعمل •• وقد ذكر أنهم يرجعون الى أب « شودر » وأم « برهمن » خرجوا منها بالسفاح فهم منفيون منحطون » (٢٣) •

وكما تفرق الشريعة البرهمية بين الطبقات تفرقة عنصرية تفرق كذلك بين الرجل والمرأة في القيمة الانسانية وفي سائر الحقوق • فتجرد المرأة من أهليتها المدنية وتجعلها تحت سيطرة الرجل في مختلف مراحل حياتها كما تنص على ذلك المادتان ١٤٧ ، ١٤٨ من قوانين مانو اذ تقرران أنه « لا يحق للمرأة في أية مرحلة من مراحل حياتها أن تجرى أي أمر وفق مشيئتها ، حتى لو كان ذلك

---

(٢٢) البيروني ، المرجع السابق ٩١ •
(٢٣) البيروني ، المرجع السابق ٩١ ، ٩٢ •

الأمر من الأمور الداخلية لمنزلها (مادة ١٤٧) . ففى مراحل طفولتها تتبع والدها وفى مرحلة شبابها تكون تابعة لزوجها ، فاذا مات زوجها تنتقل الولاية عليها الى أبنائه ، فان لم يكن له أبناء تنتقل الولاية عليها الى رجال عشيرته الأقربين ، فان لم يكن له أقرباء انتقلت الولاية عليها الى عمومتها ، فان لم يكن لها رجال عمومة انتقلت الولاية عليها الى الحاكم . فليس للمرأة فى أية مرحلة من مراحل حياتها حق فى الحرية ولا فى الاستقلال ولا فى التصرف وفق ما تشاء (مادة ١٤٨) » .

ومن أهم ما تعنى به شريعتهم كذلك موضوع الدولة . والدولة فى نظر الفيدا هى التى يحكمها ملك فى بلاد ذات حدود تدعى «راشترا» . واذا لم يكن فيها ملك أو محافظ وجب على الشعب انتخابه من بينهم لمواجهة العدو تحت قيادة منظمة . وعليه أن يقود جيش الدفاع بنفسه . ويتلقى فى مقابل خدماته لطاعة الرعية والخراج والهدايا والتحف من القبائل وأعيان البلد .

ومن أهم ما تعنى به شريعتهم كذلك النظم المتعلقة بالزواج وشئون الأسرة . وهى تعتبر الزواج واجبا على كل قادر عليه . ومن ثم ينظر البرهميون الى الأعزب نظرتهم الى عنصر فاسد ضار ، أو الى مخلوق عجيب ومسخ غير طبيعى ، ويعتقدون أن من يموت بدون عقب تتخبط روحه كمن يتخبطه الشيطان من المس ، أو كمن وقع تحت عبء دين ثقيل لا يستطيع الوفاء به (٢٤) . ولكن نظم الزواج والأسرة فى الشريعة البرهمية تختلف اختلافا كبيرا فى كثير من الوجوه عن نظائرها فى اليهودية والنصرانية والاسلام .

فمن ذلك أنها تعتبر الاستيلاء على المرأة بالقوة وسيلة مشروعة لاتخاذها زوجة فى طبقة الكشتريين أى رجال الحرب . فقد ورد فى المادة الثالثة والثلاثين من الكتاب الثالث من قوانين مانو أنه « اذا استولى رجل على امرأة بالقوة وسباها من منزل أهلها وهى تبكى وتصرخ فى طلب النجدة وانتصر على من حاولوا مقاومته فقتلهم أو جرحهم ... فان طريقته هذه تسمى طريقة الجبابرة Mode de Géant

وتنص المواد الثالثة والعشرون والخامسة والعشرون والسادسة والعشرون من هذه القوانين على أن « طريقة الجبابرة » طريقة مشروعة للزواج فى طبقة الكشتريين (رجال الحرب) (٢٥) .

---

(٢٤) انظر كتابنا فى « قصة الزواج والعزوبة فى العالم » ٩ ، ١٠ ، وكتاب وسترمارك Westermarck, op. cit. II, p. 386.

(٢٥) انظر كتابنا فى « الأسرة والمجتمع » الطبعة السادسة ص ١٢٤ .

ومن ذلك أنها تبيح أن يلحق نسب الولد بجده لأمه اذا اشترط ذلك في العقد • والى هذا النظام يشير البيروني اذ يقول : « وقد يكون النسب من صلب الختن في بطن الابنة المزفوفة اذا شورط على أن يكون الولد لأبيها • فيكون حينئذ ولد الابنة للجد المشارط دون الأب الزارع » (٢٧) (أى الذى وضع النطفة) • ومن ذلك أنها تبيح للمرأة أن تتصل بزوج أختها اذا كان زوجها هي عقيما لتأتي بأولاد يلحق نسبهم بزوجها من الناحية الشرعية (٢٧) • ومن ذلك أنها تبيح « نكاح الاستبضاع » وهو أن يتصل بالزوجة ، برضا زوجها ، رجل آخر قوى نجيب لتأتي لزوجها بأولاد نجباء ، فيعتبر الزوج هو الأب من الناحية الشرعية ، ويعتبر الرجل الآخر مجرد أداة استخدمت لانجاب الأولاد• والى هذا النظام يشير البيروني اذ يقول : « وقد يكون النسب من صلب الأجنبي في بطن الزوجة ، لأن الأرض للزوج ، فيكون أولاد المرأة لزوجها اذا كانت الزراعة برضا منه » (٢٨) •

ويؤخذ من بعض أسفارهم وقصصهم أنه كان يباح في شريعتهم أن يشترك في المرأة الواحدة عدة أزواج وخاصة اذا كانوا اخوة (٢٩) • فقد جاء في « المهابهاراتا » Mahàbharata (وهي ملحمة شعرية شهيرة عند الهنود تشبه الالياذة والأوديسيا عند قدماء اليونان) أن أرجونا ثالث أبناء الملك باندو الخمسة فاز بدروبادى ، ابنة ملك بانشالا ، بأن أطلق خمسة أسهم داخل حلقة ضيقة ومعلقة في الهواء (٣٠) • ولكن أمه قالت له ان كل شيء يجب أن يكون مشاعا، وهكذا اقترن الاخوة الخمسة بالفتاة وعاشوا جميعا في قصر واحد(٣١)• ويروى البيروني هذه القصة على وجه آخر يختلف قليلا عن الوجه السابق اذ يقول : « وقد كان الأولاد باندو الأربعة زوجة مشتركة فيما بينهم تقيم عند كل واحد شهرا » (٣٢) • ولايزال نظام تعدد الأزواج للزوجة الواحدة ، وخاصة اذا كانوا اخوة ، متبعا الى الوقت الحاضر في عدة مناطق من الهند ، وبخاصة

---

(٢٦) البيروني ، المرجع السابق ص ٩٧ ، والختن بفتحتين يطلق أحيانا على زوج الابنة وهو المراد هنا •

(٢٧) الأسرة والمجتمع ٧٦ •

(٢٨) البيروني ، ٩٧ ، هذا ونكاح الاستبضاع كان جائزا عند شعوب كثيرة منها العرب في الجاهلية • انظر كتابنا في « الأسرة والمجتمع » ٧٥ ، ٧٦ •

(٢٩) انظر البيروني ، المرجع السابق ٩٨ ، وكتابنا في « الأسرة والمجتمع » ص ٧١ — ٧٣ •

(٣٠) يشبه هذا ما تنسبه الأوديسيا الى أوليس ، انظر كتابنا في « الأدب اليوناني القديم » • ص ٨٣ •

(٣١) الأسرة والمجتمع ٧٢ •

(٣٢) البيروني ، المرجع السابق ٩٨ •

لدى القبائل الجبلية على حدود الهند الشمالية ٠ ومن أشهر القبائل التى لاتزال تسير على هذا النظام فى الوقت الحاضر قبائل « جوانسواريس » (٣٣) ٠ ويذكر البيرونى أن كثيرا من هذه الأنواع الغريبة من النكاح قد ورد لديهم فيما بعد الأمر بتحريمها ، وأن هذا دليل على أنهم يجيزون النسخ فى الأحكام (٣٤)٠ — وأما تعدد الزوجات للزوج الواحد فقد أباحته جميع كتبهم المقدسة ولم يرد أى نص بتحريمه ولا بكراهته ٠

وتضع كتبهم المقدسة قيودا كثيرة فيما يتعلق بالطبقات التى يحل بينهـا التزاوج والطبقات التى يحرم أو يكره بينها التزاوج ، فلا يجوز للرجل من طبقة ما أن يتزوج الا من امرأة تنتمى الى طبقة أو طبقات معينة ، وقد تختلف هذه القيود فى الزواج الثانى وما يليه (أى حينما يريد الرجل مثلا أن يجمع بين زوجتين فأكثر) عن قيود الزواج الأول ٠ وفى الكتاب الثالث من « قوانين مانو » تفصيل كبير لهذه القيود ٠

وبحسب تعـاليم الفيدا يرث الابن أبـاه ، ولا ترثه ابنتـه الا اذا كانت وحيدته ٠

وعلى الرغم مما كان للزواج فى نفوس البرهميين من منزلة كبيرة ، فانهم كانوا يرون العزوبة واجبـة على كل من يصـل الى منزلة القديسين من رجال الدين٠ وكان يجب لديهم كذلك على البراهما كارين Brahmacarine وهو التلميذ فى أدوار دراسته الدينية قبل أن يصل الى مرتبة القسيس ، أن يظل أعزب وألا يقرب النساء حتى يفرغ من دراسته ٠

وتعترف الفيدا بحق الملكية الفردية ، وتبيحها فى العقار والمنقول كالذهب والفضة والحلى والأنعام ٠

ومن غريب ما تذهب اليه الشريعة البرهمية فى شئون المسئولية والجزاء أنها تأخذ بنظام المسئولية الجماعيـة فى بعض الجرائم وتجيز أن ينتقل الجـرم وتبعته الى غير مقترفه ، وقد نصت قوانين مانو على أمور كثيرة من هذا القبيل٠ فمن ذلك أنها تقرر أن نكاح السفاح أو النكاح المحرم يقع اثمه على جميع الأولاد الذين يجيئون منه كما يقع على الزوجين نفسيهما ، وأنه اذا عقد شخص زواجا لا كفاءة فيه بين الزوجين ، أو أهمل رسما من رسوم الدين ، أو لم يدرس أسفار

---

(٣٣) الأسرة والمجتمع ٧١ — ٧٣ ٠
(٣٤) البيرونى ، المرجع السابق ٩٨ ٠

« الفيدا » ، أو أهان أحد أفراد البرهمنيين (طبقة رجال الدين) ، فان جرم هذه الأعمال يقع على المجرم وينتقل منه الى جميع أفراد أسرته ، وأن شاهد الزور يعاقب بجرمه فى خمسة أو عشرة أو مائة أو ألف من أقربائه تبعا لخطورة شهادته ومبلغ ما يترتب عليها من الاضرار بالغير ، وأن الرجل الخليع exclut de son caste (وهو الذى تتبرأ منه طبقته وتخلعه من ذمتها لعمل ارتكبه) اذا عاشره رجل آخر أو قدم ضحية عنه أو علمه أو صاهره أو شاركه فى ركوب عربته أو فى مقعده أو فى طعامه ··· فان هذا الرجل الآخر يصبح هو نفسه خليعا ، وأن من يقتل برهمنيا (أحد رجال الدين) ينتقل جرمه الى من يؤاكله، وأن المرأة التى تخون زوجها ينتقل جرمها الى زوجها نفسه ، وأنه اذا قرب رجل من طبقة راقية امرأة من طبقة الشودرا (المنبوذين) ثم دعى الى مأدبة انتقل اليه ما ارتكبه أصحاب هذه المأدبة من معاص وسيئات ، وأن الحاكم اذا لم يعاقب سارقا معترفا بالسرقة ينتقل اليه جرمه كاملا ، وأن الملك الذى لا يحمى أفراد شعبه ينتقل اليه سدس خطاياهم جميعا ، والذى يحميهم ينتقل اليه سدس حسناتهم جميعا (٣٥) ·

- ٦ -

الأخلاق فى أسفار الدين البرهمى

تدعو الديانة البرهمية الى كثير من الفضائل التى يدعو اليها الاسلام ، وتنهى عن كثير مما ينهى عنه من مظاهر الرذائل والفحشاء والمنكر والبغى ·

وتقوم أخلاقها الايجابية على عشر دعائم أساسية هى الوصايا العشر للدين البرهمى ، وهى : مراعاة الكائن الالاهى ، ومقابلة الاساءة بالاحسان ، والقناعة ، والاستقامة ، والطهارة ، وكبح جماح الحواس ، ودراسة الفيدا ، والصبر ، والصدق ، واجتناب الغضب ·

ويذكر البيرونى فى صدد هذه الدعائم رواية أخرى لا تختلف كثيرا عن هذه الرواية اذ يقول : « والسيرة الفاضلة وهى التى يفرضها الدين وأصوله، بعد كثرة الفروع عندهم ، راجعة الى جوامع عدة هى : ألا يقتل ، ولا يكذب ، ولا يسرق ، ولا يزنى ، ولا يدخر ، ثم يلزم القدس والطهارة ، ويديم الصوم

(٣٥) انظر كتابنا فى المسئولية والجزاء ، الطبعة الثالثة ، ١١٢ ، ١١٣ و
Fauconnet ; La Responsabilité

والتقشف ، ويعتصم بعبادة الله تسبيحا وتمجيدا ، ويديم اخطار «أوم» ، التى هى كلمة التكوين والخلق ، على قلبه بدون التكلم به » (٣٦) ٠

ومن أهم الرذائل التى تخصها أسفارهم بالذكر ، وتقدد مكان مرتكبيها فى جهنم ، الكذب وشهادة الزوىر وسفك الدم بغير حق والاستهزاء بالناس وغصب حقوقهم والسرقة وخاصة سرقة الذهب وقتل البقر والزنا وخاصة الزنا بالابنة وزوجة الابن وأم الزوجة واتصال التلميذ بزوجة أستاذه وجماع المرأة فى الأيام المعظمة واتيان البهائم والاغضاء على فاحشة الزوجة طمعا فى منفعة والاحتيال والغدر وعقوق الآباء والأجداد والشح والبخل على النفس واخفاء المال طمعا فى صلات الأمراء واحراق بيوت الناس وقطع الأشجار وتقصير الأمراء فى واجباتهم نحو رعاياهم (٣٧) ٠

وقد عنى بتوضيح نظامهم الخلقى والعمل على تهذيبهم وحضهم على التمسك بالفضائل والابتعاد عن الرذائل كثير من فلاسفتهم ، ومن أشهرهم « كرشنا » الذى ولد حوالى سنة ٤٨٠ قبل الميلاد ٠ وقد أثرت عنه حكم ونصائح كثيرة ، منها قوله : « ان الجسد الذى تهبط اليه النفس شىء زائل ، أما النفس التى لا تدركها العين فهى أبدية » ، وقوله : « اذا انحل جسد الشخص بالموت ، فان كانت شهواته متغلبة عليه فى حياته فان روحه ترجع مرة ثانية الى الأرض ولا يكون لها مكان فى السماء ، وان كانت الحكمة متغلبة عليه فى حياته فان روحه تطير الى الطبقات العليا حيث ترى وجه الله وتدرك كماله » ٠

انتهت طبعته الثانية فى أوائل سنة ١٣٩٢ هـ
وأوائل سنة ١٩٧٢ م

---

(٣٦) البيرونى ، المرجع السابق ٧١ ٠
(٣٧) انظر أواخر الفقرة الثالثة من هذا الفصل ٠

فهرس

الموضوع | صفحة

من مؤلفات الدكتور على عبد الواحد وافى

كتب باللغات الأجنبية :

١ - نظرية اجتماعية فى الرق

٢ - الفرق بين رق الرجل ورق المرأة

طبعا باللغة الفرنسية بباريس سنة ١٩٣١ وحصل بهما المؤلف على شهادة الدكتوراه بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة باريس .

كتب باللغة العربية :

٣ - علم اللغة (الطبعة السادسة ، مزيدة ومنقحة)

٤ - فقه اللغة (الطبعة السادسة ، مزيدة ومنقحة)

٥ - نشأة اللغة عند الانسان والطفل (الطبعة الثالثة ، مزيدة ومنقحة)

٦ - اللغة والمجتمع (الطبعة الثالثة ، مزيدة ومنقحة)

٧ - علم الاجتماع

٨ - الأسرة والمجتمع (الطبعة السادسة ، مزيدة ومنقحة)

٩ - المسئولية والجزاء (الطبعة الثالثة ، مزيدة ومنقحة)

١٠ - قصة الملكية فى العالم (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة)

١١ - قصة الزواج والعزوبة فى العالم

١٢ - مشكلات المجتمع المصرى والعالم العربى وعلاجها فى ضوء العلم والدين

١٣ ، ١٤ - غرائب النظم والتقاليد والعادات (جزءان)

١٥ - المجتمع العربى

١٦ - الهنود الحمر (سلسلة اقرأ عدد ٨٨ ، الطبعة الثانية)

١٧ - الطوطمية (سلسلة اقرأ ١٩٤)

١٨ - الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى (ظهر فى السلسلة التى تصدرها « دار المعارف » بعنوان « مكتبة الدراسات الأدبية »)

١٩ - ابن خلدون منشىء علم الاجتماع

٢٠ - عبد الرحمن بن خلدون : حياته وآثاره ومظاهر عبقريته (ظهر فى سلسلة « أعلام العرب » التى تصدرها وزارة الثقافة)

٢١ - ٢٤ - « مقدمة ابن خلدون » مع تمهيد وتكملة وتحقيق وشرح وتعليق (أربعة أجزاء ، طبعة لجنة البيان العربى - بها نحو ثلاثة آلاف تعليق ، وتمهيد فى نحو ٣٥٠ صفحة من القطع الكبير)

٢٥ - فصول « من آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى » مع مقدمة وتحقيق وشرح وتعليق
٢٦ - الاقتصاد السياسى (الطبعة الخامسة ، مزيدة ومنقحه)
٢٧ - البطالة ووسائل علاجها والتعليم الأقليمى وأثره فى علاج البطالة (نال جائزة المباراة الأدبية سنة ١٩٣٥)
٢٨ - عوامل التربية
٢٩ - فى التربية (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة)
٣٠ - أصول التربية ونظام التعليم (مع آخرين)
٣١ - الوراثة والبيئة (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة)
٣٢ - اللعب والعمل
٣٣ - مواد الدراسة
٣٤ - حقوق الانسان فى الاسلام (الطبعة الرابعة ، مزيدة ومنقحة)
٣٥ - المساواة فى الاسلام (سلسلة « اقرأ » عدد ٢٣٥ الطبعة الخامسة)
٣٦ - الحرية فى الاسلام (سلسلة « اقرأ » عدد ٣٠٤)
٣٧ - بيت الطاعة والطلاق وتعدد الزوجات فى الاسلام (ظهر فى السلسلة التى تصدرها مؤسسة المطبوعات الحديثة بعنوان « مع الاسلام »)
٣٨ - الصوم والأضحية فى الاسلام والشرائع السابقة (ظهر فى السلسلة التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بعنوان «دراسات فى الاسلام»)
٣٩ - حماية الاسلام للأنفس والأعراض
٤٠ - المرأة فى الاسلام
٤١ - الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام
٤٢ - اليهودية واليهود

بحوث باللغات الأجنبية طبعت على حدة :

١ - نظرية جديدة فى وأد البنات عند العرب فى الجاهلية (نشر باللغة الفرنسية فى مطبوعات المجمع الدولى لعلم الاجتماع)
٢ - حقوق الانسان فى الاسلام (قدم باللغتين الفرنسية والانجليزية الى مؤتمر حقوق الانسان المنعقد فى أكسفورد سنة ١٩٦٥ ونشر فى مطبوعاته بهاتين اللغتين)

بحوث باللغة العربية طبعت على حدة وفصول من كتب :

٣ - رغبات المؤتمر الدولى الخامس للتربية العائلية (ترجمة عن الفرنسية وتعليقات ، طبعته وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٣٦)

٤ — تعليمات تربوية لمدرسي المدارس المتوسطة والثانوية العراقية (طبعته وزارة المعارف العراقية سنة ١٩٣٧)
٥ — ميادين الخدمة الاجتماعية ، شغل أوقات الفراغ (ألقي في مؤتمر الاصلاح الاجتماعي سنة ١٩٤٠ ، وقامت بطبعه « رابطة الاصلاح الاجتماعي »)
٦ — الحرية والإخاء والمساواة في الاسلام (ألقي في مؤتمر الاصلاح الاجتماعي سنة ١٩٤١ وقامت بطبعه على حدة « جماعة التعريف الدولي بالاسلام »)
٧ — الصوم (فصله من مجلة كلية الآداب عدد مايو ١٩٥٠)
٨ — النظم الدينية عند قدماء اليونان
٩ — أقدم البحوث الاجتماعية عند قدماء اليونان
١٠— الشعر الحماسي عند قدماء اليونان
١١— النزعات الاجتماعية الفطرية عند الحيوان
١٢— الفلسفة الاجتماعية لابن خلدون وأوجيست
(ظهرت هذه البحوث الخمسة الأخيرة مطبوعا كل منها في فصله على حدة في مؤلفات « الجمعية المصرية لعلم الاجتماع » سنتي ١٩٥١ ، ١٩٥٢)
١٣— حقوق كل من الزوجين وواجباته في الأسرة المصرية (ألقي في مؤتمر لرابطة الاصلاح الاجتماعي ونشرته لجنة المؤتمرات والندوات بالرابطة في يناير سنة ١٩٥٦)
١٤— الاختلاط بين الجنسين (ألقي في مؤتمر رابطة الاصلاح الاجتماعي ونشرته لجنة الندوات بالرابطة في مارس سنة ١٩٥٦
١٥— تطور البيت العربي وأثر المدنية الحديثة فيه (من مطبوعات ادارة الشئون الاجتماعية بجامعة الدول العربية)
١٦ — نظام الأسرة في الاسلام (فصل من كتاب « الاسلام اليوم وغدا » نشرته مكتبة عيسى الحلبي سنة ١٩٥٧)
١٧ — مشكلة مصر هي قلة النسل لا كثرته (من مطبوعات ، ادارة الثقافة بوزارة الأوقاف سنة ١٩٥٨)
١٨ — كيف يتكلم الطفل (كتاب الشهر من مجلة « حياتك » عدد أكتوبر سنة ١٩٥٨)
١٩ — المدرسة المصرية (كتاب الشهر من مجلة « حياتك » عدد ديسمبر سنة ١٩٥٨)
٢٠ — ألعاب الطفل (كتاب الشهر من مجلة « حياتك » عدد فبراير سنة ١٩٥٩)
٢١ — الوراثة والبيئة (كتاب الشهر من مجلة « حياتك » عدد أبريل سنة ١٩٥٩)

٢٢ ـ وظائف الأسرة (كتاب الشـهر من مجلة « حياتك » عدد سبتمبر سنة ١٩٥٩)

٢٣ ـ الاسلام فى المجتمع العربى (محاضرة عامة ألقيت فى قاعة محمد عبده فى مايو ١٩٥٦ وقامت الادارة العامة للثقافة الاسلامية بالأزهر بطبعها على حدة سنة ١٩٥٦)

٢٤ ـ الرد على الشيوعيين العراقيين فى افترائهم على الاسـلام فى كراستهم الرمادية (الكتاب رقم ٣٢ من كتب قومية صدر فى نوفمبر سنة ١٩٥٩)

٢٥ ـ علم اللغة (فصل من « السجل الثقافى » لسنة ١٩٦٠ ، تصدره وزارة الثقافة والارشاد)

٢٦ ـ علم الاجتماع (فصل من « السجل الثقافى » لسنة ١٩٦١ ، تصدره وزارة الثقافة والارشاد)

٢٧ ـ علم الاجتماع (فصل من « السجل الثقافى » لسنة ١٩٦٢ تصدره وزارة الثقافة والارشاد)

٢٨ ـ ابن خلدون أول مؤسس لعلم الاجتماع (ألقى فى مهرجان ابن خلدون المنعقد فى القاهرة سنة ١٩٦٢ . ونشره مع بقية بحوث المهرجان فى كتاب خاص « المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية » بعنوان « أعمال مهرجان ابن خلدون »)

٢٩ ـ مقدمة ابن خلدون (فصل من العدد الرابع من المجلد الأول من السلسلة التى تصدرها وزارة الثقافة تحت عنوان « تراث الانسانية » أبريل سنة ١٩٦٣)

٣٠ ـ آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى (فصل من العدد السابع من المجلد الثانى من السلسلة التى تصدرها وزارة الثقافة تحت عنوان « تراث الانسانية » يولية ١٩٦٤)

٣١ ـ الحرية المدنية فى الاسـلام (ألقى فى الموسم الثقافى لجامعة أم درمان الاسلامية سنة ١٩٦٧ وطبعته الجامعة فى فصله على حدة)

٣٢ ـ القـرآن وحرية الفكر (ألقى فى مؤتمر أسبوع القـرآن الذى عقدته جامعة أم درمان الاسـلامية سنة ١٣٨٧ هـ ١٩٦٨ م ، وتقوم الجامعة بطبعه مع بقية بحوث المؤتمر ، وعمل فصله منه على حدة)

٣٣ ـ التراث العربى وأثره فى علم الاجتماع (ألقى فى الحلقة التى عقدتها

جمعية الأدباء بالقاهرة سنة ١٩٦٨ ٠ وقامت الجمعية بطبعه مع بقية بحوث المؤتمر فى كتاب بعنوان : « التراث العربى ، دراسات » ٠

٣٤ – الوراثة وقوانينها وآثارها فى الفرد والأسرة والمجتمع (فصله من العدد الثانى من مجلة جامعة أم درمان الاسلامية سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م)

٣٥ – الملكية الخاصة فى الاسلام (ألقى فى الموسم الثقافى سنة ١٩٦٩ لجامعة أم درمان الاسـلامية وتقوم الجامعة بطبعه مع بقية بحوث الموسم وعمل فصلة منه على حدة)

٣٦ – التكامل الاقتصادى فى الاسلام (بحث قدم الى مجمع البحوث الاسلامية، بدعوة خاصة من المجمع ، وألقى فى مؤتمره السادس فى مارس ١٩٧١ ٠ وقام المجمع بطبعه فى كتاب على حدة

٣٧ ، ٣٨ – المرأة والأسرة فى الاسلام ؛ الحرية المدنية فى الاسلام ٠ بحثان ألقيا فى الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الاسلامى المنعقد فى مدينة قسطنطينية بجمهورية الجزائر فى شهر أغسطس سنة ١٩٧٠ ، وطبعا مع بقية بحوث الملتقى فى كتاب بعنوان « محاضرات الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الاسلامى » ٠

رقم الايداع بدار الكتب ٤٩٠٥ لسنة ١٩٧١

مطبعة دار العـالم العـربى
٢٣ شارع الظاهر ت ٩٠٦٧٠٦

الثمن

مطبعة دار العالم العربي
٢٢ شارع الظاهر ت ٩٠٦٧٠٦